مكتبة

لا يمكنك الهروب من

العدو

تشارلي هيغسون

مكتبة ٧٢٠

"عنيفة، تغزوها وحوش الزومبي... إنها الورقة الرابحة" FHM.com

مكتبة

عندما تفشّى الوباء
كل والد ووالدة، وضابط شرطة،
وسياسي - جميع الراشدين - أصيبوا به.
المحظوظون منهم لاقوا حتفهم.
الآخرون أُصيبوا بالجنون
والاضطراب والجوع الرهيب.

فقط من تقلّ أعمارهم عن أربعة عشر عاماً
لم يصابوا بالوباء، لكنّهم يناضلون
للبقاء على قيد الحياة.

تسري شائعات عن مكان آمن للاختباء.
سرعان ما تبدأ مجموعة من الأولاد
رحلة البحث عنه عبر أرجاء لندن،
حيث يتربّص بهم الموبوؤون في الأزقة
والمنازل المهجورة، وحتى تحت الأرض.

لكن هل يصلون إلى مقصدهم ... على قيد الحياة؟

telegram @t_pdf

"ألمعيّة ... أحداثها متسارعة ... مدهشة!"
Guardian

"قراءة مليئة بالأحداث"
SFX Magazine

لا تُفوّت الرواية الثانية
من سلسلة تحبس الأنفاس ...

ISBN 978-1-85516-906-7
الساقي
9 781855 169067
www.daralsaqi.com

تشارلي
هيغسون

العدوّ

ترجمة
صبحية عوض

مكتبة | 720
سُر مَن قرأ

الساقي

مكتبة
t.me/t_pdf

The Enemy, by Charlie Higson
First published in Great Britain in the English language in 2009
by Puffin books
Penguin Books Ltd, 80 Strand, London WC2R 0RL, England
© Charlie Higson 2009

الطبعة العربية

© تشارلي هيغسون، 2009 و2012
جميع الحقوق محفوظة

ISBN 978-1-85516-906-7

الساقي

بناية النور، شارع العويني، فردان، ص.ب: 113/5342، بيروت، لبنان
الرمز البريدي: 2033–6114
هاتف: 442 866–1–961+، فاكس: 443 866–1–961+

email: info@daralsaqi.com

يمكنكم شراء كتبنا عبر موقعنا الإلكتروني
www.daralsaqi.com

تابعونا على

@DarAlSaqi

دار الساقي

Dar Al Saqi

إلى سيدني، التي حلمت بوحوش الزومبي.

مكتبة | 720
سُر مَن قرأ

1

كان سام الصغير يلعب في موقف السيارات خلف ويتروز عندما قبض عليه الراشدون. عند حدوث ذلك، كان برفقة عدد من الصغار الذين وقفوا في مواجهة زمرة من الأشكال الغريبة المفزعة. لم يكن من المفترض أن يلعبوا خارجاً من دون حراسة، لكن كان يوماً جميلاً ومشمساً وشعر الصغار بالملل في الداخل. لم يكن سام الأصغر سناً في المجموعة، بل الأصغر حجماً. لهذا، ناداه الجميع سام الصغير. كان هناك ولدان آخران اسمهما سام، لُقبا سام الكبير وسام الجعد الذي اتسم بشعره المجعد. قُتل سام الكبير منذ أشهر قليلة، وبقي سام الصغير مع لقبه.

ربما صغر حجمه هو السبب الذي جعل الراشدين يختارونه. هكذا كان سلوكهم، كانوا يختارون الأصغر سناً، الأضعف، والأصغر حجماً. في خضم الهجوم المروّع، استطاع رفاق سام العودة إلى الداخل بأمان، لكن قطعت مجموعة من الراشدين الهائمين الطريق على سام وحاصرته في الزاوية.

اقتحم الراشدون المكان من فوق الجدار الجانبي، بقيادة والدة ضخمة ترتدي بذلة رياضية كان لونها يوماً زهرياً، لكنها أصبحت قذرة ودبقة حتى بدت مثل البلاستيك الرمادي. كانت ممتلئة الجسم، تحملها رجلان طويلتان نحيفتان، حدباء الظهر تركض بانحناء، لكن بسرعة، فاتحة ذراعيها الواسعتين كمخالب عقرب، وشعرها الأشقر المتسخ متهدل. أما ملامح وجهها، فكانت خالية من أي تعبير وتنمّ عن غباء، وتتنفس عبر فمها.

عقد الخوف لسان سام الصغير حتى لم يستطع أن يصرخ أو يطلب

المساعدة، والراشدون لم يصدروا أي ضجة، لذا حدث المشهد بكامله في صمت رهيب. سدّت الأم طريق العودة المؤدي إلى المبنى، بينما هاجمه أبوان من كلا الجانبين. أفلت سام منهما لبضع ثوان، لكنه عرف أنهما سيمسكان به في النهاية. في الوقت الذي أتت فيه المساعدة من الداخل، كان الراشدون قد غادروا من فوق الجدار يحملون سام معهم في كيس.

قادت ماكسي إلى موقف السيارات مجموعة من الأولاد الأكبر سناً. كانوا يتحركون بحذر رغم تسلحهم بالرماح والهراوات والحجارة التي تصلح للقذف، فهم لا يعرفون ما قد يواجههم.

«لقد تأخرنا كثيراً،» قال كالوم، بينما تفحص بنظره موقف السيارات الخالي. «لقد أخذوه.»

«مؤسف جداً،» قال ولد سمين داكن الشعر يُدعى جوش. «أحببته. كان مضحكاً.»

«إنه الهجوم الثاني هذا الأسبوع،» قالت ماكسي بغضب. «ماذا يحدث؟ إما أن الراشدين يضيّقون الخناق علينا أو هم أصبحوا أكثر شجاعة.»

ليسوا شجعاناً،» قال جوش، وهو يبصق على الأرض. «لو كانوا هنا الآن، لأريتهم معنى الشجاعة. كنتُ سأهشّم وجوههم البشعة. لا شيء يخيفنِي.»

« لم أتوا إلى هنا إذاً؟» سألت ماكسي.

«إنهم جائعون فحسب،» قال جوش.

«جميعنا جائعون،» قال كالوم.

«كان يجدر بنا أن نكون هنا،» قالت ماكسي. «كان يفترض بنا أن نحميهم.»

«لا يمكننا أن نكون في جميع الأماكن في الوقت نفسه،» أوضح كالوم. «عددنا غير كاف، خاصة بغياب أران وفرقة البحث عن الطعام. مهمتنا هي المراقبة من فوق السطح. كان الصغار يعرفون أنه لا يفترض بهم الخروج إلى هنا. لا يجدر بأحد منا أن يكون هنا. علينا جميعاً البقاء في الداخل.»

«لا يمكننا البقاء في الداخل طوال النهار،» سخر جوش. «سنُصاب بالجنون.»

«الداخل آمن أكثر،» قال كالوم.

«أنت خائف من الخروج فحسب،» سخر جوش مبتسماً.

«غير صحيح،» رد كالوم. «لا أحد يخاف بقدرك.»

«لا شيء يخيفني،» تحدّاه جوش.

«إذاً أنت غبي،» قال كالوم.

«لا،» رد جوش. «أنا أرى أن بعض الراشدين أقوياء، بعضهم يركضون بسرعة وبعضهم أذكياء، لكن الأقوياء منهم يتحركون ببطء، والسريعون أغبياء والأذكياء ضعفاء.»

«قل هذا لسام الصغير،» قالت ماكسي بغضب، «ولسام الكبير وجونو، وإيف ومحمد وجميع الأولاد الذين فقدناهم.»

«لن يقبض الراشدون عليّ،» قال جوش.

«ماذا؟» قال كالوم. «كان فقدانهم غلطتنا نحن إذاً؟ أهذا ما تقوله؟»

«نعم، هذا صحيح،» قال جوش.

«اصمتا،» صرخت ماكسي في وجه الاثنين. ثم تفوّهت بما لم يرد أحداً الاعتراف به. «لا يمكننا الاستمرار هكذا.» كانت تتكلم بحدة ومرارة. «سنموت جميعنا قريباً. لم أعد أحتمل هذا.»

رمت الرمح الذي كانت تحمله وجلست على الأرض، واضعة رأسها بين يديها.

كانت غلطتها. هذا كل ما استطاعت التفكير به. كانت غلطتها تماماً.

كان يفترض أن تكون المسؤولة في غياب أران. لا تذكر متى اتُّخذ ذلك القرار، أن يكون أران القائد وهي نائبته، ربما حدث ذلك سابقاً عندما كان معظم الأولاد يشعرون بالذعر والارتباك ولا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم. تولى أران وماكسي زمام القيادة ونظما صفوف الجميع وأبقيا المعنويات عالية. كان أران ذكياً ومحبوباً. استطاع البقاء ثابتاً منذ البداية و لم

يصب بالهلع. كان كابتن فريق كرة قدم في مدرسة ويليام إيليس، و لم يبدُ أن هناك ما قد يخيفه.

عمل كلاهما معاً، كفريق. كانت ماكسي ماهرة في طلب المساعدة من الأولاد الآخرين. كان هناك مقاتلون أفضل منها، لكنهم تلقوا التعليمات منها برحابة صدر. لم يرد أحدهم تحمّل مسؤولية القيادة، لذا هي من تولّت زمام القيادة في غياب أران.

إذاً، كان فقدان ولد آخر غلطتها هي. حاولت أن تكفّ قليلاً عن التفكير والتحليل فهي لم ترد أن تفكر بما سيفعله الراشدون بسام الصغير.

أجهشت بالبكاء. لم تهتم بمن قد يراها تبكي.

نظر كالوم إلى جوش. انتاب كليهما شعور غريب. تحرّك جوش وجلس القرفصاء إلى جانبها معانقاً إياها.

«لا بأس، ماكسي،» قال بهدوء. «سنكون على ما يرام. سيحدث أمر ما، سيأتي أحدهم، ستتغير الحال. عندما يعود أران والآخرون، قد نتحدث في هذا الأمر، اتفقنا؟ ربما نضع خطة.»

«ما الجدوى من ذلك؟» سألت ماكسي.

«عندما يعود أران، اتفقنا؟»

نظرت ماكسي إلى وجه جوش القلق والمتسخ.

«آسفة،» قالت.

«هيا،» قال كالوم. «لنذهب ونعرف كيف عبروا من فوق الجدار، وسنرجع بعدها إلى الداخل.»

«حسناً،» قالت ماكسي وهي تقف. ستحاول ألا تيأس ما داموا يفعلون شيئاً، ما داموا لم يتوقفوا عن السعي إلى إيجاد الحل.

تمنّت لو أن أران هنا، فهي شعرت دائماً بالأمان بوجوده.

المسألة فقط... ما الذي سيفكر به؟

لقد فُقد ولد آخر.

كانت غلطتها تماماً.

2

تمدّدت وسط الطريق جثة انفجرت منها أحشاؤها، بدا أنها جثة والد، لكن كان التأكد من ذلك صعباً. كانت تشبه الخضار، أو حبة فاكهة بقيت طويلاً تحت أشعة الشمس. أصبح لون الجلد أسود، ذابلاً ومشققاً، تنز منه أوساخ يفرزها اللحم. اختلطت أحشاؤه الداخلية بعضها ببعض. هذا ما كان يحدث عندما يعيش راشد لوقت طويل ويستشري فيه الوباء كلياً، كان ينفجر.

لكز الجثة بحذائه الرياضي، فإذا بالجلد ينتفخ وينز قيحاً، يتبعه سيل من الدهن الزهري اللون.

كان أران طويلاً ورياضياً وشعره جميلاً ويضع سكيناً في حزامه ويحمل مقبض معول يستخدمه مضرباً، فقد كان هو قائد فرقة البحث عن الطعام.

«مقرز،» قال الفتى الواقف إلى جانبه بشعره المجعد المائل إلى البياض.

«هيا بنا، ليس لدينا وقت لهذا.» أدار أران ظهره للجثة وأكمل سيره في شارع هولوواي. عندما رأى الأولاد تلك الجثث للمرة الأولى، رُوّعوا وذهلوا من شكلها. اعتادوا لاحقاً رؤيتها. بالكاد انتبهوا لوجودها. لكن كان للجثث المتفجرة وقعها الخاص دائماً.

عاد أفراد فرقة البحث عن الطعام كل إلى موقعه بالقرب من أران وأكملوا طريقهم. ما كادوا يقطعون مئة ياردة أخرى، حتى أبطأ الفتى صاحب الشعر الأبيض، ديكي، سيره.

«ما هذا؟»

توقفوا وأنصتوا السمع.

«كلاب،» قال فتى آخر وتقدم إلى الأمام. كان أقصر من أران وأقل قوة، لكنه أثبت مرة تلو الأخرى أن القتال ليس قوة فحسب. كان أران القائد لكن كان أخيليوس، ببنيته الصلبة وعينيه الغامقتين وجلده الداكن، أفضل مقاتل في المجموعة. كان يمضي معظم وقت فراغه في تشكيل أنماط مختلفة في شعره القصير. كان مزاجياً ومتهكماً وسريع الغضب، لكن لم يهتم أحد للأمر لأنه أنقذهم جميعاً مرات عدة وذلك بفضل مهاراته القتالية. كان يتحركِ بسرعة، سريع البديهة، شرساً في القتال.

انتظَروا. سمعوا صوت الكلاب قبل رؤيتها، أصوات نباح وعواء وعويل تداخلت جميعها حتى بدت كصوت وحش مفترس غاضب.

رفع أخيليوس رمحه مصوباً إياه تجاه الصوت، رمح من المعدن عثر عليه فوق سطحِ مبنى. كان مدبباً من طرف، فشحذ هو الطرف الآخر ليصبح حاداً أيضاً. كان يفي بالغرض بإبعاد الراشدين عنه، فيطعنهم بالطرف الأمامي ويستخدم الطرف الآخر لضربهم. لم يكن رمحاً للرمي أبداً، فقد كان أثمن من أن يفرّط به.

أخذ أران موقع المدافع خلف أخيليوس، بالقرب من فريك وديكي. فريك وديكي كانا فريقاً، بل أفضل الأصدقاء. قبل وقوع الكارثة، جابا الشوارع وهما يحملان علب رذاذ الألوان. شعارهما كان «فريكي ديكي»، ويمكن رؤيته في تافنل بارك وكامدن تاون مرشوشاً على الجدران والأبواب، مرسوماً على الأرصفة، محفوراً على الزجاج في مواقف الحافلات. عرفا جميع الطرق الخلفية، والأزقة، والطرقات المختصرة. فريك، اسمه الحقيقي دايفيد، شعره قصير وغير كثيف وله غمّازتان في وجهه، وكان يتنشق بأنفه طوال الوقت. كان ديكي وسيماً وأكبر سناً، ولو لم يكن يمضي كل وقته برفقة فريككان محبوب الفتيات. كانا لا يفترقان، يكملان دائماً جمل بعضهما ويضحكان على نكاتهما. حمل فريك فأساً وديكي مطرقة، استخدماهما لفتح الأبواب والنوافذ، وسلاحين إن دعت الحاجة.

آخر أفراد المجموعة كان أولي. صغير الحجم، أصهب، والأذكى من بين الجميع. كان حاد النظر وسريع البديهة، كتوماً جداً، التزم الصمت معظم الأوقات. لكن، عندما كان يتكلم، كان الآخرون ينصتون له. طلب أران دائماً النصيحة من أولي و لم يرَها أحد نقطة ضعف أبداً. عرف أولي دائماً التصرّف الأفضل.

علا نباح الكلاب، فخطا أولي خطوة إلى الخلف ثم إلى الجانب، محدقاً أمامه بتركيز. كان سلاحه مقلاعاً أخذه من متجر للأدوات الرياضية. كان من أدوات الصيد القوية، له قبضة مسدس ومشبك معدني يثبت فوق ساعده. شد المطاط ودسّ كرة ثقيلة من الفولاذ في الكيس الجلدي.

عندما كان الأولاد يخرجون عادة من المخيم، كانوا يتنقلون بمجموعة لا تقل عن أربعة أفراد. فرد للاستطلاع وقيادة المجموعة، آخران لمراقبة الجانبين، وفرد لمراقبة الخلف. لكن، بما أن فريك وديكي عملا معاً دائماً، تألفت المجموعة هذه المرة من خمسة أفراد. نظراً لما مروا به، تعلموا السير وسط الطرقات بدلاً من التخفي عن الأنظار بين الأبنية على الجانبين. كان الراشدون يختبئون دائماً في الظلال ويمسكون بك في الظلام. لم يشكلوا خطراً في الأماكن المفتوحة، والسبب أنهم لم يستطيعوا التحرك بسرعة. كان الخطر الأكبر فقط أنيستطيعوا محاصرتك. فعندما كان يجتمع الراشدون، كانوا يصبحون خطراً حقيقياً بأجسادهم الأضخم والأثقل من الأولاد، وبمرضهم المفزع. نادراً ما نظم الراشدون أنفسهم كفاية لوضع استراتيجية حقيقية، فغالباً ما كانوا يخرجون من الجانب بمجموعات تمشي على غير هدى، حينها أفضل ما يمكن فعله هو الهرب.

أي شيء لتجنب القتال.

كان سلوك الكلاب مختلفاً، لا يمكن التنبؤ به، خطراً...

«هل هي قادمة باتجاهنا؟»، سأل فريك وهو يحك رأسه.

«أظن ذلك،» أجاب أولي وهو يشد قبضته على مقلاعه.

«لتأت،» قال أخيليوس. «أنا مستعد.»

«تزداد الأوضاع سوءاً في كل مرة نخرج فيها،» قال أران.

«هذا مؤكد،» قال ديكي بتوتر وهو يلوّح بمطرقته بيده.

حينها، ظهر الكلب الأول، مهجن نحيف بعين واحدة. ترنح في سيره وسط الطريق ثم وقع على الأرض وتلوّى على ظهره مستسلماً. كان في إثره كلب ثان، كلب قذر من نوع ستافوردشاير. كان جلياً أنه يطارده، وذلك عند انقضاضه عليه مسعوراً بأسنانه البارزة.

مرت لحظات قصيرة قبل أن يدرك الكلبان أن هناك حضوراً. استنفر الكلبان ونظرا إلى الأولاد باستغراب، وإذا بباقي المجموعة تظهر مسرعة وهي تنبح وتعوي. انزلقت وهي تتوقف بسرعة فارتطم بعضها بقائد المجموعة وهو من نوع ستاف، الذي استدار بدوره ونبح عليها بغضب.

رأى الكلب المهجن أن هذه هي فرصته للهرب، فأسرع مولياً الأدبار. وقف القائد مستنفراً يشتم الهواء. كانت باقي الكلاب من أنواع مختلفة، لا يغطيها الفرو وأصيب عيونها بالمرض ولفها القيح. بعضها كان يعرج وأخرى كانت مصابة. جلس أحدها في وسط الطريق وحك أذنه بشراسة حتى هجم كلب آخر وقضمها ثم فر بعيداً.

تقدم قائدها متبختراً ومزمجراً، ثم أخذ ينبح على الأولاد، فانضمت إليه باقي المجموعة. وسرعان ما علت أصواتها في المكان.

«هل تظن أنها ستهاجمنا؟» سأل فريك.

«هذا يعتمد على مدى جوعها،» قال أران.

«يبدو لي أنها تتضوّر جوعاً،» قال ديكي قابضاً بيديه بشدة على مطرقته.

«لنجرّب إخافتها،» قال أران. بدأوا بالصراخ مُحدثين جلبة قوية وهم يلوّحون بأيديهم. تراجعت الكلاب قليلاً، لكن كانت الأكثر جرأة منها تقترب أكثر فأكثر.

هزّ قائدها الضخم برأسه وشنّ هجوماً فعلا صوت حفيف مخالبه بالاسفلت.

«لنقضِ عليه،» قال أران. «إنه قائدها، قد تفهم البقية الرسالة.»

أطلق أولي كرته الفولاذية. أصابت الكلب في وسط جبينه، فترنّح وارتطم بالأرض من دون أيّ صوت. شمّته الكلاب الباقية، وبدأ بعضها يعوي. حينها، ركض كلب ألزاسي من خلف المجموعة متقدّماً ثلاثة كلاب صيد مرافقة له. ركع أخيليوس على ركبته، وعندما انقض عليه، غرز الرمح بصدر الكلب فتراجعت الكلاب الأخرى إلى الجانب، بينما أطلق أولي كرة أخرى من كراته الفولاذية لتكسر رجل الكلب. عوى مترنحاً وفرّ وهو يجر رجله خلفه.

بقوة وبأس، هجم الأولاد على باقي زمرة الكلاب المشتتة.

مشط أولي المنطقة سريعاً بحثاً عن ذخيرته من الكرات الفولاذية. وجد كرته الثانية في مزراب. كانت الأولى عالقة في رأس الكلب القائد بين تجعّدات العظمة المكسورة.

ركع الأولاد الخمسة بالقرب من الجثة الهامدة.

«هل نخاطر بأكله؟» سأل فريك. «ما اسم تلك الطفيليات التي نتحدث دائماً عنها؟ تلك الدودة الصغيرة التي يمكن أن تسمّمك جرّاء تناول كلب؟ المرض الدودي.»

«مرض دودة الخنزير،» قال أران. «لن يضرّنا إن طهوناه جيداً.»

«صحيح،» قال ديك. «سنطهوه جيداً ونتناوله مع بعض رقائق البطاطا وكأس من النبيذ الفاخر. لذيذ.»

ضحك فريك. «أعرف وصفة خاصة بالكلاب المشوية للطباخ جيمي أوليفر.»

«لا يمكننا إهدار أي طعام،» قال أران. بعض الأولاد أصبحوا هزيلين جداً. لنترك الألزاسي، فهو كبير ويصعب حمله، وجثته ستُبقي الزمرة الباقية مشغولة.»

أخرج أخيليوس سكينه وقطع الحيوان الميت، تاركاً الأمعاء المائل لونها بين البنفسجي والرمادي في وسط الطريق لصرف انتباه الكلاب الأخرى.

ربط أرجل الكلب معاً بسلك من النيلون ورفعه إلى كتف أران.

«هل نعود الآن؟» سأل فريك.

«علينا أن نجد أكبر كمية من الطعام،» قال أران. «هناك مخاطرة دائمة في مغادرة المخيّم، والأوضاع تزداد سوءاً في كل مرة. هذا الكلب لا يكفي لعشرين شخصاً.»

كل يوم، غادرت المخيّمَ فرقةٌ للبحث عن الطعام. بحثَت في المنازل والشقق المهجورة عن أي أطعمة معلبة، صناديق، أو قنانٍ خُلفت. في كل مرة، كانوا يضطرون إلى بدء بحثهم بعيداً عن ويتروز. فهم قد فتشوا سابقاً كل تلك الأبنية القريبة، و لم يعثروا على شيء في معظم الأيام، حالفهم الحظ مرات قليلة فقط في العثور على شيء يسدّ جوعهم.

كانوا يعرفون أن الحال لن تدوم على هذا المنوال. فقد فتشوا مسبقاً كل مبنى على بعد ميل من ويتروز، ما عدا في أنحاء منطقة كرواتش التي دُمّرت بفعل حريق، وأيضاً حول ملعب أرسنال لكرة القدم حيث تحتشد جموع من الراشدين.

لكن إلى أين يذهبون؟

أزاح أران خصلة شعر تدلت على عينيه. معدته تؤلمه، فهو لم يعد يشعر بالجوع بقدر المرض والتعب. بدأ يكره هذه الطرقات، يكره رائحتها والقذارة في كل مكان، الحشائش والأعشاب التي تنبت عبر الشقوق، الخوف الذي لا ينفك ينهش عقله. سُرّ في البداية لاختياره قائداً، لكن سرعان ما اكتشف أنه المسؤول عن الجميع. إذا وقع مكروه ما، فعليه تلقي اللوم. وهذا هو السبب الذي جعل شخصاً مثل أخيليوس القادر على التغلب عليه بسهولة في أي قتال، مسروراً لعدم توليه القيادة. كان يتباهى دائماً بإنجازاته، لكن عند الحاجة إلى اتخاذ قرار صعب، كان يتراجع ويترك مسألة التفكير برمّتها لأران.

كان يوماً ربيعياً مشمساً ودافئاً، وبدا الصيف على الأبواب. عادة، استمتع أران بأشعة الشمس والدفء. في الماضي، أحب دائماً رؤية تلك الأوراق الخضراء تنبت على الأشجار، والعالم يستيقظ في الصباح الباكر.

الآن، بات الراشدون أكثر جرأة. في أيام الشتاء، كانوا يشعرون بالبرد الشديد ويصابون بالوهن ولا يشكلون خطراً كبيراً، لكن يبدو أن تغيّر الطقس كان يمنحهم شجاعة جديدة وقوة أكبر. لقد كثفوا من هجماتهم.

أصبحوا أكثر جوعاً من أي وقت مضى.

سار الأولاد في شارع هولوواي، الطريق الذي حمل منه أران ذكريات كثيرة، مثل تناول الطعام في ماكدونالدز، التسوّق مع والدته، مشاهدة الأفلام...

حاول ردع تلك الذكريات المتسللة إليه، فلم تكن تزيد حالته إلا سوءاً.

عند وصولهم إلى أرشواي، تحركوا بحذر أكبر. كانت هناك محطة قطار أنفاق، أي المكان المثالي لاختباء الراشدين.

«أيّ اتجاه نسلك؟» سأل ديك.

«طريق هايغايت،» قال أران. سنسلك ذلك الطريق باتجاه ويتينغتون.»

«لن أدخل أيّ مستشفى،» قال أخيليوس.

«ما المشكلة؟»

«لن نجد هناك شيئاً،» قال أخيليوس.

«قد نجد أدوية!» اقترح أولي. «أدوية مسكنة وخافضة للحرارة ومضادات حيوية وما إلى ذلك.»

«أوافق أخيليوس الرأي،» قال ديك. «مع حلول الكارثة، كان المستشفى بالتأكيد أول مكان تعرّض للنهب.»

«سنلقي نظرة في جميع الأحوال.» قال أران. «ربما نجد شيئاً. لكن دعونا نفتش المنازل هنا أولاً.»

«لن أدخل أي مستشفى،» كرر أخيليوس.

«ماذا عن بركة السباحة إذاً؟» سأل فريك.

«ماذا عنها؟» سأل أخيليوس.

«تستحق إلقاء نظرة، صحيح؟»

«لماذا؟» سأل أخيليوس. «أتود السباحة؟»

مكتبة
t.me/t_pdf

«لا،» أجاب فريك، «لكن كانت هناك دائماً آلة بيع نقدية.»

«كانت معطلة،» قال أخيليوس. «كانت تسرق مالنا دائماً.»

«تستحق إلقاء نظرة،» قال فريك. «فكر بالأمر... أصابع شوكولاته ومقرمشات، وعلكة...»

«لن نجد شيئاً هناك،» قال أخيليوس. «ليس بعد كل هذه المدة.»

«اسمع،» أصر فريك. «بحسب علمنا، نحن ومجموعة موريسون الأولاد الوحيدون في هذه المنطقة. وهم لا يأتون إلى هنا أبداً. كل ما أقوله هو أن علينا إلقاء نظرة، اتفقنا؟ إذا أردنا البحث في ويتينغتون، فعلينا أن نبحث عند البركة أيضاً. سنبحث في كل مكان، أليس كذلك أران؟»

«أفترض هذا،» قال أران.

«هذه مضيعة للوقت،» قال أولي. «متى عثرنا على آلة بيع نقدية بقي فيها أي طعام؟»

«أنت توافقني الرأي، أليس كذلك ديكي؟» سأل فريك.

«يوافقك الرأي في كل ما تقول،» سخر أخيليوس.

«جرّبني،» قال ديكي.

«العالم مسطح الشكل،» قال فريك.

«إنه كذلك،» قال ديكي.

«يستطيع البطريق الطيران،» قال فريك.

«نعم، يستطيع،» قال ديكي.

«أنا أعظم ولد مشى على الأرض،» قال فريك.

«نعم، أنت كذلك،» قال ديكي.

«ها ها، مضحك جداً،» قال أخيليوس.

«آكي نذل،» قال فريك.

«نعم، إنه نذل،» قال ديكي.

«أظنكما أثبتما وجهة نظركما،» قال أران محاولاً عدم الابتسام. «سنلقي نظرة.»

تنهّد أولي، فقد كانت تلك مضيعة للوقت. ما احتاجوا إليه هو طعام مغذٍّ وليس حلوى. لكن قال أران كلمته، وهو القائد.

دسّ أولي يده في جيب سترته، وعبثت أصابعه بكراته الفولاذية. لقد أشعرته برودتها القاسية بالراحة.

لم ترقله فكرة البحث في منطقة بركة السباحة. فقد شعر دائماً بالخوف خلال عمليات البحث هذه، والذهاب نحو المجهول بهذه الطريقة جعل نبضات قلبه تتسارع أكثر فأكثر.

«هيا بنا،» قال أران. «لنذهب.»

«البحث في منطقة بركة السباحة فكرة عبقرية،» قال فريك.

«نعم، إنها كذلك،» قال ديكي.

3

كانت أبواب البركة الزجاجية مشققة ومغطاة بالغبار من الداخل، فباتت رؤية أي شيء من خلالها مستحيلة. رفع ديكي مطرقته ولوّح بها مصوّباً نحو نقطة معيّنة بالقرب من المقابض. دوّى صوت تكسر الزجاج الذي تطاير مثل شذرات ذهبية، فلم يبق منه شيء داخل إطاره.

«رائع،» قال فريك.

«رائع بالفعل،» قال ديكي الذي أحب تدمير الأشياء. في الماضي، مباشرة بعد وقوع الكارثة، وقبل فهمه للخطر الحقيقي، جال ديكي الشوارع ببهجة – يكسر ويحرق ويسحق ما يريد، لم يكن يصدق أن ليس هناك أحد ليوقفه وأنه يستطيع فعل ما يحلو له.

زالت تلك الحرية المجنونة والممتعة عندما اكتشف أن الراشدين لم يموتوا جميعاً. وإذا قبض عليك أحد أولئك الذين بقوا على قيد الحياة، كانوا سيعاملونك أسوأ بكثير من أي والد أو والدة، مدرس أو رجل شرطة. كان الوالدان سيعقبانك، وكان المدرّس سيبقيك إلى ما بعد دوام المدرسة، وكان الشرطي سيقبض عليك، لكن ما كان أحدهم سيجرب أن يأكلك مثل الراشدين الذين يجولون ويصولون في الشوارع هذه الأيام.

ما زال يحب تدمير الأشياء كلما سنحت له الفرصة، دفعه هذا أيضاً إلى الانضمام طوعاً إلى فرقة البحث عن الطعام.

ابتعد عن الباب المحطم مفسحاً المجال لأخيليوس لاستطلاع ما في الداخل.

أطل أخيليوس إلى الداخل وجال بنظره في المكان.

«سنحتاج إلى المصابيح.»

حملوا جميعهم مصابيح كهربائية تعمل يدوياً ولا تحتاج إلى بطاريات. أشعلوها بسرعة بالضخ على المشغلات التي تجعل عجلة تعمل داخلها. بعد ثلاثين ثانية، استمدت المصابيح الطاقة الكافية لتشغيلها لمدة ثلاثين دقيقة.

دخلوا إلى حجرة الاستقبال وسلطوا أضواء مصابيحهم عبر الأرض والجدران الوسخة. أمامهم، كان مكتب الاستقبال. إلى اليمين، خلف باب دوار وحاجز منخفض، كانت قاعة الجلوس المفتوحة على بركة السباحة. كان هناك ممر طويل يؤدي إلى غرفة تغيير الملابس.

كان مكتب الاستقبال مغطى بخيوط العناكب والقذارات، أما الملصقات الممزقة على الجدران فقد كانت وكأنها من عالم آخر. كانت صوراً لأولاد سعداء يضحكون، تتحدث عن الصحة واللياقة البدنية ونشاطات اجتماعية. ظهرت على غبار الأرض وفوق الحطام بعض آثار الحيوانات، لكن لم تكن هناك إشارة إلى أي نشاط بشري.

«كانت آلات البيع النقدية هناك،» قال فريك، وهو يشير باتجاه الطاولات والكراسي في قاعة الجلوس.

«سنلقي نظرة سريعة،» قال أران، ومن دون أن يطلب منه أحد، قاد أخيليوس الطريق. تسلق الباب الدوار وهبط مقرفصاً رافعاً رمحه باستعداد.

«الطريق سالك.»

تبعوه واحداً تلو الآخر، وكان آخرهم أولي الذي حمل مصباحاً بيد والمقلاع بيد أخرى.

تقدموا بحذر. بينما اقتربوا أكثر إلى بركة السباحة، شمّوا رائحة ما. الرائحة الكريهة والخانقة للمياه الراكدة.

«أوه، من أطلق ريحاً؟» سأل ديكي، وهو يسدّ أنفه بأصابعه. ضحك فريك، بينما التزم الآخرون الصمت. أحب الثنائي المزاح لإبعاد الخوف عن المجموعة، لكن كان للآخرين أساليبهم الخاصة في التعامل مع مخاوفهم.

كان أخيليوس متوتّراً ومتنبّهاً، مستعداً للمواجهة، وتقريباً بانتظار راشد ما ليهجم عليه. حاول أران الوقوف بصلابة، وأن لا يبدو خائفاً، متخيّلاً أنه يلف مجموعته الصغيرة بحاجز واق. لم يكفّ أولي عن النظر وراءه من فوق كتفه. كان معتاداً جداً مراقبة خلفيةً المجموعة، لدرجة أنه وجد السير إلى الخلف أسهل.

«هذه رائحة كريهة جداً،» قال فريك.

«لا ترفع صوتك،» قال أخيليوس.

«كفاك أيها المتعجرف،» قال ديكي. لو كان هنا أحد بالفعل، لسمع صوت ذلك الارتطام الهائل عندما حطمتُ الباب.»

«اصمت حتى نسمع ما يدور حولنا ديكي.»

«حسناً، حسناً.»

سلّطوا أضواء مصابيحهم باتجاه قاعة الجلوس حيث كانت آلات البيع النقدية في السابق.

لا شيء. إنها فارغة.

«لم يبق شيء،» قال أران.

«يا لها من مفاجأة،» قال أخيليوس.

«قلتُ لكم إن هذه مضيعة للوقت،» قال أولي. «أيمكننا المغادرة الآن؟»

أكمل أران سيره نحو بركة السباحة. ضوء أخضر خافت كان يتسلل عبر النوافذ التي لفت السقف العالي. كان الهواء حاراً ورطباً. في الماضي، اعتاد القدوم إلى هنا كل أسبوع في فصل الصيف. كانت هناك مزلقة مياه ملتفة من داخل المبنى إلى خارجه ومن ثم إلى داخله. كانت الضوضاء تعمّ هذا المكان الذي عجّ دائماً بالأولاد. كانت هناك آلة لصنع الأمواج وجميع أنواع النوافير، وشلالات وزلاجات مائية. أصبح المكان هادئاً وتفوح منه الرائحة الكريهة مثل المجاري. تدلت أعشاب قاسية وكثيفة من مزلقة المياه التي وقفت على أعمدة صدئة.

شعر أران بقلبه ينبض بقوة بين ضلوعه. لم يكن مرتاحاً لهذا المكان.

«علينا أن نلقي نظرة جيدة على المكان، قال فريك، الذي انضم إليه عند طرف بركة السباحة وهو يضيء بمصباحه عبر المكان الواسع. كانت لا تزال هناك مياه في البركة، لكن كان لونها أخضر مائلاً إلى البني. أجمة من الطحالب والأعشاب طفت على وجه المياه، وتناثرت عبرها قطع من الأثاث. استطاع أران رؤية كراسيّ وطاولات، وخزانة ملفات وآلة ركض ربما هي من النادي الرياضي في الطبقة العلوية.

تسلقت المزيد من الطحالب والعفن على الجدران وغطت النوافذ، وهي التي حولت لون الضوء إلى أخضر مخيف.

انضم إليه الباقون.

«يجب أن نغادر،» قال أولي بتوتر وهو يلقي بنظره باتجاه المدخل.

«أنت خائف، أليس كذلك؟» هزئ ديكي.

«بالطبع أنا خائف،» اعترف أولي ببساطة. «أنا أخاف دائماً عندما نذهب إلى مكان لم نقصده من قبل. من الجيد أن تكون خائفاً. فذلك يبقيك على قيد الحياة.»

«تعالوا وانظروا إلى هذا،» هسهس فريك مقاطعاً إياهم. كان يصوّب ضوءه عبر البركة.

كانت هناك آلة بيع نقدية، نصفها غارق في المياه، لكن استطاعوا أن يروا أنها لا تزال مليئة بأصابع الشوكولاته والحلوى والمقرمشات.

«لقد فزنا بالجائزة الكبرى،» همس ديكي.

اقتربوا أكثر من حافة البركة، مندهشين مما يرونه في المياه الراكدة. انحدر جانب البركة تدريجاً نحو المياه، حتى بدا كأنه شاطئ. كانت الرائحة كريهة جداً والأرض زلقة تحت أقدامهم.

«ما الذي أتى بالآلة إلى المياه؟» سأل أخيليوس.

«من يأبه؟» قال فريك وديكي في معاً.

سلط أران ضوءه على لافتة. كان لا يزال بالإمكان قراءتها برغم الفطريات التي نمت على سطحها.

الركض ممنوع. الغطس ممنوع.

«أترون هذا؟ قال أران. «الغطس ممنوع.»

ضحك الباقون. مجرد فكرة الغطس في مياه قذرة ومظلمة كانت مقززة، ومع ذلك، كان على أحدهم النزول إذا كانوا يريدون ما في الآلة.

«لا يعجبني هذا،» قال أولي. «هناك خطب ما.»

مجدّداً، ألقى نظرة سريعة خلفه باتجاه المدخل ليتأكد من أن الطريق آمن.

«لا شيء هنا يا رجل،» قال ديكي. «لا أحد. المكان مهجور. انظر إلى تلك الآلة في المياه. لا بد أنها هناك منذ وقت طويل، منسيّة تماماً.»

«هيا بنا،» قال أولي. «سأغادر.»

قفز بينما صرخ فريك فجأة بصوت عال جداً.

«مرحباً؟ هل من أحد هنا؟»

تردّد صدى الصوت بين الجدران الصلبة.

«أترى؟ لا شيء.»

«أنت أحمق،» قال أخيليوس.

«حقاً؟ ومن تكون أنت إذاً؟ العبقري! أكثر الأولاد عبقريةً في العالم؟»

«لا تبدآ الشجار،» قال أران متأففاً.

«اسمعوا،» قال ديكي. «نحن هنا منذ بعض الوقت، ولو كان أي شيء سيحصل لحصل بالفعل. هذا المكان ميت، مثل باقي لندن، مثل باقي العالم إلى حد علمنا. ميت.»

«لسنا أمواتاً،» قال أران، «وأود أن نبقى على هذه الحال.»

«إذاً لنأت بالمؤونة من الآلة،» قال ديكي. «إنه طعام، أترون؟ طعام لنأكله؟ أنت تذكر ما هو الطعام، صحيح؟»

«لست متأكداً من ذلك.»

«أوه بربكم، هذه مضيعة للوقت.» مشى فريك إلى حافة بركة المياه وهو يسد أنفه. أصدر ديكي أنيناً وهو يراقب صديقه ينزل إلى المياه. نزل فريك في المياه القذرة حتى ركبتيه، ثم حتى فخديه. تابع تقدمه حتى وصل إلى

الآلة. استدار ليلوّح للباقين، ثم نظر داخل الآلة.

«مقزّز،» قال مبتسماً. «عليكم أن تروا هذا.»

«فريك! لا!» صرخ ديكي.

دبّت الحياة فجأة في سطح المياه حول فريك، كما لو أن وحشاً ضخماً يخرج من الأعماق.

غطس ديكي إلى البركة وهو يصرخ.

«أحمق،» قال أخيليوس.

أشكال غريبة كانت تخرج من كل مكان في المياه، أشكال تشبه القذارات الخضراء التي غطت المياه. اندفعت خارج البركة الرغوية.

أناس. رجال ونساء. تدلت منهم أغطية من الأعشاب التي تشابكت بين أصابعهم الممدودة مثل شباك عنكبوت.

«راشدون!» صرخ أران.

أمسك أولي بكرة فولاذية ووضعها في كيس مقلاعه وشد المطاط صوبه...

كان عددهم كبيراً. في خضمّ خوفه، لم يعد متأكداً أين يصوّب.

كان فريك يلوّح بفأسه على غير هدى نحو كل من اقترب منه من الراشدين الذين غطتهم الأعشاب. أصاب واحداً في ساعده، مهشماً إياه، وبالحركة نفسها أصاب آخر في رأسه، لكن سرعان ما فاقه عددهم، ومع اقتراب الراشدين منه، لم يعد هناك من متسع لاستخدام سلاحه بفعالية. في ضربته التالية، علق رأس فأسه في فخذ والد ضخم. تلوّى الوالد بألم متماوجاً في المياه، شاداً الفأس من قبضة فريك. بات فريك أعزل. أمسكت أيدٍ رطبة ولزجة بخناقه. قاوم ليبعدهم عنه وهو يشتم الراشدين.

لم يستطع أولي المخاطرة برمية، فقد يصيب فريك، لذا صوّب نحو أحد الراشدين عند طرف المجموعة المهاجمة. والدة. أطلق كرته التي أصابتها في صدغها. أطاحتها الرمية وابتلعتها المياه. بعدها، وصلت إلى مسامع أولي ضجّة جعلته يستدير، لقد أتى المزيد من الراشدين إلى قاعة الجلوس لمنعهم من الخروج.

«نحن محاصرون،» صرخ وهو يصوّب مقلاعه نحوهم.

لم يستطع أران فعل شيء للمساعدة. كان الراشدون يندفعون نحو طرف البركة وينزلقون على البلاط. أمسك بمقبض معوله بشدة، واندفع يضرب باتجاههم بكل ما أوتي من قوة. هاجمه والد سمين وقصير يشبه ضفدعاً بشعاً. أصابه أران تحت ذقنه فترنح بقوة وسقط في المياه.

كان ديكي يحاول الوصول إلى صديقه، لكن كانت المياه تعجّ بالراشدين المتخبّطين. كان يتقدّم بصعوبة كبيرة، مستخدماً رأس مقبض المطرقة للدفاع عن نفسه، مصوّباً إياه نحن كل من يقترب منه.

كان أخيليوس ينتظر عند الحافة. عرف أنه لن يقاتل بفعالية في المياه. اندفع إلى الأمام وإلى الخلف مُردياً كل راشد يصل إليه ويراقب سير ديكي في الوقت نفسه.

«تابع!» حثّه.

بدا أن ديكي سيصل إلى فريك، لكن قبل وصوله إليه، سحب ثلاثة راشدين فريك ونزلوا به تحت سطح المياه.

«اصمد فريك!»

سرّع ديكي من تقدمه في الأمتار القليلة الأخيرة وغطس خلف صديقه.

«أحمق،» قال أخيليوس مجدداً. لم يكن هناك ما يستحق هذا. كان مضطراً إلى تقديم المساعدة. صرخ صرخة قوية واندفع بقوة، مصوّباً رمحه، وكاشفاً عن أسنانه.

بدا أن الراشدين شعروا بخطورته فتراجعوا إلى الخلف. لكن، لم ير أيّاً من فريك أو ديكي.

عند قاعة الجلوس، ركع أولي على ركبة واحدة ليثبت رمياته التي صوّبها نحو الراشدين الذين سدوا طريق الخروج. لم يستطع إشاحة نظره عنهم ولو لثانية واحدة، لذا لم يعرف أبداً ما كان يحصل خلفه. دعا أن ينضم إليه الباقون قريباً، لأنه لن يستطيع صد الراشدين لوقت طويل.

«ليساعدني أحدكم!»

نظر أران خلفه ورأى ما يحدث.

«أخيليوس،» صرخ. «ساعد فريك وديكي. يجب أن أساعد أولي.»

لم تكن لديه فكرة إن كان أخيليوس قد سمعه، ولم يستطع الانتظار للتأكد. كانت مجموعة من الراشدين تشنّ هجوماً على أولي الذي لم يستطع أن يلقم مقلاعه بسرعة كافية لصدّهم. سارع أران للانضمام إليه، ومضربه يتطاير. أطاح بمن على جانبيه. لم يستطع أران القتال جيداً وهو يحمل الكلب على كتفه، لكنه صوب مضربه مجدّداً وهذه المرة باتجاه ركبة راشد. سمع صوت انكسار عظمة، فسقط الراشد أرضاً.

«علينا أن نصدّهم إلى الخلف،» صرخ وهو يهاجم باندفاع، موقعاً الراشدين فوق المقاعد والطاولات.

وصل أخيليوس إلى الآلة، ناسياً القذارات والمياه اللزجة. دفع بيد قوية تحت الماء حيث رأى ديكي آخر مرة. سحب بقوة جسماً ثقيلاً. كان راشداً، فغرزه برمحه، لفه في أحشاءه ثم سحبه. خلال ثوان كانت المياه تبقبق وإذا بديكي يخرج إلى السطح ومعه فريك. بدا فريك مرتبكاً ومترنحاً.

«وجدتُه،» همهم ديكي الذي ابيَضّ وجهه في الظلام لدرجة أنه بدا مضيئاً.

«هيا،» قال أخيليوس، «لنغادر.»

لكن الهجوملم ينته. هجم والد غاضب عليهم، دافعاً ديكي بقوة على آلة البيع النقدية فتحطم زجاجها. صرخ ديكي مترنحاً.

تولى أخيليوس أمر الوالد سريعاً، فضربه على فمه، حينها بدأ الراشدون الباقون بالاستسلام. كانوا يتراجعون مع اندفاع أخيليوس وأران وأولي باتجاه حافة البركة. دفع أخيليوس بجسمه إلى الأمام وبدأ يشتمهم بكل ما عرف قاموسه من كلمات تعنيف وهو يتحدّاهم الهجوم.

«هيا أيها الحقراء الكسالى! هاجموني أيها الجبناء، هيا!»

لكن كان الراشدون يتراجعون إلى الخلف، ينزلقون مجدداً تحت سطح الماء المظلم. شعر أخيليوس بموجة من الارتياح، استفزازه للراشدين أتى بنتيجة.

كان مرهَقاً، فريك وديكي فقدا سلاحيهما، ولو شنّ الراشدون هجوماً واسع النقاط، لكانت فرصة الشبان بالنجاة ضئيلة جداً. نظر خلفه. كان رفيقاه ما زالا يتخبّطان في المياه. بدا ديكي غير قادر على الاستمرار. توجّه أخيليوس إليه، لف ذراعيه حول وسط فريك وسحب الاثنين معاً إلى حافة البركة بينما ترنّح وانزلق بسبب الأرض اللزجة.

«لَم لم تأت؟» سأل أران عندما انضم الثلاثة إليه وإلى أولي. كان الاثنان قد أمنا قاعة الجلوس مسبقاً.

«كان عليّ إنقاذ الأخوين الضاحكين،» قال أخيليوس.

«لم نستطع المغادرة من دون السباحة،» قال ديكي بصوت أجش ومتعب، بينما سعل بألم شديد.

«هل هو بخير؟» سأل أران أخيليوس.

«أظن ذلك. هيا بنا، ما الذي ننتظره؟ لنغادر هذا المكان.»

«القول أسهل من الفعل.» أطلق أولي كرته على خيال عند قاعة الاستقبال. «إنهم يسدّون المخرج.»

شتم أخيليوس. «لم أر شيئاً مثل هذا من قبل. إنهم أنذال أذكياء بالفعل. لقد نصبوا لنا فخاً.»

«أصبحوا مخيفين أكثر من ذي قبل،» قال أولي.

«دعونا نلتقط أنفاسنا ثم ننقضّ عليهم.» قال أخيليوس. «فهم لا يخيفونني.»

كان ديكي يسعل مجدداً ويرتجف. أخذ يئن. بدا أبيض اللون أكثر من أي وقت مضى. بدا أن فريك يستفيق من حالة الذهول. هز برأسه وفرك صدغه بيده.

«أين فأسي؟» سأل.

«لقد ضاع أيها الرجل الخارق،» أجاب أخيليوس. «انس أمره. سنجد لك فأساً أخرى. أما الآن فعلينا الخروج من هذا المكب. أتظن أنك تستطيع السير الآن؟»

«أنا بخير،» أجاب فريك.

«لا يبدو ديكي بخير.»

استدار فريك إلى صديقه.

«شكراً على إنقاذي يا صديقي،» قال.

هز ديكي برأسه.

«لا مشكلة.» لكن كانت أنفاسه متسارعة، وعلى شفتيه بقع من الدم.

«هل تأذيت؟»

أجبر ديكي نفسه على الابتسام. «أظن أنني تسمّمت.»

«بقيت تحت الماء لوقت طويل يا رجل، لوقت طويل جداً،» قال أخيليوس.

«أشعر بالدوار.» مال ديكي على جنبه فأمسك به فريك.

«أنت تنزف،» قال فريك وهو يمسك ديكي بيديه. كانت ملابسه مبقعة بالأسود بسبب الدم. رفع أخيليوس ذراع ديكي، كانت قطعة زجاجية مسننة كبيرة تخرج من جانبه.

«أوه لا،» قال فريك مذعوراً.

«أنا بخير،» قال ديكي. «هذا غير مهم.» لكنه سعل مجدداً وكانت هناك دماء في بصاقه.

«إنها رئتك يا رجل،» قال أخيليوس. «الزجاج.»

كانت عينا ديكي كأنهما تدوران في رأسه.

«تماسك يا صديقي،» قال فريك.

«أظن أنني سوف...»

«لا تفقد الوعي يا صديقي،» صرخ فريك وهز صديقه الذي كان يفقد الوعي. «أران! علينا أن نخرجه من هنا.»

ما كاد فريك يُنهي جملته، حتى هاجم الراشدون مجدداً. خرج من البركة عشرة منهم على الأقل.

كان يجتاح أران غضبٌ أعمى. لم يستطع تحمّل واقع إصابة ولد آخر.

لم يكن لديهم الأدوية للتعامل مع الموقف، ولا بد أن القذارات والجراثيم تكاثرت في مياه البركة. زأر بصوت عال وأطلق مضربه يمنة ويسرة نحو الراشدين بكل ما أوتي من قوة، ساحقاً عظاماً، ومكسّراً أنوفاً وأسناناً، قاضياً عليهم. بالكاد انتبه لما يجري من حوله، كان أخيليوس خلفه يتعامل مع الراشدين ببرودة دم وبطريقته الخاصة.

هجمت والدة على أران، تطاير شعرها الطويل. أمسك بها من حنجرتها وعصرها. اهتز رأسها بقوة، رفعت يديها الجربتين في اتجاهه. تطاير شعرها الطويل إلى الخلف فاستطاع للحظات رؤية وجهها بوضوح.

كان أنفها متعفناً من المرض. كانت الدمامل والقروح تغطي كل إنش من جلدها، وشفتاها غائرتين في أسنان نصف مكسّرة أظهرت لثة سوداء قذرة.

كل شيء فيها كان مقززاً وغير بشري، مريضاً، باستثناء عينيها. كانت عيناها جميلتين.

أمعن أران النظر بهما، وللحظة لمح ومضة من الذكاء.

تجمّد مكانه. بدا أن الوقت قد توقف. خطرت بباله تلك الفكرة الغريبة، بأن كل هذا حلم غبي. تخيّل كل ما حدث في السابق: انهيار المجتمع، الخوف والاضطراب، وأشهر مضت منذ الاختباء في ويتروز. لذا شعر أن ما يحدث لا يمكن أن يكون واقعاً. لم يكن ممكناً أن العالم تغيّر بهذا القدر، بهذه السرعة. لم يكن ممكناً أنه أصبح متوحشاً. قاتلاً.

حاولت الوالدة التكلم، زمّت شفتيها بطريقة مروّعة ونطقت كلمة واحدة.

«مووا...»

«تسللت الدموع إلى عيني أران. لم يعد بمقدوره فعل ذلك بعد الآن.

خفف من قوة قبضته.

تحررت الوالدة منه وغرزت أسنانها في رقبته. لكن لا بد أن أخيليوس طعنها، فقد تدفقت من جرح في صدرها نافورة من الدماء. هي، وقعت جثة هامدة، أما هو فكان أولي يشده نحو الباب الدوار.

«تحرك أران!» صرخ بينما انزلق أران فوق الباب الدوار في حالة ذهول.

«أين فريك؟»

كان فريك يتصدّى للراشدين بقبضتيه العاريتين، يلكم، يركل في محاولة لحماية ديكي. لكنه كان يخسر القتال. استشعر الراشدون أن ديكي كان جريحاً. كانوا قد استسلموا عن مهمة سد المخرج وصوّبوا جهودهم نحو القضاء عليه. أمسك راشدان برجليه، بينما كان فريك يخوض معركةً مروّعة.

«اتركه!» صرخ أولي.

«لا أستطيع!»

هاجم أحد الراشدين فريك من الجانب، فأفلت ديكي من بين يديه.

«ديكي!»

علق الاسم في حنجرة فريك بينما راقبهم يسحبون صديقه بعيداً ووجهه يرتطم بالبلاط القاسي، تاركاً خطاً من بقع الدم. طاردهم وهو ينتحب ويشتم، لكن من دون جدوى. لم يكن بيده حيلة.

سحب الراشدون ديكي تحت الماء... ورحل. آخر ما رآه فريك من صديقه، الصبي الذي ترعرع معه، شاركه المدرسة لست سنوات، لعب معه كرة القدم، شاهد التلفاز معه، ضحك معه، تشاجر معه، آخر ما رآه كان شعره الأشقر اللماع ينزلق تحت المياه اللزجة.

«اخرُج من هناك في الحال!» صرخ أخيليوس. «لن أعود لإنقاذك هذه المرة.»

لا...

كان فريك على وشك النزول خلف صديقه. عرف أن ذلك بمثابة انتحار، لكنه كره ترك ديكي المسكين تحت رحمة الراشدين.

كان هناك سبب لبقاء أولئك الأولاد على قيد الحياة. شيء جعلهم أقوى من الأولاد الآخرين، أولئك الذين لاقوا حتفهم في أيام سابقة، أولئك الذين يئسوا واستسلموا، ولم يستطيعوا التأقلم مع الكوارث التي حدثت في العالم. أولئك الأولاد كانوا ناجين. إرادة العيش كانت أقوى من أي مشاعر أخرى.

استدار فريك مرغماً وغادر المكان بسرعة.

4

جلس كالوم في عش الغراب، أحب الجلوس على السطح. كان مكانه المفضّل. لم يطق الانتظار حتى يصبح الطقس دافئاً ويتمكن من النوم في الأعلى. يمكنك أن ترى منطقة هولوواي ممتدة أمامك. مثل غوغل إرث. بنى الأولاد عش الغراب حول القبّة التي برزت من إحدى زوايا ويتروز. استخدموا السقالات والألواح الخشبية والحبال وأيّ أدوات مفيدة أخرى استطاعوا العثور عليها. سلم من الخلف قاد إلى السطح المائل من متجر الأغذية. من هناك، يمكن التسلق نزولاً عبر البلاطات نحو برج صغير بنوه عند طرف الفناء. كان الفناء عبارة عن شرفة في وسط سطح المبنى، مسيّجة من الجِوانب الأربعة لكن مكشوفة السطح.

تمكن النواطير من التواصل مع الأولاد الآخرين في الفناء عبر قنوات الاتصال. مُدت قنوات الاتصال أيضاً لربط الفناء بالأجزاء الأخرى من متجر الأغذية. وُضع النظام على أساس ما كان يُستخدم في السفن للتواصل بين المرفأ وغرفة المحرك. كانت عبارة عن سلسلة من الأنابيب المعدنية الطويلة التي وُصل بعضها ببعض ومُررت عبر فتحات التهوية ومجاري الكابلات في المبنى، لكنها كانت فعالة جداً.

شعر كالوم بالأمان في الأعلى. كان وجوش الناطورين الأساسيين، واستطاعا بسهولة أن يريا كل من اقترب من المكان. المنطقة الوحيدة التي لم تكن مكشوفة لهما كانت موقف السيارات في خلفية المبنى، أي حيث قبض الراشدون على سام الصغير. شعر كالوم بالفشل لأنه لم يرَ الراشدين

يتسللون عبر الحديقة، ومنذ يوم الهجوم ذاك، استطاع رصد الكثيرين منهم على مسافة قريبة من المكان. أبقى لهذا الغرض ذخيرة كافية على رف مبني، تكوّنت من صخور وحجارة استُخدمت كقذائف. كان متلهفاً للتصدي لأي راشد يكون غبياً بما يكفي للاقتراب من المكان.

كان يراقب وصول فرقة أران. احتاج الجميع إلى أن يعود أران. كانوا في حالة توتر منذ اختطاف سام الصغير. استطاع أران دائماً تهدئة الجميع نوعاً ما، طمأنة الصغار وإبعاد الخوف عنهم.

لم يخرج كالوم أبداً للبحث عن الطعام. أقنع الباقين بأنه ذو فائدة أكبر مراقباً على السطح. في الواقع، لم يغادر ويتروز أبداً، ما عدا للقدوم إلى هنا منذ ما يقارب العام. كانت هناك صلة ما تربطه بالمكان. جاب الشوارع في الأسفل في ذهنه، مثل شخصية تتحرك في لعبة إلكترونية، لكن في الحياة العادية لم يرد الخروج إلى العالم مجدداً. كان ويتروز مكاناً آمناً. حظي بكل ما يحتاج إليه هنا. كان سعيداً. تقريباً أسعد مما كان عليه قبل وقوع الكارثة.

الشيء الوحيد الذي اشتاق إليه، كان السلام والهدوء. أن يكون وحيداً، وحيداً كلياً. كانت تلك نعمة حقيقية. أن يجلس في المتجر الواسع من دون كل أولئك الأولاد الآخرين. الجلوس هنا في عش الغراب كان الشيء المفضّل لديه.

رفع منظاره إلى عينيه وتفحص شارع هولوواي.

«عد أران، نحن بحاجة إليك.»

5

مشوا بتثاقل. أولي وأخيليوس تقدما أران وفريك اللذين التزما الصمت وغرقا في أفكارهما الخاصة. عرف أولي أنّ عليه الصمت أيضاً. إذا كانا لا يريدان التحدث عما جرى عند بركة السباحة، فلن ينبس ببنت شفة معهما عن الأمر. لقد فقد فريك أعز صديق له وأُصيب أران بعضّة مؤلمة. لم يتوقع أولي أن يتأثر أران بهذا القدر فقد كان قوياً وكره إظهار أيّ ضعف أمام الآخرين. لقد حدث له أمر ما عند بركة السباحة. بدت على وجهه ملامح من كان يحدّق بشيء كريه. حدّق لوقت طويل.

ثُقب جلد أران. كان هناك خطر كبير من حدوث التهاب. كان الراشدون قذرين، وأجسادهم مرتعاً للجراثيم والأمراض. لحسن حظ أران أنه لم ينزل إلى المياه، لكن الوالدة التي هاجمته بدت نتنة جداً.

لِمَ تجمد أران هكذا؟ فقدَ كل قوته القتالية لثوان. كان يسحق جماجم بمضربه للحظة، وإذا به في لحظة أخرى يقف جامداً وكأنه يحلم. هل فقد شجاعته؟

أراد أران أن يعرف أن لا أحد يلومه على ما حدث لديكي. فقد كانت الفكرة الغبية في الذهاب إلى البركة من اقتراح فريك. من أين كان لهم الاستعداد لكمين مماثل؟

أولئك الراشدون كانوا مختلفين. فعادة ما اتسموا بالغباء والبطء والارتباك. كانوا مختلفين عن عصابة الكلاب التي واجهوها سابقاً. تلك المجموعة عملت معاً. كفريق.

كم قتلوا من الراشدين؟ تساءل في قرارة نفسه. كان متأكداً من أنه أصاب سبعة منهم، لكن لم تكن كل الرميات قاضية. أثناء خروجهم من منطقة الاستقبال، رأى اثنين ممن أصاب جثتين هامدتين على الأرض. لا بد أنه أطلق ثلاثين كرة، أو ربما أكثر. كان من الخطر جداً أن يحاول جمعها بعد المواجهة. كان لديه كيس من ذخيرة الكريات في المخيم، لكن تلك الكمية كانت خسارة كبيرة ليوم واحد. إذا استمرت الحال على هذا المنوال، فسيخسرها جميعها في وقت قريب. كان عليه العثور على المزيد منها وإلا فسيضطر إلى جمع الحصى.

تباً. أحبّ تلك الكريات الفولاذية الثقيلة.

كان كاحله يؤلمه. كان قد هبط عليه بقوة عندما قفز من فوق الباب الدوار. كان أفراد الفرقة في حالة يرثى لها. أُصيب فريك بجروح بالغة، وغطته القذارات والدماء، دماء بدت غريبة عنه للونها البشع. أخيليوس لم يبدُ متأذياً على الأقل. استطاع أن يقسم إنّ الفتى مخلوق خارق.

لم يكن أخيليوس صديقاً مقرباً من أولي. فقد كان ينتقده دائماً لكونه راقياً كثيراً، وذكياً جداً وصامتاً أكثر من اللازم. لكن أولي لم يدع الأمر يزعجه. فقد كانا يكنان أحدهما للآخر احتراماً جماً. على أرض الواقع، قدّر أولي مهارات أخيليوس القتالية وقدّر أخيليوس ذكاء أولي الحاد. اعتاد كلّ منهما الابتعاد عن طريق الآخر، فأولي في جميع الأحوال غير معتاد على أن يكون في المقدمة. فذلك كان يشعره بالغرابة.

يذكر ركوبه السيارة مع العائلة. هو ووالدته ووالده وثلاثة إخوان. جلس أولي دائماً في المقعد الخلفي، محدقاً من النافذة إلى جانبه، محاولاً عدم الإصغاء لجدالاتهم ونقاشاتهم. تذكر بعض الأوقات القليلة التي خرج فيها وحيداً مع والده وتسنّى له الجلوس في المقعد الأمامي. كم كان ذلك الشعور مختلفاً، الشعور بالمساواة. وكم كان رائعاً أن يحظى بوالده لنفسه فقط. كانت طباع والده كطباعه تماماً. هادئ، شارد، يفكر دائماً بشيء ما.

جميعهم فارقوا الحياة، خمستهم.

كان والده أول من فارق الحياة. كان من أوائل الأشخاص الذين أُصيبوا بالوباء. فقد بُثّ خبره على الأخبار. وكتبت العناوين شيئاً مثل «حالة وفاة أخرى من وباء غامض يجتاح أوروبا». ثم تزايد عدد حالات الوفاة، وليس فقط في أوروبا – بل في جميع أنحاء العالم. ما عادوا يذكرون أسماء أفراد، بل شوارع بكاملها، ثم بلدات. انتشر الوباء بسرعة لا مثيل لها لدرجة أن الناس فوجئوا، و لم يكن لديهم الوقت ليهلعوا. دخل العالم بكامله حالة صدمة. أصيبت والدته بحالة اضطراب نفسي بعد وفاة والده. حزمت أغراض المنزل واستعدّت للهرب إلى الريف والسكن مع الخالة سوزان. لكنها أصيبت بالمرض قبل الرحيل. بقي أولي وإخوانه الثلاثة. حاولوا الرحيل عن لندن وحدهم. أخوه الأكبر، دان، مرض تالياً. كان في سن السابعة عشرة. ثم ويل وكان في الخامسة عشرة.

أخوه الأصغر، لوك، لم يكن كبيراً كفاية ليمرض. لكنه قُتل خلال شغب بالقرب من فينسبري بارك. حدث ذلك منذ أكثر من عام. لكن بدا أن قرناً من الزمن قد مر. بعدها، لم تنهمر لأولي دمعة واحدة، كانت الكارثة هائلة جداً وأكثر من أن يتحمّلها أحد، وصل إلى مرحلة لم يعد يفكر فيها وركز على محاولته البقاء على قيد الحياة. منح الفضل بذلك لعائلته، وحده بقي منها و لم يمت.

«لم يجدر بنا الذهاب إلى ذلك المكان من البداية،» قال أخيليوس. «فريك مغفل.»

«انس الأمر،» قال أولي. «كيف كان لنا أن نعرف.»

«كل ذلك كان من أجل آلة،» قال أخيليوس. «سكاكر وشوكولاته! لسنا أطفالاً.»

«لكن كان رائعاً لو استطعنا تناولها،» قال أولي. «كنتُ سأُسر جداً الآن بتناول إصبع مارس وقنينة كولا.»

«صحيح.» ابتسم أخيليوس. أتعرف ما كنتُ أفضل؟ كعكات جافا. كنتُ أستطيع التهام دزينة كاملة دفعة واحدة. لكن كل ما علينا توقعه الآن

عند عودتنا هو كلب مشوي.»

«أفضل من لا شيء،» قال أولي. «لم نتناول لحماً منذ وقت طويل جداً.»

«توقفوا...»

رفع أخيليوس يده فتوقف الجميع. لقد وصلوا إلى الجزء الذي قاتلوا فيه الكلاب في شارع هولوواي. وقف أمامهم عدد من الأشخاص، تجمهروا جميعاً حول جثة الكلب الألزاسي.

«هل تقدر أن تميّز أحداً منهم؟» قال أخيليوس.

تمتع أولي من بين الجميع بنظر ثاقب. ظلل عينيه بيده وحدق بعينين نصف مغمضتين.

«إنهم أولاد،» قال.

«من مجموعتنا؟»

«لا، مجموعة موريسون.»

عندما انهار كل شيء، اتخذت مجموعة من الأولاد من ويتروز ملجأً لها، وأخرى احتمت في موريسون وهي المتجر الأرخص في مركز ناغ هيد للتسوّق. احتمى أكثر الأولاد في الأماكن التي كانوا يذهبون إليها للتسوق بصحبة أهاليهم. لكن ليس جميعهم. رأى أولي أن أخيليوس كان ممن ذهبوا إلى موريسون.

في صراع البقاء على قيد الحياة، صراع احتدم حتى على لقمة الطعام، عاشت مجموعتا الأولاد حياتين مختلفتين. أحياناً كثيرة، تشاجروا في الشارع.

استدار أخيليوس نحو أران.

«ماذا نفعل؟ إنهم يفوقوننا عدداً. هل نسلك الطريق الخلفي؟»

نظر أران إلى العصابة الأخرى، ثم إلى قدميه، ثم إلى السماء.

«لا أعرف،» قال أخيراً.

«أنا متعب،» قال أخيليوس. «لا أستطيع خوض قتال آخر، و لم أعد أقوى على أن نسلك الطريق الخلفي، حذرين في كل خطوة من هجوم الراشدين.

تنهّد أران، ثم أكمل طريقه.

«إذا أرادوا الهجوم علينا، فليفعلوا.» قال. «لم أعد أبالي.»

راقبه أخيليوس يتقدم، ثم تطلع نحو أولي.

«هيا بنا.»

تأكدوا من أن فريك ما زال معهم، وهرعوا للحاق بأران.

سرعان ما رأتهم مجموعة موريسون، فاتخذوا مواقعهم الدفاعية في وسط الطريق.

تابع أران سيره باتجاههم. لم يكن في نيّته أن يتوقف. عجّل أخيليوس من خطواته ليسبقه.

«لا نريد أي مشاكل،» تحدث إلى المجموعة الأخرى. لقد واجهنا ما يكفي منها ليوم واحد. نريد أن نعود فحسب. لا نحمل شيئاً تريدونه.»

راوحت مجموعة موريسون مكانها، وقف أولادها متجهّمي الوجوه يراقبون تقدّم الآخرين. كانوا مسلحين بالسكاكين والعصي والرماح. رأى أولي قائدهم، بلو، وهو فتى أسود ذو عضلات وشعر قصير. ابتسم له أولي، محاولاً التودّد بقدر الإمكان، ليظهر له أنهم لا ينوون شراً. هزّ بعض من مجموعة موريسون بروؤسهم مع وصولهم، من دون إظهار أيّ تعبير على وجوههم. لاحظ بلو الكلب الذي كان لا يزال معلقاً على كتف أران.

نظر إلى الكلب على كتف أران ثم إلى الكلب الألزاسي على الأرض.

«أنتم من فعل هذا؟»

«نعم، في وقت سابق.»

استفاق أران من حالته المزاجية الغريبة. كان يعرف أن عليه إظهار وجه شجاع. من المهم ألا يُظهر أيّ ضعف. لم يكن لديهم في مخيّمهم شيء قد تحتاج إليه مجموعة موريسون، لكن كان لا يزال هناك خطر خسارتهم بعض المقاتلين إذا ظنوا أنهم سيحظون بحياة أفضل في المتجر المنافس.

«تبدو في حالة مزرية يا رجل،» قال بلو، وهو يحدق إلى أران ثم إلى فريك. «أفعلت الكلاب بكم هذا؟»

«لا،» أجاب أران. «الراشدون عند بركة السباحة. لا تسلكوا ذلك الاتجاه.»

«لا نسلكه أبداً،» قال فتى ضخم منحني الظهر قليلاً، معالم وجهه قاسية وبشعة. كان ميك، الفتى الذي يساوي موقع أخيليوس في مجموعة موريسون، والمقاتل الأفضل.

«لقد ازدادت الهجمات أخيراً،» قال بلو.

«هذا صحيح،» قال أران. «إنهم يصابون باليأس.»

نظر إليه بلو.

«لقد حصلت بعض المشاكل في ويتروز،» قال.

تسارعت دقات قلب أولي. شعر بأن معدته تتمزق من الألم. ماذا الآن؟

«أيّ نوع من المشاكل؟» سأل أران.

«هجوم من نوع ما. الراشدون يجولون ويصولون في المكان طوال اليوم.»

«تباً،» قال أران وبدأ يركض، وباقي المجموعة تحاول اللحاق به.

كان أفراد مجموعة موريسون ودودين ومتعاونين على غير عادتهم، فكر أولي. وربما يعني ذلك أنهم بدأوا يصابون بالخوف. فعلى أرض الواقع وفي مواجهة الهجمات، كان على الأولاد التعاون.

الراشدون كانوا العدو الحقيقي.

٦

«لقد عادوا!» هرع جوش إلى ماكسي.

ارتطم قلب ماكسي بضلوعها. كانت تشعر باليأس في انتظار عودة أران، لكنها كانت أيضاً مذعورة مما سيفكر. لقد ولاّها المسؤولية وهي فشلت في مهمتها.

لم تُرِد أن تظهر مشاعرها الحقيقية أمام الجميع. لا يمكنها الانهيار مرتين في يوم واحد.

«افتحوا البوابة،» قالت، مسرورة أن صوتها كان قوياً وواضحاً. «من المُراقِب الآن؟»

«كالوم،» قال جوش.

«لم أحتج إلى السؤال، صحيح؟»

«هو عملياً يعيش في الأعلى»

«اطلب من أحدهم قرع الجرس،» قالت ماكسي.

«سأفعل ذلك.» غادر جوش مسرعاً. خلال لحظات قصيرة، سمعت ماكسي صوت الجرس الذي ينبّه الجميع للاستعداد لفتح الأبواب.

اتجهت ماكسي إلى قناة الاتصال. طرقت عليها لتنبه كالوم، ثم تحدثت من خلالها.

«كالوم؟»

«نعم.»

«أما زلت تستطيع رؤية أران وباقي الفرقة؟»

«يكادون يصلون إلى هنا.»

«هل الطريق آمن لفتح البوابات؟»

«نعم.»

«ساد الصمت لحظات ثم انطلقت صفارة قوية.

الطريق آمن.

بعد لحظات، علا صوت المصراع الفولاذي وهو يرتفع. كان المصراع بوابة أمن قديمة ساندت المدخل الرئيسي للمتجر. كانت تعمل عبر لف دولاب كبير ملصق بالجدار.

وقفت ماكسي هناك، تستمع لكن لا تجرؤ على النظر. حاولت التخفيف من توترها والسيطرة على نفسها. عند رفع البوابة، كان الطاقم ينتقل إلى المتجر الكبير لرفع الحاجز.

كان الحاجز عبارة عن بوابة محصّنة ضخمة تطل على الشارع. بناها بيرني وبن. بيرني وبن كانا من الأيمو وكانا شبيهان، رغم كون بيرني فتاة. كان شعرهما أسود منسدلاً ويرتديان بنطالين أسودين للقتال، وقميصين أسودين وبلوزتين سوداوين. كانا يحبان الهندسة واعتادا مشاهدة برامج مثل تحدّي سكراب هيب على التلفاز. أجريا تعديلات كثيرة حول المتجر، من بينها قنوات الاتصال. كانا أيضاً المسؤولين عن فتح الحاجز وإغلاقه.

بعد لحظات، سطع ضوء النهار على المتجر، ثم توالت أصوات هرج ومرج من الشارع. توترت ماكسي. كانت الساعتان الأخيرتان كالعيش في الجحيم. خوف وقلق لا نهاية لهما. شعرت بالمرض في أمعائها.

ها هو أخيراً.

صرخت في قرارة نفسها. بدا في حال مروّعة. وقع أمر ما. لم تكن فقط الإصابة في رقبته والدماء على ملابسه كان لونه شاحباً جداً وكانت هناك نظرة في عينيه. نظرة يأس لم ترها من قبل.

مرّت لحظات قبل أن تلاحظ أن هناك ثلاثة أولاد معه.

أوه لا.

أرادت أن تركض إلى أران وتضمّه بين ذراعيها. لتُشعره بالراحة، لتُشعر نفسها بالراحة، كي تحافظ على رباطة جأشها.

لكن لن يروقه فعلها ذلك. لم تكن لديه فكرة عن المشاعر التي تكنّها له. يجب ألا يكتشفها أبداً. لم تكن فتاة جميلة. كانت عادية المظهر، وجهها شبه مربع، شعرها مجعّد تدلى في جديلتين طويلتين فاضطرت إلى تقصيرهما. بالنسبة لأران، كانت الثانية في القيادة... فقط. كانت قوية. لم تكن تتصرف بأنوثة أبداً. لو عرف أنها تهواه في خيالها لأتى إليها مباشرة.

تهواه في خيالها؟

يا له من تعبير غبي. كان أكثر من مجرد خيال. كانت تحبه. كلمة غبية أخرى. ما هو شعورها حقاً؟ كانت تعرف كيف تشعر. شعور جيد وسيئ في الوقت نفسه. لا أم ولا أب. لا أخ ولا أخت. فقط أران.

لكنه كان مصاباً.

تكلما في الوقت نفسه. لفظا الكلمات نفسها - «ماذا حدث؟»

إذاً كان يعرف بالأمر. استطاع قراءة ما حدث على وجهها. لقد فشِلت.

من كان سيشرح الموقف أولاً؟

تنحنح أران قبل التحدث.

«لقد فقدنا ديكي،» قالها بأنفاس متقطعة.

«أوه لا...»

هزّ أران كتفيه. «كان عددهم كبيراً جداً.»

لم تعرف ماكسي ما تقول. إنها مسرورة لأن أران أخبرها بما لديه أولاً. لم يعد خبرها يبدو بهذا السوء. لكنه كان سيئاً بالفعل.

نظر أران إليها. «رأينا بلو ومجموعة موريسون،» قال. «أخبرونا أن أمراً ما قد وقع.»

«تسلق بعض الراشدين الجدار الخلفي،» قالت ماكسي.

«كم كان عددهم؟»

«لست متأكدة. أربعة أو خمسة...»

«هل أخذوا أحداً؟»

هزت ماكسي رأسها إيجاباً.

نظر أران في أرجاء المكان في محاولة لمعرفة المفقود.

«كان سام،» قالت ماكسي. «سام الصغير.»

«فتى مسكين،» قال أران. «لم ينفذ التعليمات أبداً.»

لا. الراشدون يجولون في المكان منذ رحيلكم. لا أكف عن توقع هجومهم التالي.»

«لن يهاجموا ويتروز،» قال أران وهو يحمل مضربه إلى الرف الذي اعتادوا وضع أسلحتهم عليه. «لم يفعلوا أبداً.»

«قد يهاجمون،» قال أخيليوس، الذي كان يقف بجانب الرف مع فريك وأولي. «إنهم يتغيّرون، كل شيء يصبح أسوأ.»

«انتهى أمرنا جميعاً،» قال فريك الذي بدا بائساً تماماً ومهزوماً.

أمسكه أخيليوس وصفعه فارتطم بالرف ووقعت الأسلحة على الأرض.

«كانت تلك فكرتك الذكية، فريك.» صرخ في وجهه. لولا فكرتك تلك لما حدث كل ما حدث. لا تنس ذلك أبداً. دم ديكي في رقبتك، يا رجل.»

جرّه أران بعيداً.

«لا تتصرف بنذالة،» قال أران. شعر أخيليوس بالغضب الشديد فاستدار بعيداً وزفر بأنفاس قوية، قبل أن يغرق في حالة من الحزن.

«لن نلقي باللوم بعضنا على بعض،» قال أران. «لن يوصلنا ذلك إلى أي مكان. جميعنا في هذه المحنة معاً. إذا بدأنا نتشاجر في ما بيننا، فسينتهي أمرنا بكل تأكيد. اتفقنا؟»

«نعم، لا يهم.» قال أخيليوس بتجهّم.

وضع أران يداً على كتف فريك.

«هل أنت بخير؟»

نظر فريك إلى يديه الملطختين بالدماء، مسحهما بقميصه وهز كتفيه بلا مبالاة.

أنزل أولي الكلب عن كتف أران، الذي كان قد نسي أنه يحمله أصلاً.

«هيا فريك،» قال. «لنر ما يمكننا فعله بهذا.»

بعد لحظات كانت ماكسي وحدها مع أران. كانت تريد أن تبرّر موقفها أمامه.

«دخلوا إلى موقف السيارات،» قالت. «كنا قد طلبنا من الصغار عدم اللعب في الخارج.»

«هذه ليست غلطتك،» قال أران.

«ظننت أنك ستغضب كثيراً مني،» قالت ماكسي بهدوء.

«هذه ليست غلطتك،» كرّر أران.

«أعرف، لكن...»

«إن لم تلاحظي ماكسي، لم أُبلِ أفضل أيضاً.»

انفجرت ماكسي بالبكاء.

«لا يمكنني مواصلة هذا أران.»

«حقاً؟» حدّق أران بها. ظهرت تلك النظرة الكئيبة في عينيه. «ماذا يُفترض بنا أن نفعل إذاً؟»

«لا أعرف، هل أعرف؟» قالت ماكسي، في محاولة للسيطرة على صوتها.

تنهّد أران ومرر أصابعه في شعرها. «آسف،» قال. «كان يوماً شاقاً. أنا القائد. يُفترض أن أعرف ما عليّ فعله صحيح؟»

«لا يمكنك أن تعرف كل شيء. لا يمكن التوقع منك دائماً أن تعرف الطريقة الأفضل لـ...» توقفت ماكسي عن الكلام. لم يكن كلامها يساعد على الإطلاق. «يجب أن ندعو إلى اجتماع. لنناقش الأمر.»

«لاحقاً،» قال أران. «أنا متعب.» أغمض عينيه للحظة. اقتنصت ماكسي الفرصة لتنظر جيداً إلى إصابته. بدت بالغة جداً، صف من الثقوب السوداء التي تحيط بها كدمات صفراء وبنفسجية اللون. لمست الإصابة بأطراف أصابعها بلطف.

«هل هذا يؤلم؟»

جفل أران، ثم هز برأسه إيجاباً.

«يجب فحص الجروح،» قالت ماكسي. «هيا بنا.»

صعدا أعلى السلالم. ضمت الطبقة فوق المتجر عدداً من المخازن، بالإضافة إلى مكاتب ومطعم وبوابة لشرفة السطح. كان الأولاد قد جهّزوا أحد المكاتب ليكون غرفة تمريض احتفظوا فيها بالأدوات الطبية. مطهرات ومنظفات للجروح، ومسكنات للألم، وأدوية خافضة للحرارة ولاصقات جروح. وجدا ماييف تجلس خلف مكتب تحدّق خارج النافذة. كانت ماييف بمثابة الممرضة والطبيبة. كان والداها طبيبين وتعلمت القليل منهما. عرفت في المسائل الطبية أكثر من أي ولد آخر، لذا في عالمهم كانت هي الخبيرة.

أراها أران الاصابة وباشرت التطبيب. نظفت الجروح ووضعت القليل من المطهر ثم اللاصقات، وبعدها أعطته مسكناً للألم. لم تتفوّه بكلمة واحدة. عرف ثلاثتهم أن الوضع خطر، أن عليهم الانتظار بقلق لمعرفة إن كان الجرح سيلتهب. مات ثلاثة أولاد بسبب الالتهابات منذ التجائهم إلى هنا، وخسارة أران بنفس الطريقة ستكون كارثة حقيقية.

لم تعرف ماكسي ما ستفعل من دونه.

7

في تلك الأمسية، عقد الأولاد اجتماعاً في فناء السطح. استطاعوا جعل المكان متمدّناً بقدر الامكان، فقد أضافوا إلى ما وُجد أصلاً أثاثاً أخذوه من مبانٍ قريبة. كانت هناك نباتات مزروعة في أسرّة طويلة، مقاعد حدائق للجلوسِ عليها، بعض الطاولات ومشواتان استُخدمتا لطهو معظم الطعام.

كان لديهم عدد من المصابيح العاملة على الطاقة الشمسية وشموع في جرار صغيرة، كما أشعلوا النار في برميل انتزعه بن وبيرني من قالب غسالة وحوّلاه إلى مجمرة.

كانت أخت سام الصغير، إيلا، تنتحب بهدوء في الزاوية. لفت ماييف ذراعها حولها، أما الباقون فتجاهلوها كلياً. جميعهم خسروا شخصاً قريباً. لم يريدوا أن يذكّرهم أحد بذلك.

حاولت ماكسي جاهدة ألا تنظر إلى الفتاة الصغيرة. حاولت عدم التفكير بحقيقة شعورها الفظيع. لم تكن تلك حالها فقط. جلس فريك في الظلام في زاوية أخرى. لم ينبسِ ببنت شفة منذ عودتهم.

«كما تعرفون جميعاً، فقدنا ولدين اليوم،» قال أران. «الأمور تزداد سوءاً. لا أعرف إلى متى نستطيع الصمود هنا.»

فور قوله تلك الكلمات، علت جوقة من الأصوات اليائسة.

«لكن إلى أين سنذهب...؟»

«نحن بأمان هنا...»

«سنكون على ما يرام. ستعثر على طعام.»

«ستقتل جميع الراشدين.»

«لن أفعل،» صرخ أران بصوت متقطع. أصابت كلماته الجميع بحالة من الذهول. لم يكونوا قد اعتادوا رؤية أران منفعلاً وغاضباً.

«لا أستطيع،» تابع كلامه. «عددهم كبير جداً. لا أستطيع قتلهم جميعاً. لا يمكننا الاستمرار هكذا. نحن نصبح أضعف كل يوم.»

لفّت المكان سحابةُ صمت طويلة. بدا الصغار خائفين جداً، لم يستطيعوا تحمّل ما يحدث. لم يرد أحدهم مواجهة حقيقة واقعهم.

استطاع كسر الصمت فتى كثيف الشعر وواسع الفم، لقّبه الآخرون بالفتى القرد لأنه يحب تسلق الأشياء.

«نحن بخير يا أران. نحن لا نتضوّر جوعاً. لقد أحضرت لنا ذلك الكلب اليوم.»

«نعم، صحيح،» قال أران بمرارة. «لكن إلى متى سنبقى على هذه الحال؟ نأكل الكلاب؟ يأخذنا الراشدون واحداً تلو الآخر. ها؟ إلى متى؟ قابلنا بلو ومجموعة موريسون في طريقنا سابقاً، وهم يوافقونني الرأي. لاحظوا أيضاً أن الراشدين أصبحوا أقوى. إنهم يقضون علينا واحداً تلو الآخر.»

وقف كالوم واتجه نحو ضوء النار المتراقصة.

«اسمع أران،» قال. «أنت تخيف الصغار. نعرف أنه كان يوماً عصيباً. نعرف أنك أُصبت وأنك فقدتَ ديكي وما إلى ذلك. نعرف سبب غضبك، لكن... حسناً، لا تكن متشائماً بهذا القدر، اتفقنا؟»

«أنا آسف حقاً،» قال أران ومسح عرقه عن جبينه.

بقي كالوم واقفاً.

«أيمكنني قول شيء آخر؟»

أومأ أران إيجاباً.

«يجب ألا نغادر هذا المكان أبداً.»

«ألم تسمع أيّ كلمة مما قلت؟» سأل أران.

«هذا هو منزلنا الآن،» تابع كالوم كلامه. «واليوم كان سيّئ الحظ، هذا

كل شيء. علينا أن نكون أكثر حذراً فحسب، اتفقنا؟ لقد جعلنا هذا المكان آمناً. نحن نتعلم الجديد طوال الوقت. لقد نجونا حتى الآن. لِمَ لا نواصل ما نفعله؟ كنتُ على السطح طوال اليوم تقريباً، ويمكنني أن أؤكد لك أنني رأيت حقيقة العالم في الخارج. ليس آمناً، ليس آمناً على الإطلاق...»

تأييداً لكلام كالوم، سمعوا صوت تحطم وصراخ آتياً من الشارع في الأسفل، تبعتهما صرخة مخيفة.

نزل جوش سريعاً من عش الغراب إلى السطح وصرخ بهم.

«هناك شيء في الخارج!»

مكتبة
t.me/t_pdf

8

استطاع أران رؤية الخوف يعلو وجوه الأولاد الصغار. كان كالوم على حق. كل ما أفلح في فعله هو إخافتهم. كان يجدر به الانتباه أكثر إلى كلامه خلال الاجتماع. كان يجدر به الحفاظ على هدوئه. فقد كان بمثابة الملاذ الآمن للأولاد، وتوقعوا منه ألا يُظهر أيّ شك بوضعهم.

لكنه شعر بالخوف ينهش داخله و لم يعد يستطيع الادعاء أكثر. كان خائفاً أيضاً. كان خائفاً خلال الأربع والعشرين ساعة من اليوم، وقد سئم من قضاء كل وقته يشعر بالتوتر والخوف مثل حيوان بري.

والآن وقعت الواقعة. أكثر ما كان يخشاه حدث بالفعل. لقد أُصيب. بدأت موجة من الحرارة تتسلل إلى رقبته. وضع يده على اللاصقة. شعر بالدوار في رأسه، كأنه مصاب ببرد قاس. لم تكن الإصابة هي التي غيّرته، بل تلك الراشدة عند بركة السباحة. تلك الوالدة. كان قد نظر إلى عينيها ولاحظ شيئاً ما.

هز رأسه. لقد تخيّل ذلك. لكن لا يُعقل ذلك.

كان أحدهم يصرخ.

هز رأسه مجدداً.

«أران، ماذا يجري؟» سأل كالوم الذي بدا مذعوراً. «هل هم يهاجموننا؟»

كان محاطاً بهم، بكل أولئك الأولاد الذين اعتمدوا عليه. احتاجوا إلى أن يخبرهم ما عليهم فعله. حتى لو كان على خطأ، عليه أن يبدو مسيطراً

على زمام الأمور. مشاعره لم تكن مهمة في تلك اللحظات.

«لا.» أجاب وهو يقف. «لم يهاجمونا أبداً من قبل.»

«لكنك قلت إنهم يتغيّرون...»

«لا يمكن أن يتغيّروا بهذه السرعة.»

عبر الأبواب الزجاجية نحو المطعم الذي كان مطلاً على أحد جوانب الشرفة. صدرت جلبة للمرة الثانية من الأسفل. صوت خربشات وكأن شيئاً يحاول الدخول. هل يجرؤ الراشدون على مهاجمة ويتروز فعلاً؟

كان المطعم في زاوية المبنى، تحت القبة مباشرة. أطلت النوافذ على الشرفات التي امتدت على طول جدارين خارجيين. من هناك، كان بالإمكان رؤية شارع هولوواي مباشرة وشارع تولينغتون من الجانب. فتح أران باباً وخرج إلى الشرفة الأمامية.

لم تكن السماء صافية وعلتها الغيوم، لذا لم يشع القمر أو حتى النجوم. مصابيح الشوارع لم تعمل منذ أكثر من عام. كل ما تمكن أران من رؤيته هو أشكال تتحرك في الأسفل.

«أحضروا لي مصباحاً،» صرخ قائلاً.

«ما الأمر؟» سأل صوت من الداخل. «ما الذي يجري في الخارج؟»

«هدوء.»

أحضر الفتى القرد له مصباحاً. مصباح أكبر وضوؤه أقوى من الذي حمله سابقاً. كان مشحوناً سلفاً. أشعله وحرك الضوء حتى رأى شيئاً.

والد ذو وجه بنفسجي منتفخ، عيناه تنزان قيحاً. نظر باتجاه أران، وكشّر عن أسنانه المتكسرة مزمجراً.

«راشدون.»

«لكنكَ قلت...»

«لا يهم ما قلت،» أجاب أران بعصبية.

بينما مشط أران بضوئه الأرض مجدداً، لمح شخصاً آخر يتحرك. كان فتى في حوالى الرابعة عشرة من العمر، يرتدي خرقاً ملوّنة، ثياباً رثة مرقعة

الألوان ويحمل حقيبة مدرسية جلدية على كتفه.

«دعوني أدخل.»

«لا تدعوه يدخل! لا تدعوه يدخل!»

ركضت مجموعة من الراشدين نحو الفتى فاختفى عن الأنظار. حاول أران بدون جدوى البحث عنه بواسطة ضوئه.

تجمهر المزيد من الأولاد على الشرفة، في محاولة لرؤية ما يحدث. كانوا مذعورين، يصرخون ويصيحون.

«أران، ماذا سنفعل؟»

«من يكون؟»

«هل هم يهاجموننا؟»

«هل ترى شيئاً؟»

لم يستطع أران التفكير جيداً. كانوا قد وقعوا في فخ سابق، لم يكن ليدع ذلك يحدث مجدداً. كان عليه اتخاذ القرار الصحيح، لكن كان يشعر بالارتجاج داخل رأسه والضجة في أذنيه...

«اصمتوا!» صاح بهم. «ليصمت الجميع!»

ساد الصمت المكان.

أعطى أران المصباح لماييف التي دفعت بالأولاد المتزاحمين إلى جانب أران إلى الداخل.

«ليبق الضوء مسلطاً نحو الشارع.» قال.

«ماذا ستفعل..؟»

تابع أران سيره من دون أن يرد.

«اصعد إلى السطح،» قال وهو يعطي الأوامر خلال سيره. «أحتاج إلى ضوء قوي وأنا في الأسفل، ارم عدداً من المشاعل، وابق حيث تستطيع رؤية ما يحدث. أحتاج إليك لتكون عينيّ.

كانوا يسمعون صوت صراخ مثير للشفقة من الخارج. إنه الفتى الرث الثياب.

«أرجوكم، ساعدوني!»

«دعوه يدخل،» صرخت ماكسي، وهي تهرول نحو أران. «إنه مجرد فتى صغير.»

«لا، لا، الوضع غير آمن،» صرخ كالوم. «نحن لا نسمح لأحد بالدخول. إنه مكاننا نحن.»

«سيُقتل... إنه مجرد فتى صغير.»

اجتاحت أران موجة من المرض. أمسك برأسه بين يديه، أغمض عينيه وصرّ على أسنانه. لم يكفّ عن رؤية ذلك الوجه – وجه الوالدة عند البركة. فرك صدغيه.

«أران...؟» كان كالوم يلكزه من كوعه.

انفجر أران ساخطاً.

«ظننتُ أنني طلبتُ منك الصعود إلى السطح!»

«نعم، لكن...»

«اصعد إلى هناك في الحال! سأخرج. إذا ساء الوضع، استخدم قنبلة.»

«قنبلة؟ إنها لحالات الطوارئ.»

«وماذا يبدو هذا الوضع بالنسبة لك؟»

«حسناً، حسناً.»

استدار كالوم وانطلق مسرعاً.

«أولي؟» نادى أران. «أين أولي؟»

«هنا.»

«ابق وحدك على الشرفة وجهّز مقلاعك، أطلق على كل من يأتي في مرماك. أحتاج إلى مساندتك.»

«حسناً.»

«أخيليوس؟»

«هنا.»

جهّز مجموعة للقتال، أفضل خمسة مقاتلين لدينا، وجهّز بعض الأسلحة.

ماكسي، أحتاج إلى فريق مساندة، ليضمّ كل من يستطيع القتال. ليقف بيرني وبن عند الباب.»

«مستحيل أران،» قال بن. «لا يمكنك فتح الأبواب لهم. أنت لا تعرف عدد الراشدين في الطريق. إذا دخلوا...»

«عندما أقول سنفتح الأبواب، يعني سنفتح الأبواب. هناك ولد صغير في الخارج.»

«لا يمكنك السماح له بالدخول. نحن لا نعرف من يكون. ماذا إن خسرنا بعضاً من أولادنا؟»

«كل ولد في لندن من أولادنا، مفهوم بن؟ لذا كفّ عن استجوابي الآن.»

«آسف.»

خطا أران خطوات كبيرة عبر المطعم المكتظ بالأولاد الصغار. تجمهروا متقاربين خوفاً كسرب من الصيصان. بينما مر أران وباقي المقاتلين من وسطهم، أفسحوا الطريق وهم يصيحون.

«حباً بالله، ليأخذ أحدكم هؤلاء الصغار إلى المخزن.» صرخ أران. كان المخزن المكان الأكثر أمناً في المتجر، وهو المكان الذي ينام فيه الأولاد معظم الوقت.

نزل أران على سلم جانبي يوصل إلى المدخل الرئيسي.

كان بيرني وبن في الانتظار لرفع المصاريع الفولاذية.

أومأ أران لهما وتوجّه نحن رف الأسلحة. كان أخيليوس قد سبقه إلى هناك برفقة خمسة آخرين من بينهم جوش، وعيونهم تومض في الضوء الخافت.

دوّت ضجة من أمام المتجر. صوت تكسير. أمسك أران بمضربه واتجه نحو النوافذ. سحب جانباً رفاً فولاذياً كانوا قد أغلقوا الطريق به بهدف حمايتهم. في البداية، كان الظلام دامساً وتستحيل الرؤية عبر الأوساخ والقذارات. انحنى إلى الأمام، ضاغطاً بوجهه على الزجاج البارد. انتفض إلى الخلف فجأة بينما ارتمى أحدهم على النافذة بصوت مدوّ.

كان راشداً. والداً. راقبه أران وهو يلطخ الزجاج بوجهه المشوه. خلّف أثراً حلزونياً من القيحِ واللعاب وهو يترنح جانباً ثم نزولاً قبل أن يهوي على الأرض. بدا ميتاً.

كانت النوافذ مصنوعة من الزجاج المقوّى، لكن إذا شن الراشدون هجوماً قاسياً، يمكنهم كسر الزجاج والدخول.

تبع أخيليوس أران.

«هل ستخرج إلى هناك حقاً يا رجل؟»

«نعم.»

«آمل أنك تدرك ما تفعل.»

نظر أران إلى أخيليوس، و لم ينبس ببنت شفة.

عندما عاد باتجاه المدخل، كانت المصاريع مُجهزة للفتحِ، بينما تحدّث ماكسي عبر قنوات الاتصال إلى كالوم الذي وقف مستعداً على السطح. دفعها أران جانباً وصرخ في القناة.

«هل رميت المشاعل أم بعد كالوم؟»

«أنا أشعلها الآن.»

«هل ترى شيئاً؟»

«يصعب رؤية ما يحدث. هناك مجموعة من الراشدين. بعضهم يهاجم المتاجر، ويبدو أن الباقين يلاحقون الفتى. لا ينفك عن الهروب منهم. إنه يركض بطريقة هيستيرية. لا أعرف إلى متى يستطيع الصمود.»

«كم عدد الراشدين؟»

«لا أستطيع معرفة عددهم. لا يبدون منظمين أبداً.»

«هل الفتى مسلح؟»

«لا أظن ذلك. مهلاً، أظن أنهم قبضوا عليه. إنه محاصر.»

شتم أران وانحنى ماراً من تحت المصراع باتجاه رصيف المشاة.

ما سمّوه رصيفاً للمشاة كان عبارة عن ممر يبدأ من جانب المتجر باتجاه موقف السيارات في الخلف. نظر أران في كلا الاتجاهين بسرعة. باستثناء

عدد من أشجار النخيل الميتة في قدورها، كان المكان خالياً.

«المكان خالٍ!» صاح أران، فلحق به أخيليوس والآخرون.

«بيرني وبن! نريد الأبواب المطلة على الشارع أن تكون مفتوحة.»

خرج الشقيقان. لم يكونا مقاتلين، بل مهندسان. بدا كلاهما مذعوراً.

«ألا يمكنك رفع الحاجز؟ سألت بيرني وعيناها تظهران قلقاً واضحاً.

«لا،» أجاب أران. «نحتاج إلى أن يكون جميع المقاتلين على أهبة الاستعداد. هيا أسرعا.»

«لكن هناك راشدون في الخارج.»

«سنقتلهم إن اضطررنا إلى ذلك،» قال أران.

«حسناً أيها المخنثون،» سخر جوش. «إنهم لا يخيفونني. لا أطيق الانتظار للخروج إلى هناك. ستكون مذبحة.»

«في الأمر مخاطرة كبيرة،» قالت بيرني.

«أياً كان ذلك الفتى، فهو في مشكلة،» قال أران.

«ماذا إن كان واحداً منهم؟» سألت بيرني. «ماذا إن كان فخاً؟»

«حينها سنقتله أيضاً.»

كانت هناك حركة من داخل المتجر بينما كانت ماكسي تُعد فريق المساندة. كانوا يحملون حراباً دفاعية مصممة خصيصاً لإبعاد المهاجمين.

«ابقوا أنتم هنا،» قال أران. «دافعوا عن الرصيف، وإذا تخطانا أحدهم، فعليكم التأكد من عدم دخوله.

«هل أنت متأكد من ذلك؟»

حاول أران ألا يبدو غاضباً.

«نعم،» كان يكذب.

حينها ظهر فريك، بوجهه الشاحب وبعينين غاضبتين. كان يحمل بيده رمحاً قصيراً.

«أنا ذاهب معك،» قال.

لم يجادل أحد.

تحرك بيرني وبن على مضض باتجاه المصراع واستعدا لفتحه. لقد ابتكرا نظام بوابتين ضخمتين تعملان على دواليب مصنوعة من أجزاء قُصت وجُمعت يدوياً بمشقة كبيرة. وكان معظم الفولاذ المُستخدم من السيارات القديمة.

فتحا القفل، وسحبا السلاسل فانزلقت القضبان الحديدية الثقيلة جانباً. لفا دولاباً خاصاً بالبوابات فصدر صرير مروّع لاحتكاك الفولاذ بالفولاذ.

حينما أصبحت الفتحة واسعة كفاية للمرور، انسل أران عبرها برشاقة. وقف بالقرب راشد مشدوهاً. ضربه أران على رأسه فارتطم بقوة بحجارة الرصيف.

انسل خلفه فريك المتلهف للقتال، وتبعه المقاتلون الآخرون.

«هيا بنا،» قال أخيليوس بينما انتشر مقاتلوه على الطريق. مع أران وفريك في المقدمة، مشى المقاتلون إلى حيث شكّل ما لا يقل عن عشرين راشداً حلقة.

دوّت صرخة من الأعلى وتهاوى مشعل في سواد السماء الحالك، فتناثر وابل من الشرارات بالقرب من الحلقة المتراقصة.

أصابت الراشدين حالة من الهلع، شن أران هجوماً عليهم، شاقاً طريقه بين تلك الجموع للوصول إلى الوسط، مهشماً جماجم يمنة ويسرة.

أتى أخيليوس خلفه ملوّحاً برمحه، متأكداً من عدم اقتراب أيّ من الراشدين إلى فتحة البوابة.

كان جوش يصرخ في وجوه الراشدين.

«هيا أيها الوحوش البشعون، هيا تعالوا ونالوا ما تستحقونه!»

كان الفتى صاحب المعطف المرقع مرمياً على الأرض، ممسكاً بقطعة من الخشب المسنن. أمسكه أران من ذراعه.

«تحرك،» صرخ وهو يوقفه على قدميه. دفع به إلى فريق أخيليوس الذي شكل حلقة حامية حوله. تفرقت حلقة الراشدين وتحركت بطريقة عشوائية، على غير هدى. أدرك أران أن طريق العودة إلى المتجر قد سُدت. لكن لاحظ

مقاتلاً يجتاح الراشدين كموجة مجنونة عالية جعلتهم يندفعون جانباً كسرب من الأسماك الخائفة من مياه ضحلة.

كان فريك، في حالة هياج، يصرخ ويصيح، ملوّحاً برمحه من دون الاهتمام بسلامته.

«بسرعة!» صرخ أران إلى أخيليوس. «خذوه إلى الداخل!»

وصل فريق أخيليوس إلى المتجر وهم يدفعون بالفتى الغريب عبر البوابة حيث كانت مجموعة ماكسي في الانتظار.

«خذوه إلى داخل المتجر،» قال أخيليوس. «راقبوه.»

كان أران يبحث عن فريك. لم يعد يراه في تلك الفوضى.

إنه هناك.

كان ساقطاً على الأرض، وراشد يقف فوقه ويداه على عنقه.

«أخيليوس! تعال معي!»

كان أران يركض بكل ما أوتي من سرعة. كان الوصول إليه صعباً.

في تلك الأثناء، سقط أحد الراشدين الذي أصابته كرة فولاذية ثقيلة من مقلاع أولي. وصل أران وأخيليوس وباقي المقاتلين رافعين أسلحتهم، فانتصب فريك واقفاً على قدميه.

رفع بإصبعه مصوّباً نحو الطريق، كان متعباً لا يستطيع الكلام. نظر أران في الاتجاه الذي كان يصوّب نحوه. استطاع رؤية مجموعة من الراشدين عند مفترق الطرق تشن هجوماً نحوهم.

وقف أران بثبات، مستعداً لأي شيء. نسي كل شكوكه، ركز على محاولة البقاء على قيد الحياة وحمايه أصدقائه. كان مقاتلو أخيليوس برفقته، رماحهم مصوّبة باتجاه الراشدين الذين هاجموا كموجة عالية تجتاح الشاطئ. لكن عند اللحظة الأخيرة، تفرق الراشدون وتخطوا مجموعة الأولاد. لم تكن لديهم شهية للقتال. عرف أران السبب سريعاً. لم يكونوا يهاجمون، بل ينسحبون.

كان بلو وفريق من مجموعة موريسون يطاردون الراشدين عبر شارع

هولوواي، يرشقون الحجارة ويصيحون.

رأى بلو أران فهرع صوبه.

«ماذا يجري؟» سأل.

«أنت أخبرني.»

«كان هناك غبي ما،» قال بلو لاهثاً، واضعاً راحتيْ يديه على ركبتيه. «كان يحاول الدخول. طاردناه بعيداً، ثم شاهدنا هذا العدد الكبير من الراشدين. لم نر هذا العدد منهم من قبل.»

بينما كانا يتحدثان، أبطأ الراشدون المنسحبون من سيرهم، توقفوا، ثم استداروا. ظهر راشدون آخرون من الظلام، من جميع الجوانب. وبالتالي، قُطع طريق عودة فريق موريسون.

«من الأفضل أن تدخلوا المتجر برفقتنا،» قال أران، ومن دون كلمة أخرى، هرع جميع الأولاد نحو البوابات.

دخل أران أخيراً، صارخاً في وجه بيرني وبن ليقفلا الأبواب. زجّ بنفسه عبر الفتحة ومجموعة من الآباء الغاضبين في إثره.

كانت ماكسي تنتظر مع فريقها المسلح بالرماح التي بدأت تُصيب وجوه الراشدين التي اقتربت منها بتثاقل، فكانوا يصرخون ويهربون. أغلقت البوابات سريعاً، واستطاع الأولاد سماع أصوات ارتطام الراشدين بغضب على الفولاذ.

حاول أران قول شيء، لكن منعه من ذلك انفجار دوّى صوته من الخارج. ألهبت الشارع ألسنة نيران متطايرة. لا بد أن كالوم رمى قنبلة من أعلى السطح. كان بيرني وبن قد صنعا القنابل من الألعاب النارية التي فككاها ثم جمعاها.

تلت الانفجار القوي أصواتُ طرقات متنافرة وأنين وصفارات، بينما تطايرت المسامير والجمرات في جميع الاتجاهات.

لم يدم الأمر أكثر من ثلاثين ثانية، لكن عند انتهائه، لف الصمت شارع هولوواي. أمن بيرني وبن الأبواب الموصدة بوضعهما القضبان الطويلة ولف

السلاسل الثقيلة حولها بسرعة. كانت أيديهما ترتجف لكنهما عملا بحذر ومنهجية في محاولة لعدم الإصابة بالهلع، والتأكد من أن كل شيء سُوّي كما يجب. بقي أران وأخيليوس ليتأكدا من أن كل شيء على ما يرام، ثم عادا برفقة الآخرين إلى المتجر حيث تعاون الجميع على إنزال المصاريع.

أخيراً، ساروا إلى حيث وقفت ماكسي وثلاثة من أفراد فريقها حول الفتى الغريب المنحني على الأرض وحقيبته إلى جانبه.

وقف أران فوقه مرهقاً، يتنفس بصعوبة. أمَل أن يستحق هذا عناء ما اضطروا إلى مواجهته.

«من أنت؟» سأل.

ابتسم الفتى. كان شعره يابساً وملبّداً، وله فم واسع في وجه رقيق وذكي، وأنف كان أكبر من أن يتناسب مع وجهه.

«أنا مسرور لعثوري عليكم.»

«سألتك من أنت.»

«ما الذي سيتغيّر إن عرفت اسمي؟»

ركله أخيليوس. «من أنت؟» سأله بخشونة.

«دعني أقف وسأخبرك.»

«لِمَ أسمح لك بذلك؟» سأل أران.

«لقد خضتم معركة خطرة لإنقاذي، ألا تريد سماع ما أريد قوله؟»

«ماذا لديك لتقوله؟»

«دعني أقف وسأخبرك.»

«لا. أخبرني الآن. لا نستطيع الوثوق بأحد. لقد فقدنا ولدين اليوم.»

«وماذا سأفعل برأيك؟ ها؟» سأل الفتى.

«لا أعرف،» قال أران. «كان يوماً حافلاً بالمفاجآت. لا أريد أن أُفاجأ مجدداً.»

«أظن أنك ستجد ما سأقوله مفاجئاً فعلاً.»

«جرّبني.»

أومأ أران برأسه إشارة منه لفريق ماكسي، فترجعوا إلى الخلف قليلاً. وقف الفتى مبتسماً وحك شعره.

«أعرف مكاناً آمناً،» قال. «لستم مضطرين إلى العيش بهذه الطريقة.»

«آمن؟» استوضح أران، «آمن إلى أيّ حد؟»

«طعام. ماء. أسرّة نظيفة. دواء. لا راشدين. ألا يبدو هذا آمناً كفاية بالنسبة لك؟»

«أين ذلك المكان؟»

ابتسم الفتى ابتسامة عريضة أظهرت أسنانه.

«ظننتُ أنك لن تسأل أبداً.»

9

«جلت لندن للعثور عليكم.»

«هراء. كيف عرفت مكاننا هنا أصلاً؟»

« لم أعرف. هذا هو القصد تماماً. عملي هو العثور على أشخاص آخرين، أولاد مثلكم.»

«ماذا تقصد، عملك؟»

«لقد أُرسلت.»

«حقاً؟ قال أولي. «ممن؟ الله؟»

« لِمَ لا تدعني أنهي كلامي لتعرفوا؟ ها؟»

كانوا قد عادوا إلى السطح حيث تجمّعوا في الفناء الصغير. احتشد بلو ومقاتلوه عند الجانب. عندما تأكدوا من خلوّ الطريق من الراشدين، عاد اثنان منهم إلى مجموعة موريسون لاستدعاء فتاة اسمها ويتني، بدا أنها ثاني القائدين بعد بلو، حالها حال ماكسي مع أران. كانت ويتني أضخم من سنها وجلست هناك بوجه متجهّم، في انتظار سماع خبر مؤثر. كان شعرها مربوطاً بجديلتين، وارتدت بذلة رياضية نظيفة لا بد أنها واجهت صعوبة في الحفاظ على نظافتها. بدا أن مقاتلي بلو يتعاملون معها بتحفظ واحترام. وبدا السبب جلياً: أوحى شكل ويتني أنها فتاة لا تقبل سماع الترّهات من أي أحد.

كان أخيليوس ومقاتلوه يجلسون في الجهة المقابلة لفريق موريسون، كل طرف يحاول أن يفوق الآخر صلابة.

جلس أران على أريكة مغطاة بالبلاستيك بعيداً عن النار، ووجهه في الظل. سرّه تولي أولي مسؤولية الاستجواب. كان أولي أفضل المتحدثين وأكثرهم ذكاءً. كان يستطيع تمييز الكذب من الصدق.

كل من خاض القتال الأخير كان منهكاً، لذا لم يعترض أحد على تصرّف أران. إذا أراد أن يمنح غيره حق إدارة دفة الحديث، فلا بأس في ذلك. لكن كانت الحقيقة أنه كان يشعر بحالة مروّعة. كان يحس بجانب رأسه يشتعل، وبطنين وانسداد في أذنه. عض على أسنانه بقوة، وأسدل جفونه، محاولاً التركيز.

لم يأت ذلك بفائدة.

عندما كان يغمض عينيه، كانت تتراءى له تلك الوالدة عند البركة. تانك العينان. تلك النظرة الذكية... ذلك الصوت. أكان يحاول التكلم؟

«مووا...»

فجأة هاجمته بأسنانها البارزة، ففتح عينيه مذعوراً.

حاول الانتباه إلى ما يحدث.

كان الفتى الغريب يتحدث.

«منذ أربع عشرة سنة، حدث شيء،» خاطب الفتى الجميع. «إلى حد معرفتنا، مرض كل من على كوكبنا، لكن لم تظهر العوارض إلا بعد وقت طويل. أربع عشرة سنة.»

«أو ربما شيء ما لم يعد يحدث،» قال أولي.

«ماذا تقصد؟»

«إما شيء ما حدث منذ أربع عشرة سنة جعل الجميع يمرضون،» تابع أولي ببطء. «أو شيء ما لم يعد يحدث فأصاب الجميع بالمرض. وبالتالي كل من وُلد بعد تلك المرحلة لم يُصب بالمرض.»

«أفترض ذلك،» قال الولد الغريب.

«الفترة ليست أربع عشرة سنة.» نظر الجميع إلى ويتني. لا أعد الأيام تماماً، لكن مرت سنة أو سنة ونصف على ظهور المرض.»

«لا يشكل هذا فارقاً،» قال الفتى الغريب. «فجميع الراشدين إما موتى أو مرضى، وعلينا نحن الصغار الاعتناء بأنفسنا.»

«لا نعرف ذلك تماماً،» قالت إيلا أخت سام الصغير. «لا نعرف إن كان العالم بأسره هكذا، صحيح؟»

«لا بد من وجود بعض الراشدين غير المرضى في مكان ما،» قال الفتى القرد. «سينقذوننا.»

«كما قالت ويتني، مرت أكثر من سنة،» قال فريك بصوت بدا آتياً من مسافات بعيدة. «لو كان هناك من سينقذنا، لأتى، ألا تظنون؟ لكن بدلاً من ذلك، لدينا هذا الفتى. جوزيف ومعطفه المرقع ذو الألوان البالية.»

«لن يساعدنا أحد،» قال الفتى الغريب. «ثقوا بكلامي هذا. لقد مرض ومات كل من تزيد أعمارهم عن أربعة عشر عاماً.»

«ليس الجميع،» قالت ويتني.

نظر إليها الفتى مستهجناً ثم قال، «بعض الراشدين يعيشون أكثر من غيرهم، هذا كل ما في الأمر. لقد أصبحوا غرباء.»

«عمّ تتكلم؟» سأل بلو.

«أظن انكم تطلقون عليهم اسماً مختلفاً، أولئك الكبار المرضى الذين لم يموتوا بعد، كتلك الزمرة التي شاهدناها خارجاً.»

«نسمّيهم راشدين،» قال بلو. «لأنهم راشدون.»

«بالنسبة لنا هم غرباء. لقد سمعنا دائماً عن «خطر الغرباء»، وأولئك خطرون بالفعل. لقد ابتلانا الله بلاءً عظيماً.»

«لا أظن أن الله يفعل شيئاً كهذا،» قالت إيلا.

«ربما كان بلاءً من الله،» قال الفتى الغريب. «وربما كان أمراً آخر.»

«مثل نيزك من الفضاء، أو شيء من ذاك القبيل.» اقترحت إيلا.

«أظن أن السبب كان الاحترار العالمي،» قالت بيرني. «أظن أنها كانت كارثة بيئية.»

«أظن أنه كان وباءً مثل الايدز،» قالت مايف.

«ذلك ممكن،» قال الفتى الغريب. «لكن لدينا نظرية أن السبب كان غرباء، إرهابيين، أو شيئاً من ذاك القبيل.»

«نعم،» قال أخيليوس. «مثل قنبلة يا رجل. قنبلة كيميائية، أو سلاح بيولوجي جديد أخطأت نتائجه.»

«لا. السبب كان العلماء.» قال بلو. «علماء تلاعبوا بالجينات الوراثية وما إلى ذلك. تكنولوجيا النانو.»

«هذا غبي تماماً،» قالت بيرني. «لقد قدم العلماء الكثير من الأبحاث الجيدة للبشر.»

«من تنادين بالغبي أيتها الفاشلة المعقدة؟»

تعالت الأصوات، فما كان على ماكسي إلا الصراخ لإسكات الجميع.

«دعونا لا نتشاجر.» بدت كأنها أم متعبة اكتفت من الشجار.

ابتسم أران. كانت ماكسي على حق. فمع كل ما يحدث، كان سخيفاً أن يتشاجروا في ما بينهم. كانت ماكسي تعجبه، أعجبته منذ رآها للمرة الأولى. كانت من نوع الفتيات اللواتي كان يخرج برفقتهن قبل وقوع الكارثة. أما الآن، فقد أصبح متوتراً طوال الوقت لدرجة أنه لم يعد لديه الطاقة للتفكير بأمور مماثلة. كان يستطيع أن يرى أنها غير مهتمّة به. بنظرها، كان مجرد قائد. وربما استاءت منه لأنه القائد. فلولا وجوده، لكانت هي على الأرجح القائدة.

أغمض عينيه.

لا يجدر به التفكير بهذه الطريقة. ليس لديه أيّ فكرة إطلاقاً عن ماهية شعور ماكسي تجاه أيّ شيء. كان السم في جسده يشوّش تفكيره.

سابقاً، عندما لمست ماكسي رقبته، شعر برعشة بسيطة. مرّ وقت طويل منذ أن لمسه أحد بتلك الطريقة. كانت لمستها رقيقة وناعمة. ربما احمرت وجنتاه خجلاً. أمَلَ أنها لم تلحظ شيئاً.

حاول أن يتخيّل الموقف لو أنه قابلها قبل وقوع الكارثة. لكان تأنق بأفضل ملابسه، وخرج في موعد غرامي، ربما لمشاهدة فيلم، أو حفل

موسيقي، أو ربما الذهاب إلى المرج.

تخيّل أنه يقبلها.

كف عن ذلك، أران، ستسبب الحزن لنفسك فحسب.

انخفضت الأصوات وبدأت ويتني بالتحدث. «لنسمع ما لدى رثّ الثياب هذا.» قالت، وهي تلقي بنظرات قاسية على الفتى الغريب.

«شكراً لكِ،» قال.

«إذاً، بعد نقاشاتكم الذكية، لم تكتشفوا السبب؟» سألت ويتني. «سبب الوباء.»

هز الفتى الغريب برأسه. «لا أحد يعرف. كيف لنا أن نعرف؟ نحن مجرد أولاد. كان الراشدون يخبروننا بكل شيء، في الصحف، على التلفاز، في المدرسة. أما الآن، فلم يعد هناك راشدون ليخبرونا بأي شيء. ويمكنكم التفكير بذلك إيجاباً أو سلباً.»

«إنها كارثة،» قالت ماكسي.

«حقاً؟ هذا العالم عالمنا الآن.»

«إنه عالم أحمق،» قال كالوم فضحك بعض الأولاد.

«ليس المكان الذي أتيتُ منه،» قال الفتى الغريب.

«من أين أتيتَ إذاً؟» سأل كالوم.

«قصر باكينغهام.»

علت ضحكات خفيفة تبعتها جوقة من السباب والاستهزاء من بعض الأولاد. ابتسم الفتى الغريب فحسب.

«أنا أقول الحقيقة.» قال. «لم لا؟ لقد ماتت الملكة، وجميع من كان بخدمتها، جميع الحراس بقبّعاتهم ذات الفرو، والشرطة، والسياح... لم يعد هناك راشدون يملون علينا تصرفاتنا. هناك أولاد مثلنا فقط، ويمكننا فعل ما يحلو لنا.»

10

«تحاول إخبارنا أنك تعيش في قصر باكينغهام؟» قالت ويتني وعيناها البنيتان الذكيتان تلمعان مع ابتسامة.

«نعم. المكان جميل. هناك حديقة تحيط بها الأسوار العالية التي تعلوها الحراب. المكان آمن. نزرع الخضار في الحديقة، نشرب المياه من البحيرة، وننام في أسرّة الملكة. لا أحد يستطيع الدخول، فهناك ما يكفي منا لإبقاء القصر آمناً. لدينا حراسنا. نحن نبدأ بداية جديدة.»

«ما الذي تفعله هنا إذاً؟» سأل أولي.

«فكرنا أنه لا بد من وجود أولاد آخرين في الخارج،» قال الفتى الغريب. «أولاد نجوا. وكلما زاد عددنا، كان أفضل. سنكون في أمان أكبر. يمكننا إنتاج المزيد من الغذاء، والعمل معاً تدريجاً لإعادة بناء المدينة. يمكننا أن نبدأ ببناء لندن جديدة. بالقرب من القصر هناك سان جايمز بارك، وهناك مساحة واسعة لزراعة حقول فقط لو كان لدينا عدد الأشخاص الكافي. لذا أُرسلت للعثور على أولاد آخرين، كي أخبرهم بما نفعل وأعيدهم معي.»

«حسناً، لدينا أخبار لك يا فتى،» قال كالوم. «لن نرافقك. لَم عسانا نترك يوماً هذا المكان؟ لا نحتاج إلى قصر باكينغهام الذي تسكنونه، شكراً جزيلاً لكم. لدينا ويتروز.»

«اخرس، كالوم.» قال أخيليوس. «لننصت للفتى.»

«قطعتَ المدينة بأكملها وحدك؟» سأل أولي بعدم اقتناع.

خيّمت سحابة من الأسى على وجه الفتى.

«في البداية كان عددنا خمسة،» قال. «ظننا أن جميع أرجاء لندن ستكون حالها كحال المكان الذي أتينا منه. لم ندرك مدى الخطر أو عدد الغرباء المتربصين هنا.»

«لماذا؟» سألت إيلا. «كيف هو المكان الذي أتيت منه؟»

«أخبرتكم. إنه آمن. اختفى معظم الغرباء من وسط المدينة. قتلنا الكثير منهم سابقاً. ومن بقيٍ منهم، لم يعترضوا طريقنا أبداً. لقد هُزموا. لكن كان الوصول إلى هنا ضرباً من الجنون. اضطررنا إلى المرور عبر الأراضي الوعرة. أمسكوا بنا واحداً تلو الآخر. فقدتُ ألفي اليوم، كان آخر من بقي معي. أما الآن، فبقيت وحدي.»

ابتلع ريقه بصعوبة. بدا واضحاً أنه كان يحاول تجنّب البكاء. لم ينبس أحد ببنت شفة للحظات. أخيراً، كسر أولي الصمت. جلس القرفصاء وتحدّث بهدوء مع الفتى.

«كم عدد الأولاد الذين عثرتم عليهم خلال رحلتكم؟» سأل. «كم عدد الذين أرسلتموهم؟»

أخذ الفتى نفساً عميقاً. «لا أحد. أنتم الأوائل. كانت الخطة الأساسية التجوّل فيٍ جميع أرجاء لندن لتجنيد جميع الأولاد الباقين. لكن الوضع خطر جداً.» ابتسم ونظر باتجاه أولي. «لكن مجموعتكم يمكن أن تُحدث فرقاً. معاً، يمكننا العودة بسهولة. فأنتم تعرفون كيفية الاعتناء بأنفسكم. أنتم مقاتلون أشدّاء، بل أفضل من رأيت. يمكنني أن آخذكم إلى هناك. يمكنني أن آخذكم إلى الأمان.»

«دعني أطرح عليك سؤالاً،» قال أران بصوت أجش. استدار الجميع بأنظارهم إليه. كانت تلك الكلمات أول ما نطق به منذ بدء الاجتماع.

«ماذا؟»

«لمَ نذهب إلى وسط المدينة؟ لمَ لا نغادر لندن كلياً؟ نذهب إلى الريف؟ لدينا فرصة أكبر للنجاة هناك بكل تأكيد. إنه المكان الذي حاول معظم الراشدين الوصول إليه قبل موتهم.»

«تماماً،» قال الفتى. «وأظن أنه المكان الذي ذهبوا إليه فعلاً. وسط لندن خالٍ، لم يبق أحد منهم هناك، لكن كلما ابتعدنا باتجاه الريف، عثرنا على المزيد منهم. إذا حاولتم التوجّه بعيداً عن المدينة، فستجدون المزيد منهم. تحتاجون إلى قطع أميال طويلة قبل الوصول إلى ريف خالٍ من الراشدين، لكن ما المسافة من هنا إلى المدينة؟ خمسة أميال أو ستة على الأكثر. يمكن قطع المسافة سيراً خلال ساعتين إذا لم تتوقفوا لقتال الغرباء. من يعرف ما ستجدونه إذا قررتم مغادرة لندن؟ أما في وسط المدينة، حيث أتيت، فيمكنني أن أخبركم كيف هو الوضع... آمن.»

«كيف لنا أن نعرف أنك لا تكذب؟» سأل أولي.

«ما الفائدة التي تعود إليّ من الكذب؟»

«لا أعرف. لا أعرف فعلياً أيّ شيء عنك.»

«صحيح،» قال بلو. «ما اسمك؟»

«البعض ينادونني جستر، والبعض الرجل الساحر...»

«البعض ينادونه عورة،» قال أخيليوس، فعلت الضحكات في المكان.

أومأ جستر برأسه. «نعم، قد يناديني البعض بهذا الاسم. لقد أُطلقت عليّ أسماء أسوأ. يمكنك أن تضحكوا عليّ قدر ما شئتم، أو تستمعوا إليّ.»

«نحتاج إلى إثبات قبل مغادرتنا هذا المكان والانطلاق عبر لندن،» قال أولي.

«لديّ إثبات.»

«حقاً؟»

«لديّ صور.»

«أيّ نوع من الصور؟»

من آلة تصوير قديمة. صور.»

«أرنا إياها.»

أنزل جستر حقيبته المدرسية عن كتفه وفتحها. فتش فيها ثم أخرج ملفاً برتقالي اللون. فتحه وأخرج منه مجموعة كبيرة من الصور المربعة اللامعة.

مررها إلى أولي الذي تصفحها بسرعة بينما أخذت ابتسامة تتسع على وجهه شيئاً فشيئاً. حمل الصور إلى أران الذي انحنى قليلاً إلى الأمام ليراها جيداً تحت الضوء.

لم تكن مزيّفة. لا يمكن تزييف صور المادة المستقطبة للضوء. لم تكن كالأيام الخوالي عندما كان بالإمكان تعديل أي شيء على شاشة الحاسوب. لم يعد هناك مجال للتصوير بعد فقدان الكهرباء والطاقة لتشغيل الحواسيب. كان الفوتوشوب برنامجاً من بين الأهم في تلك الأوقات، أما الآن فلم يعد له أيّ حاجة. عديم الفائدة.

كانت تلك الصور حقيقة محضة. أظهرت قصر باكينغهام ومجموعة من الأولاد السعداء الذين يتمتعون بصحة جيدة، يتخذون وضعية التصوير أمام ساحة المواكب، يجلسون حول طاولة كبيرة يتناولون الغداء في الداخل، يعملون في الحدائق، يسبحون في البحيرة، يلعبون كرة القدم. بدت كأنها الجنة المستحيلة. لمحة عن عالم آخر.

شعر أران بتورّم في حلقه. بدأت يداه ترتجفان. أعاد الصور إلى أولي الذي مرّرها بدوره إلى بلو. وسرعان ما مُررت بين أيدي الأولاد المتحمسين واحداً تلو الآخر، الذين علت وجوهم الابتسامات العريضة وأومأت رؤوسهم بالرضى. علت همهمات سعيدة. كان كالوم الساخر الوحيد. نظر إلى الصور باشمئزاز وسخر ممن فيها.

بدأت عينا أران تغشوان. ما رآه لا يمكن تخيّله. كان **الأمل**. إذا كان كلام هذا الفتى صحيحاً، فقد تتغيّر الظروف في المستقبل. ربما سيحظى هو وماكسي بالفرصة. في وقت سابق، بدا أن لا مجال للنجاة، بدا أنهم جميعاً سيموتون ببطء هنا في هذا المركز التجاري الفارغ والبائس، يتلقفهم الراشدون واحداً تلو الآخر ويقتلهم الوباء، يقتلهم الراشدون أو الكلاب، أو يقتل بعضهم بعضاً.

هل من سبيل للنجاة حقاً؟

كان بالكاد يستمع إلى الحديث بينما حاول أولي استجواب جستر

للحصول على تفاصيل أكثر.

كان يتذكر كيف كانت حياته من قبل. في منزل والديه الكبير في دارتماوث بارك. كان يلعب على المرج مع أصدقائه، ويذهب إلى كامدن للتسكع في السوق. كان يتجول في الطرقات، يتناول غداء يوم الأحد برفقة أمه وأبيه.

أمه وأبوه...

لم يستطع تذكّر معالم وجه والده تماماً. فقد كان رجلاً كثير الانشغال وبالكاد عاد إلى المنزل. أما أمه...

فلم يستطع أبداً نسيان وجهها.

كان الوجه الذي رآه عند البركة.

أمه.

لا.

لم يكن ذلك صحيحاً. لقد تخيّل ذلك فحسب. مستحيل أن يكون ذلك – **الشيء** – أن يكون أمه. كان خدعة الضوء.

أدرك أن الدموع تنساب على وجهه. شعر بالراحة لأن أحداً لم يستطع رؤيته. تحوّل مجدداً إلى فتى صغير أراد أن تضمّه أمه بين ذراعيها، أن تتحدث إليه بنعومة، أن تغنّي له حتى يخلد إلى النوم.

ذلك الشيء عند البركة، إن كانت أمه فعلاً... لقد حاولت قتله.

«مووا...»

مسح وجهه مجففاً دموعه. إذا بدت عينيه حمراوين، فسيظن الآخرون أن السبب هو الإصابة.

«سنذهب،» قال بحزم فنظر الجميع إليه. «لا آبه إن كان جستر يلفّق الأمر. لا آبه إن لم يكن هناك شيء في الطرف الآخر. لا يمكننا البقاء هنا مدة أطول. في الصباح، سنحزم متاعنا وننطلق.»

«لحظة واحدة،» قالت مايف التي لم تكن كالأولاد الآخرين. لم تكن من لندن. كانت تزور أصدقائها في كامدن عندما تغيّر كل شيء وطرأت

الكارثة وعلقت هنا منذ ذلك الحين. «ألا يجدر بنا مناقشة الأمر أكثر؟»

«ما الذي سنناقشه؟» سأل أران.

«حسناً، أظن أن هذا ضرب من الجنون،» قالت ماييف.

«ربما،» قال أران. «لكنني لن أبقى هنا.»

«ماذا عمّا قلته سابقاً بشأن الذهاب إلى الريف. إذا أردنا مغادرة المكان، يجدر بنا الاتجاه نحو الريف. المدينة تعج بالراشدين. الطعام الوحيد الذي نستطيع العثور عليه هو علب فارغة وطعام فاسد في المنازل المهجورة. هذه ليست الحياة التي يجدر أن نعيشها.»

«أخبرتكم سابقاً،» قال جستر بصوت يشوبه الغضب. «نحن نزرع المحصول في القصر. كل شيء على ما يرام. إذا ذهبتم إلى أيّ مكان آخر، فستذهبون نحو المجهول.»

«نشأت في الريف،» قال ماييف. «أعرفه جيداً. نحتاج إلى الابتعاد عن المدينة والذهاب إلى مكان يمكننا الزراعة فيه وتربية الماشية. نحتاج إلى المساحات الواسعة والهواء العليل. نحتاج إلى مغادرة لندن.»

«ربما نفعل يوماً ما،» قال أران. «لكن علينا أن نخطو خطوة تلو الأخرى. إذا كان جستر على حق، وكان وسط المدينة آمناً، إذا استطعنا بناء مخيّم في القصر والتمرّن لنصبح أقوى، حينها نستطيع الاستعداد. لا أعرف – ربما نرسل كشافة، مثل جستر، لكن بعتاد أكبر – ربما نعثر على الطريق الأفضل...»

«لِمَ الانتظار؟» سألت ماييف. «إذا اتجهنا إلى وسط لندن، فنحن نسلك الدرب الخطأ. ألا يمكنك رؤية ذلك؟»

«هذا هو القرار النهائي،» قال أران الذي شعر بالإعياء والاكتفاء من التكلم لهذه الليلة.

«لدى ماييف وجهة نظر،» قالت ماكسي. «إذا توحّدنا مع مجموعة موريسون، فسنصبح أقوياء. ستكون لدينا فرصة للنجاة. قد تكون فرصتنا **الوحيدة**، كي نبدأ حياة طبيعية جديدة».

«دعونا نصوّت،» قالت مايف.

«حسناً، حسناً،» قال أران، الذي أراد أن يخلد إلى النوم فحسب. «لكن هؤلاء الأولاد أبناء مدينة مايف. كل ما يعرفونه هو لندن. بعضهم لم يخرج من المدينة قط.»

«حسناً، أنا فعلت،» قالت مايف. «وصدقني فيما أقول، المدينة ليست مركز الكون. فرصتنا الوحيدة في مستقبل لائق هي في الابتعاد بقدر الإمكان. أنا أطالب بهذا منذ التجأنا إلى هنا، وقد حانت الفرصة لنفعل ما هو صواب. إذا اتجهنا شمالاً وصولاً إلى A1 (طريق رئسي شمال لندن)، ثم تبعنا M1 (طريق سريع)، فسنصبح خارج المدينة خلال يومين أو ثلاثة.»

«حسناً،» قال أران، «لقد عبّرتِ عن وجهة نظرك. كل من يؤيّد الذهاب إلى القصر مع جستر فليرفع يده.»

بدأ أولي يعدّ أيدي المصوّتين المرفوعة بانتباه.

«كل من يؤيّد خطة مايف، ليرفع يده.»

فوجئ أران بعدد الأيدي التي رُفعت تأييداً لمايف. وشرع أولي في العد مجدداً. لكن لم يكن العدد كافياً، لذا كانت الأصوات الأكثر من نصيب أران.

«حسنٌ إذاً،» قال أران. «لقد حُسم القرار.» وقف عن كرسيّه ومشى نحو بلو.

«ما رأيك؟» سأله. «هل ستأتي معنا أم تفضّل إجراء تصويت أولاً؟»

«لا نحتاج إلى تصويت. نحن لا نتبع أيّ ديموقراطية يا رجل. أنا القائد، والقرار لي.»

«إذاً؟»

وقف بلو ونظر في عينيْ أران.

«سنرافقكم.»

تصافحا تأكيداً لتعاونهما. كان شعوراً جيداً أن يُقدم المرء على فعل شيء لنفسه. استدار بلو نحو جستر ونظر إليه نظرة تهديد.

«إن كنت تكذب علينا أيها الرجل الساحر، **فسيُقضى عليك.**»

11

سام الصغير لم يكن ميتاً. تلك الفكرة استحوذت على كل تفكيره. لم يكن ميتاً. عندما وضعوه في كيس، ظن أنه قُضي عليه. انتهى أمره. كان مغمى عليه، لكن عندما استفاق، وجد نفسه يتأرجح داخل الكيس على كتف أحد الراشدين. كانت رائحة الراشد نتنة، لكن ليست أنتن من رائحة الكيس نفسه الذي كان مشحماً بآثار اللحم العفن والبراز. شعر سام بالاستياء لكونه في الكيس، لم يكن يستطيع رؤية شيء. كان قد بلل نفسه.

أحضروه إلى هذا المكان ورموه على الأرض. لم يكن لديه أيّ فكرة عن مكان وجوده. كان لا يزال في الكيس. لقد استغرقوا حوالى عشر دقائق للوصول إلى هنا. حملوه أعلى السلالم، الكثير من السلالم. لا بد أنهم في مكان عال جداً.

في البداية، كلما تحرك، كان أحد الراشدين يركله، وإذا أنَّ ركلوه مجدداً. لاحقاً، جلس أحدهم عليه لبرهة، وحالما توقف عن المقاومة، نهض عنه. سكن بعد ذلك كما لو كان ميتاً، وأخيراً تركوه وشأنه.

إذاً، كان لا يزال على قيد الحياة. حتى الوقت الحالي. لكنه عرف في قرارة نفسه، أنه إن لم يكن الحظ حليفه فلن ينجو لباقي الليل. لم يشك أبداً في أن الراشدين كانوا يخططون لأكله. فهذا ما كانوا يفعلونه بالأولاد الذين قبضوا عليهم. السبب الوحيد الذي ردعهم عن تناوله حتى الآن هو أن بطونهم كانت ملأى.

بينما كان مسلتقياً داخل الكيس كجثة هامدة، تماماً كالفأر المذعور،

سمعهم يأكلون. لا بد أنهم قبضوا على فتى آخر قبله. من حسن الحظ أن الفتى كان ميتاً مسبقاً. فكر سام أنه لم يكن ليقوى على سماع استغاثة الفتى وبكائه وصراخه طلباً للمساعدة...

كانت أصوات التهامهم للفتى مقززة جداً. علا صوت تمزيق، وصدر بين الفينة والأخرى صوت تكسر عظمة. همهم الراشدون ببهجة وهم يأكلون، يقضمون بصوت عال، يمضغون ويتجشأون. أحياناً صدر صوت طحن بالأسنان، وأحياناً بصق أحدهم. بعد لحظات سمع أصوات شجار.

شعر سام بالراحة لأن لديهم شيئاً آخر يأكلونه، لكنه شعر أيضاً بالأسف لأنه كان فتى آخر.

كان سعيداً، سعيداً جداً، لأنه لم يستطع رؤية شيء. كانت رائحة الدماء مقززة جداً، جعلته يريد التقيّؤ.

ساد الهدوء الأجواء. كاد أن يتخيّل أنه وحده تماماً.

كان خائفاً جداً، أكثر خوفاً من أيّ وقت مضى في حياته. ورغم أنه لم يعش حياةً طويلة، فقد مر بأوقات مخيفة كثيرة. مثل الوقت الذي تركه فيه أمه وأبوه. حدث ذلك ذات ليلة. دخلت أمه إلى الغرفة التي شارك فيها أخته إيلا، كانت حال أمه مروّعة. كانت متعبة ومتعرقة وتبدو مريضة ببشرة صفرة وهالات سوداء كبيرة تحت عينيها، كتل رمادية حول أنفها، حبوب مثل مراهقة. كانت ترتجف بقوة وتصطك أسنانها عالياً لدرجة أنه كان يستطيع سماع صوتها ذاك. أيقظته من نومه وحضنته بقوة، فشعر بدموعها تنهمر على رقبته. أخبرته أنها سترحل برفقة والده. قالت إنها لا تستطيع فعل شيء لمساعدته وأخته، وإذا بقيت فستكون خطراً عليهما.

تذكّر جانيت، تلك الأم العزباء التي عاشت في الشقة العليا، والتي قتلت ولديها قبل رمي نفسها من النافذة. ولداها، جاك وكيلسي، كانا صديقيه... كانت تحدث أمور فظيعة، أسوأ مما في برنامج Doctor Who (دكتور مَن)، أسوأ حتى من أي فيلم مرعب.

طلبت منه والدته الاعتناء بإيلا، وهو حاول ذلك. حاول ذلك بالفعل.

لكنه كان صغيراً. وها هو الآن ترك إيلا وحيدة. لا بد أنها شعرت بالحزن من دونه هناك. أمَلَ أن يتفهّم أمّه وأبوه الأمر. فقد كان صغيراً جداً للاعتناء بأحدهم، كان في سنّ التاسعة فحسب.

لم ير أمّه وأباه يموتان على الأقل. أحياناً، عندما كان يشعر بالحزن والوحدة، تخيّلهما على قيد الحياة. سعيدين. رآهما على جزيرة مشمسة، كما كانا عند ذهابهما إلى جزر الكناري. أقنع نفسه بأنهما ذهبا في إجازة طويلة إلى مكان لم يصبه الوباء. أنهما كانا على شاطئ يرتديان ثوبي سباحة ويضعان نظارتين شمسيتين، ويشربان الكوكتيل. أفرحته تلك الفكرة دائماً، تخيّل أنهما بخير في مكان ما وأنهما ربما يفكران به وبإيلا. كانا على الأرجح يخططان للعودة وإنقاذهما.

في أعماقه، عرف أنهما لن يعودا أبداً. لا بد أنهما ماتا تماماً مثل الراشدين الآخرين. لأنه إن لم يموتا...

فلا بد من أنهما أصبحا مثل الآخرين.

أولئك الراشدون، أولئك الذين قبضوا عليه، فقدوا بشريتهم. فقدوا النطق السليم، كانوا ينخرون ويهسهس بعضهم على بعض. تصرّفوا كمخلوقات غاضبة، كل ما فكرت به هو الطعام.

أوه أمي، ليتك كنت هنا الآن...

لم يعد خائفاً أبداً. في البداية، كان الحمل أثقل من أن يتحمّله. لكنه أصبح صلباً أمام الخوف. كان قد تعب من الخوف المستمر، فبدأ يشعر به يتلاشى لدرجة التخدير. بل كان يشعر بالملل.

منذ متى وهو مستلق هنا؟ تسللت خيوط ضوء خافتة عبر ثقوب الكيس، ما يكفي ليعرف أن الليل قد حل. كان الراشدون لا يفقهون كيفية إشعال النار أو استخدام المصابيح الشمسية أو المشاعل. لقد نسوا كل شيء. أمَلَ أن يكونوا نائمين، فحينها قد يحاول الهرب. لم يكن مقيّداً. كل ما كان عليه فعله هو الانزلاق خارج الكيس والهرب.

ذات مرة، ذهب في رحلة مدرسية إلى مزرعة. رأى أغناماً وأبقاراً

وخنازير ودجاجاً، وتساءل حينها لَمَ لم تحاول الحيوانات الهرب. بدا الأمر سهلاً. لكن في ذلك الحين، كانت الحيوانات غبية والبشر أذكياء.

أما الواقع الذي هو فيه فكان مختلفاً. الراشدون كانوا أغبياء وهو ذكياً. صحيح أنه كان صغيراً، لكنه كان أذكى منهم.

ابتسم.

سيهرب.

لكنه سينتظر لبعض الوقت، حتى يتأكد فعلاً من أن المكان آمن.

بدأ يعد، ليس سريعاً وليس بطيئاً. قرر إن لم يسمع صوتاً أو أي حركة عندما يصل إلى العدد ألف، فسيفتح الكيس ويلقي نظرة.

واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة...

خمسة وعشرون، ثلاثون، خمسة وثلاثون، أربعون...

كان العد إلى ألف يستغرق وقتاً أكثر مما توقع، بل كأن ذلك يستغرق إلى الأبد. شعر بالملل عند العدد أربعمئة وعشرين، فتوقف.

مر وقت طويل منذ سماعه أيّ حركة للراشدين. أهم نيام يا تُرى؟ أم ربما ذهبوا للصيد مجدّداً وتركوه وحده؟

ببطء، ببطء أكثر فأكثر، بدأ يتملص من الكيس، محاولاً التحرك حركات صغيرة. كان يتوقف كل بضع ثوان وينصت، وعندما كان يتأكد أن كل شيء على ما يرام، تابع.

قليلاً قليلاً، أنزل الكيس حتى رقبته. وجد نفسه مستلقياً على جانبه على سجادة لزجة ونتنة.

تفحص المكان من دون أن يدير رأسه. في البداية كان الظلام حالكاً و لم يستطع رؤية شيء بوضوح. ميّز فقط أنه في غرفة طويلة فيها نوافذ على جانب واحد. كانت تشبه شرائط لونها أزرق باهت مائل إلى رمادي على جدران سوداء.

انتظر، من دون حراك، حتى اعتادت عيناه الضوء، شيئاً فشيئاً بدأت معالم الغرفة تتوضح.

رأى ستة راشدين بالقرب. الوالدة والآخرون الذين قبضوا عليه إضافة إلى اثنين، والد عجوز سمين أصلع الرأس، وشاب ذي لحية مبعثرة. كانوا جميعهم يغطون في نوم عميق، يشخرون وينخنخون.

كانت الغرفة قذرة، تبعثرت على أرضها عظام مكسرة وقطع لحم وجلود. رأى عدداً من الكراسي الوسخة، وكومة من الخرق العتيقة في الوسط، وعند إحدى الزوايا مرحاض الراشدين. كانوا قد تبرزوا على السجادة حيث طار الذباب فوق البراز.

تقيّأ. أراد أن يشتم. فكر في أسوأ كلمة قد تخطر بباله وصرخ بها عالياً في قرارة نفسه.

أنذال.

لم يعرفوا أكثر من التبرّز على الأرض.

أنذال قذرون.

في ويتروز، كانوا يتبعون نظاماً معيناً. استخدموا دلاءً كمراحيض، وتناوبوا يومياً على إفراغها في المصارف خارجاً.

لكن هذه ليست حال هذه الزمرة المتوحشة.

لقد كرهها جداً.

كان أقربَ الجالسين إليه والدٌ تململ خلال نومه وأطلق ريحاً كثيرة ببطء. تناثرت على وجهه خيوط من ضوء القمر. نظر سام إليه. لم ير راشداً موبئاً بهذا القرب من قبل. رآهم فقط يتجولون بتثاقل في الشارع على مسافة آمنة.

كان الوالد قذراً وبشعاً جداً، وشعره ملبّداً ومزيتاً، بل لم يشبه الشعر بشيء. صُبغ جلده، الذي تهدلت طياته، وغطته القروح والبثور والدمامل. بينما تشقق في بعض الأماكن ليبرز سواد لزج. تثاءب، فرأى سام ثقباً كبيراً في خده. من خلاله، استطاع رؤية أسنان مكسرة نتنة.

انكفأ سام على نفسه وابتعد ببطء عنه.

اصطدمت قدماه بجسم ناعم. لم يلاحظ راشداً سابعاً أخذ شكلاً لولبياً إلى جانب الحائط. ارتجف خلال نومه وتحرك بعصبية. حبس سام أنفاسه.

كانت والدة. لفت ذراعيها حول واحدة من رجليه واستكانت عليها.

ذكّرته هذه الراشدة بجانيت. كانت أصغر سناً من الوالدة الأخرى ذات الشعر الأسود المعقود. كان في شعرها مشبك فضي على شكل فراشة. فكر سام أنه قد يكون سلاحاً نافعاً. سحبه بحذر وأحكم قبضته عليه. كان على شكل إبرة طويلة مزيّنة بحشرة صغيرة عند الطرف. إذا اقترب أحد أولئك الأنذال منه، فسيغرزه فيه. نعم، سيفعل. ليقترب أحدهم وسيرى، سيغرزه في الصميم.

أنذال قذرون.

أنذال، أنذال، أنذال...

شعر بالراحة لإطلاقه الشتائم، حتى لو كانت في قرارة نفسه فحسب.

حاول إفلات رِجلِه، لكن الوالدة أحكمت قبضتها عليه. إذا سحب رجله بقوة، فقد تستيقظ.

درس ملامحها. بدت لطيفة، وجميلة أيضاً. وإذا بها تدير رأسها، فرأى الجانب الآخر من وجهها: كانت تكسوه الدمامل. غطت الكتل المتورّمة خدها، ورقبتها، وأذنها، وحتى جفونها. كان جلدها مشدوداً، وبدا أن الدمامل قد تنفقئ في أي لحظة.

اجتاح سام دافع قوي ليفقأ أحدها بمشبك الفراشة. بدلاً من ذلك، انحنى واستخدم طرفه ليدغدغ جلدها. انتفضت خلال نومها وسرعان ما تركت رجله لتحك المكان الذي دغدغها فيه. أطلق تنهيدة ارتياح لابتعاده عنها.

عليه توخي الحذر أكثر. كلما أنعم النظر في المكان، وجده قد غص بالراشدين. افترشوا بأجسادهم الأرض بأكملها. إذا خطا خطوة في غير مكانها، فسيدوس على أحدهم. تذكر عندما اصطحبه والده إلى حديقة الحيوانات في ريجنت بارك. في وكر الزواحف، كان يحاول رصد العظاءات والأفاعي في أقفاصها الزجاجية. عندما بحث عنها في البداية، لم يستطع رؤية شيء، لكن تحلى بالصبر فإذا به يراها ممدّدة في جماعات، جاثمة بعضها فوق بعض نصف مدفونة تحت الصخور، كسولة كما السكارى.

كان عليه الخروج من هنا.

في البداية، لم يستطع فهم ما رأى. كان المكان أشبه بسفينة فضاء ضخمة، لكن ذكره بشيء معيّن.

نعم. المدرج في فيلم المجالد.

بالطبع.

إنه ملعب أرسنال لكرة القدم. كان في مقصورة الضيافة ينظر إلى صفوف وصفوف من المقاعد الحمراء الممتدة نزولاً باتجاه الملعب. كان هناك راشدون، بعضهم نائم على المقاعد، وآخرون ممدّدون على الأرض، وبعضهم يجوبون المكان على غير هدى.

ربما عادوا إلى هنا لتآلفهم مع المكان، لأنه عنى شيئاً لهم. لن تُقام أيّ مباريات كرة قدم هنا لوقت طويل. في الأسفل، ارتفعت حشائش الملعب. كان هناك والد واقف، بهدوء، مثل تمثال. وصل طول الحشائش حتى ركبتيه. كان سميناً، وحاله حال الكثير من الراشدين، كان أصلع تماماً. ارتدى صدرية طُبع عليها صليب سان جورج الأحمر. راود سام شعور مخيف عندما بدا له أن الراشد يحدق به مباشرة.

انتاب الحزن سام. لقد اصطحبه والده إلى هنا ذات مرة. تذكّر كيف كان المكان يضج بالحياة والأصوات والألوان. حينها شعر بالخوف في البداية، فالجميع كانوا يصرخون، ويغنون، ويشتمون، ويقفزون إلى أعلى وأسفل. لكن سرعان ما اعتاد الأمر وبات يصرخ ويشجّع مثلهم رغم أنه لم يكن من محبّي كرة القدم.

لكن يا للحال التي آل إليها المكان...

كانت هناك أبواب دوارة زجاجية تُوصل إلى المدرّجات. لكن حتى إن لم تكن مغلقة، فالضجة التي ستصدر من محاولة فتحها ستُوقظ الراشدين. عدا عن كل ذلك، وقف عدد من الراشدين إلى جانبها. إذا رأوه، فسيكون الهرب منهم مستحيلاً في هذا المكان الواسع. لا. لا بد من مخرج آخر، مخرج خلفي. لا بد من وجود سلالم خلف المدرّجات.

زحف عبر السجادة. كان القمر بدراً، وشع على المطعم الخلفي الذي ملأته الطاولات والمقاعد المكسرة. كان لا يزال هناك المزيد من الراشدين النائمين. أشاح سام بنظره بعيداً عند رؤيته نصف جثة مأكولة، ما زال رأسها معلقاً، ممددة تحت إحدى الطاولات.

لا تنظر. لا تنظر. لا تنظر.

حاول الادعاء أنه في فيلم. لطالما تمتع بمخيّلة خصبة. كان يطلق العنان لمخيّلته في لعبة لساعات وساعات. اختار فيلم Lord of the Rings (سيد الخواتم)، اقتبس دور قزم في قصر المخلوقات المتوحشة. كان والده يقرأ على مسامعه الكتاب قبل إصابته بالوباء بليلة واحدة، لكن كانت القراءة عادة قديمة في نظره، فقد فضّل الفيلم.

لم يكن مجرد قزم عادي. كان سام. سام وايز كامجي، الأشجع على الإطلاق، أما مشبك الفراشة في يده فكان سيف جنّي.

هذا صحيح، استمرّ بالتفكير بأمر آخر.

كان المكان هنا أكثر ظلمة لخلوّه من النوافذ، وكانت الرائحة أسوأ. تذكّر المرة التي أضاع فيها صندوق طعامه. ظن أنه تركه في المدرسة. تبيّن بعد أسابيع، أنه كان قد تركه تحت مقعد السيارة. عندما فتحه، فاحت منه رائحة عفنة، فقد كان الطعام فاسداً ونما عليه فطر أخضر بشع ولو حُرك من مكانه لأطلق كماً هائلاً من الجراثيم. في الواقع، أصيب بالمرض حينها، فالرائحة كانت نتنة جداً.

الرائحة هنا كانت أسوأ. شعر بحرقة لاذعة في عينيه.

أنذال قذرون...

تقدّم متكئاً على الجدار، متأكداً من عدم وجود راشدين نيام. تحرك بهدوء على أطراف أصابعه بينما أغلق فتحتي أنفه بأصابعه وتنفس من فمه. لا بد أن هذا المكان مرتع للجراثيم. فكر ما نتيجة تنفس كل هذه الروائح؟

رأى ما بدا له باباً، عند الجانب الآخر من الغرفة، خلف المنضدة. اتجه نحوه بخطوات أسرع من السابق. عند منتصف الطريق، لاح جسم أمامه

فشعر أن قلبه توقف بين ضلوعه.

لقد استيقظ أحد الراشدين.

جثم سام على الأرض وتمدد على السجادة اللزجة، ضاغطاً على وجهه إلى أسفل حتى تصعب رؤيته. أحياناً، كان الحجم الصغير مفيداً له.

عبر الراشد مسافة سنتيمترات من حيث كان يتمدّد سام. لكن حالما اختفى عن الأنظار، هب سام مسرعاً نحو المنضدة واختبأ متكوراً خلفها.

شعر سام أن الراشد سمع صوتاً. أصدر الراشد صوتاً مخنوقاً وبدأ يتحرك في الظلام.

كان سام يحكم قبضته على مشبك الفراشة، لكنه ليس بالسلاح الكافي، كان عليه العثور على شيء آخر يمكنه استخدامه. تحسّس بيده الأخرى الرفوف خلف المنضدة. لا بد من وجود شيء ما. مفتاح عبوات ربما، أو حتى سكين. أمسكت يده بجسم بلاستيكي صلب. تحسسه بأصابعه في محاولة ليعرف ما هو.

ولاعة سجائر.

أفضل من لا شيء. قد تساعده في رؤية طريقه إذا هرب من هنا. دسّها في جيبه وتابع البحث.

لم يجد شيئاً آخر. أخيراً كفّ الراشد عن التحرك. لقد بقي سام هنا ما يكفي، كان قريباً جداً من الهرب و لم يعد يحتمل الانتظار هنا أكثر.

أطل من خلف طرف المنضدة. لم يرَ شيئاً. لا حركة. فقط تلك الأشكال السوداء على الأرض. مشى في اتجاه الباب على أطراف أصابعه، عابراً بقعة رطبة. لم يرقه أن يعرف ما هي، لكنها لطخت قدميه بمادة غريبة.

راوده ذلك الصوت القوي الفظيع، لكنه لم يستطع التوقف.

تابع التحرك سام. اخرج من هنا.

كان عند الباب. كان مفتوحاً.

حمداً لله.

لقد وصل.

وداعاً أيها الأنذال القذرون.

عبر الباب. كان الظلام دامساً، لم يستطع رؤية يده أمام وجهه. أقنع نفسه أن لا بأس في ذلك. لن يقفز أي شيء عليه لأن لا شيء سيراه في الظلام.

لم تساعده تلك الفكرة مطلقاً.

كان مسمّراً في مكانه. فكر، وإن لم يكن قد جرّب تدخين سيجارة، لفعل ذلك في هذا الظرف. كان قلبه يخفق بقوة لدرجة أنه شعر بجسمه يرتجف، وفي الصمت الرهيب، كان الدم المتدفق إلى أذنيه يصيبه بالصمم. لقد خاف دائماً من الظلام. كانت أمه تطلب منه دائماً ألا يقلق.

«إن لم تستطع رؤية الوحوش، فهي لا تستطيع رؤيتك.»

حينها، لم يكن هناك وحوش. ليست وحوشاً حقيقية. فقط خيالية.

الآن...

حبس أنفاسه وخطا إلى الأمام ويداه ممتدتان أمامه، لامساً الباب بقدميه.

لقد وصل إلى درجة.

السلالم.

جيد. ستأخذه السلالم بعيداً عن هذا المكان المروّع.

درجة... درجتان...

سيحتاج إلى وقت طويل للتسلق خارجاً، لكن قد يجد النوافذ قريباً.

خطوة تلو الخطوة. بدأ بالتحرك أسرع وزادت ثقته بنفسه. زاد من إيقاعه.

وصل إلى جدار، ارتبك للحظات لكن عاد وأدرك أن السلالم وصلت إلى منعطف. مد يديه متلمساً في الظلام.

لمستا شيئاً دافئاً وناعماً.

ما كان ذلك؟

لقد تحرك.

لا...

استدار. كان عليه الهرب. فكرة واحدة صعقت تفكيره راشد.

بدأ يبكي. لم يستطع الهرب، ليس في الظلام. ركع على ركبتيه ويديه ومشى مثل كلب، وعيناه مغمضتان بقوة. كان الراشد يلاحقه، استطاع سماع احتكاك خطواته، وأنفاسه المتسارعة.

شعر سام بقبضتين قويتين تُمسكانه من كاحله. ركل. هرب. جرى بسرعة.

لكن إلى أين يذهب؟ في الأعلى، هناك المزيد من الراشدين.

لصق ظهره إلى الحائط ووقف هادئاً، فقد يمر ذلك الراشد من دون أن يراه. لكن الراشد وصل، أصبح بالقرب منه.

صرخ سام مذعوراً وصعد السلالم بأقصى سرعته. عاد إلى الباب المؤدي إلى غرفة المدير. كانت هناك حركة عند الجانب الآخر. بدأ الراشدون يستيقظون.

انتهى كل شيء وقُضي عليه. لم يجدر به أن يصرخ.

دخل الغرفة متعثراً، بدا الضوء الخفيف فجأة ساطعاً بعد الظلام الحالك الذي خيّم على السلالم.

سمع ما كان أشبه بصوت ارتشاف. استدار، ليجد الراشد يسد الباب بقوامه. كان ضخماً، والداً طويلاً، يزيد طوله على ستة أقدام. كان يرتدي معطفاً طويلاً وسخاً، تدلت من ذقنه لحية سوداء طويلة، ولم تكن لديه أسنان. فتح فمه في صرخة صامتة وأمسك بسام، ملصقاً إياه نحو صدره.

دخل والد هائج إلى الغرفة وحاول أخذ سام. ضربه الضخم بعنف.

توالى قدوم الراشدين ذوي الظهور المنحنية والأرجل المتقوسة التي لا تقوى على حمل أوزانهم.

لا بد أن ذلك الضخم دخيل أتى لسرقة الطعام. لم يعجب هذا مجموعة الراشدين القاطنين غرفة المدير. تجمهروا حوله، قوتهم في عددهم، لكنه دفعهم بعيداً عنه وضربهم بعنف. كان سام ملصقاً بصدر الضخم الحار والرطب. الوالدة التي أمسكت به سابقاً، قبضت على ذراعه وأخذت تشدّها. شعر سام أنه سيُمزق إلى جزءين.

«ابتعدي عني! ابتعدي عني!» لكن بدا أن صراخه يزيد من نوبة جنون الراشدين. كان سام محاطاً بمجموعة من الأجسام النتنة، الكريهة الرائحة وأصابع تخدش جلده، ووجوه تقترب منه. لكن لا شيء جعل الضخم يفلته.

كانت يد سام التي تُمسك بمشبك الفراشة عالقة تحت طية ذراع الضخم. لكنه تذكر الولاعة. فتش بيده الطليقة في جيبه حتى عثر عليها. دعا الله أن تعمل.

ضغط على الزر. لا شيء. ضغط مجدداً. لا شيء أيضاً.

مجدداً... تك تك تك...

شرارة.

هيا. هيا.

تراقصت بقع متحركة أمام عيني سام. سمع طنيناً في أذنيه. لم يعد يستطيع التنفس. قد يُغمى عليه في أيّ لحظة.

ضغط مجدداً، فخرجت شعلة برتقالية صغيرة.

رفع يده التي تحمل الولاعة نحو لحية الضخم.

كانت النتيجة مذهلة. لمع وهج يُعمي الأبصار بينما فرقعت واحترقت لحية الضخم. صرخ الأخير بصوت كالعواء وأفلت سام، ضارباً بيديه الضخمتين الوسختين لحيته محاولاً إخمادها.

سام بين أقدام الراشدين وقد يتعرّض للدهس. كان الضخم يقفز في كل مكان. جفل سام عند شعوره بأيد تمتد نحوه. أدرك أن الولاعة لا تزال في يده، بشعلتها المضاءة. أمسك بإحكام طرف معطف الضخم وأشعل النار فيه، فهبّت النيران بعد ثوان.

تعثر الضخم عبر الغرفة بينما انتشرت النيران في معطفه. بقي بعض الراشدين على مسافة منه، بينما قفز آخرون على ظهره. خلال لحظات، كانت تنشب معركة ضارية، تكسّرت القطع الباقية من الأثاث واشتعلت النيران فيها. بدا أن والدة سمينة تنفجر كما لو أن ثيابها مخزن للغازات القابلة للاشتعال.

ركضت أجسام مشتعلة في ذعر. كان الضخم أشبه بكرة مشتعلة حيّة. أضاءت النيران الغرفة كما لو كان نهاراً، واستطاع سام رؤية المشهد المروّع. دماء وقذارات وأشلاء جثث هامدة في كل مكان.

كان مشهداً من الجحيم.

لم يبقَ ليشاهد.

«موتوا أيها الأنذال القذرون!» صرخ، وخلال لحظات كان ينزل السلام، حاملاً بيده الولاعة المشتعلة ليرى طريقه. بدأت شعلتها تخبو حتى نفدت آخر قطرة من الغاز، لكنه كان ينزل بسرعة، يخطو ثلاث درجات في كل خطوة.

تعالت الصرخات المذعورة خلفه. استدار ونظر. كانت النيران تصل إلى السلالم بينما الراشدون المشتعلون في إثره.

اركض، سام، اركض...

12

«لن أرافقكم.»

«ماذا تقصد بأنك لن ترافقنا؟»

«لن أغادر هذا المكان، أران. إنه منزلي. إنه آمن. أحب المكان هنا. لن أغادر ولن تجبرني على ذلك.»

«كالوم، لا يمكنك البقاء هنا وحدك.»

«لن أكون وحيداً. لا بد أن أولاداً آخرين يريدون البقاء، اسأل ترَ. لن أكون وحيداً. ليس الجميع يريدون الذهاب.»

«لكن جميعهم في الخارج ينظرون. لقد رتبنا كل شيء.»

«اسألهم،» قال كالوم. «اسألهم إن كانوا يريدون الذهاب حقاً، أم يفضّلون البقاء هنا معي.»

«لقد أجرينا تصويتاً،» قال أران بصبر فارغ.

«لا، لم نفعل. صوّتنا على الذهاب إلى وسط المدينة أو الريف. لم تسألهم أبداً إن كانوا يفضّلون البقاء هنا. لذا اسألهم.»

«اسألهم أنت،» قال أران.

«لا،» قال كالوم. «لن أخرج إلى هناك. أنا سعيد بوجودي هنا.» جلس وضمّ ذارعيه إلى صدره.

«حسناً، ماذا إن أراد واحد أو اثنان البقاء؟» قال أران. «كيف ستنجو كالوم؟ هذا جنون.»

«سأخبرك ما هو الجنون،» قال كالوم بغضب. «مغادرتكم جميعكاً فجأة

عند ظهور فتى غريب الأطوار يرتدي ثياباً مرقعة الألوان. ما يحدث أشبه بقصة من الخيال، كقصة عازف المزمار من هاملن الذي يأخذ الأولاد بعيداً، ولا نعرف ما يفعل بهم، يأكلهم أو شيء من ذلك القبيل.»

«هذا ليس ما يحدث في القصة.»

«حقاً؟ حسناً لا يهم، لم تكن النهاية سعيدة في مطلق الأحوال. لَمَ استمعت لذلك الأحمق؟ ها؟ لَمَ صدقت كلامه؟ من الواضح أنه كاذب.»

جال أران بنظره في المتجر الواسع، حيث قضى عاماً كاملاً من حياته. كانا يقفان في الطبقة الأرضية من المتجر، محاطين بصفوف من الرفوف الفارغة. لقد سئم من رؤية المكان.

«كالوم،» قال بثبات. «أيّ شيء أفضل من البقاء هنا والموت واحداً تلو الآخر.»

«قد لا تجري الأمور هكذا. افعل ما شئت أران، أما أنا فسأبقى.»

«لا يمكنك البقاء.»

«لَمَ لا؟»

«لَمَ لا؟» مجرد فكرة مغادرة هذا المكان أعادت الأمل إلى قلب أران. لقد اختبر ليلة صعبة. ازداد الألم في رقبته. لم يدرِ إن كان خلد إلى النوم فعلاً. أما في هذه اللحظات، فشعر بأن طبولاً تُقرع في رأسه، وأن عينيه ناشفتان متقرّحتان. كان يتعرّق بغزارة. آخر ما أراد فعله هو البقاء هنا والقلق على نفسه.

نظر إلى كالوم الجالس بعناد على كرسيّ قديم، كما لو أن شيئاً في العالم لن يزحزحه من مكانه.

«ماذا إن اقتحم الراشدون المكان؟» سأل.

«لن يحاولوا ذلك إن ظنوا أن المكان مهجور.»

«سيجرّبون بالتأكيد، أقصد... يا إلهي، كالوم، بربك، ما الذي ستأكله؟»

«سأخرج بحثاً عن الطعام، مثلما فعلتَ تماماً. وكلما كان عددنا أقل، احتجنا إلى طعام أقل. في الواقع، سيكون ذلك أسهل.»

«نعم، وماذا إن لم يبق أحد معك؟ ماذا يحدث حينها؟»

«لن يحدث ذلك. أولاد آخرون كثر سيردون البقاء. أنت تجبرنا على المغادرة، ولا يعجبنا هذا أبداً.»

تنهّد أران.

«حسناً، سأسألهم،» قال.

خرج تحت أشعة الشمس حيث كان أولاد ويتروز وموريسون في الانتظار. كان مجموعهم سبعة وخمسين، وحمل الجميع أكياس نوم وحقائب ظهر، وطعاماً، ومياهاً وأسلحة.

«يقول كالوم إنه لن يرافقنا،» أعلن أران. همهم بعض الأولاد بكلمات الاستغراب.

«تصرّف نموذجي منه.»

«يفكر دائماً بنفسه فقط.»

«دعوه. ليس مقاتلاً. يمكننا العيش من دونه.»

«لكن لا يمكننا تركه هنا فحسب،» قالت ماكسي. «سيموت.»

«ماذا نفعل إذاً؟» سأل أخيليوس. «هيا لنغادر.»

هدّأ أران من روعهم. «هل يريد أحد آخر البقاء؟»

لا أحد.

وقف الأولاد في صمت، يهزّون رؤوسهم نفياً.

«متأكدون؟» سأل أران. «لا يجدر بكم الذهاب إن كنتم لا تريدون. من منكم يفضّل البقاء هنا مع كالوم؟»

لم يجب أحد مجدّداً.

أغمض أران عينيه وفرك جبينه. لم يعد أمامه سوى حل واحد: عليه إقناع كالوم بمرافقتهم لذا مشى بخطوات كبيرة نحو الداخل.

استدارت بيرني نحو بن. لقد بدوَا شاحبين جداً تحت أشعة الشمس. ملابسهما البيضاء أبرزت بياض بشرتهما، فهما نادراً ما كانا يخرجان.

«من المؤسف ترك كل شيء،» قالت بيرني. «كل شيء بنيناه.»

«يمكننا بناء المزيد،» قال بن. «إذا كان جستر يقول الحقيقية فعلاً، يمكننا صنع الكثير من الأشياء في القصر. يمكننا إعادة بناء لندن بكاملها. سنصبح مشهورين، وسيشيدون تماثيل لنا.»

«نعم، لكن... قنوات الاتصال، الحواجز، أدوات الطبخ التي أصلحناها في المطعم، ونظام الإشارات الذي كنا نعمل عليه، استغرقنا وقتاً طويلاً لإنجاز كل ذلك.»

«أتريدين البقاء؟» سأل بن.

نظرت بيرني بحزن نحو المتجر.

«لا،» أجابت. «أريد الابتعاد ملايين الأميال عن هذا المكان. فهو يذكّرني كثيراً بكل شيء فقدناه. جميع الأصدقاء الذين ماتوا. كل الأوقات السيئة.»

«إنها بداية جديدة،» قال بن. «سنصنع أشياء أجدد وأفضل.»

«نعم.» ابتسمت بيرني ولفّت ذراعها حول بن.

بالقرب، تجمهر عدد من الأولاد حول أحد أفراد مجموعة موريسون. حمل ولد في سنّ السادسة يُدعى جويل جرواً صغيراً جداً لفّه في سترة قديمة بين ذراعيه.

«أوه، إنه ظريف جداً.»

«انظروا إليه، إنه يلعق يدي.»

«ما اسمه؟»

«غودزيلا،» قال جويل فضحك الجميع.

نظرت إليهم ماكسي أيضاً وابتسمت. في البداية، احتفظوا بكلاب في ويتروز، مثل كلاب حراسة وكلاب أليفة، لكن لاحقاً بات تأمين الطعام لها صعباً وأصبحت نصف متوحشة. في نهاية المطاف، اضطروا إلى إطلاق سراحها. على الأرجح لاقت الكلاب حتفها، كذلك معظم الحيوانات الأليفة التي رباها البشر.

ليست الحيوانات الأليفة وحدها التي اختفت، بل حتى الجرذان. لم يعد هناك بشر يتركون نفايات وبقايا، ولا طعام يكفي لأعدادها الهائلة. تضوّرت

جوعاً، أو غادرت المكان، أو التهمتها القطط. القطط أكلت الجرذان، الكلاب أكلت القطط، والراشدون أكلوا أيّ شيء عثروا عليه جرذان، قطط، كلاب، أولاد، بعضهم بعضاً. كل شيء كان يحاول أكل كل شيء آخر.

لاحظت ماكسي فتى يقف عند طرف المجموعة، لم ينضم إليها. وقف هناك محدّقاً، يقولب بين يديه قطعة كبيرة من المعجون. اتجهت نحوه وانحنت متحدثة معه.

«ما اسمك؟» سألت. حدّق الفتى بها لكنه لم يرد، بل قولب قطعة المعجون بين أصابعه إلى حبل طويل جداً.

«لا يتكلم،» قال بلو وهو يقف إلى جانبها. «أصبح أخرس منذ توفي والداه.»

«يا للصغير المسكين.»

«ليس أصمّ ولا يعاني من مشكلة.»

«لا.»

«نسمّيه بيل مقولب المعجون. يلعب دائماً بالأشياء. فقط الأشياء التي تجعله سعيداً.»

ابتسمت ماكسي لبيل ولاحظت أنه قولب المعجون على شكل حرف باء. باء من بيل.

«أظن أن علينا جميعاً التعرف بعضنا إلى بعض،» قالت ماكسي إلى بلو.

«أظن ذلك.»

«أنا ماكسي على فكرة.»

«لا بأس يا فتاة. أعرف من تكونين.»

ابتسمت ماكسي بارتباك، غير متأكدة كيف ستفهم كلماته. شعرت ماكسي ببعض الخوف من بلو. ذكرّها بأولاد عرفتهم سابقاً، ذلك النوع الذي ينادي في الطريق ويسخر مع أصدقائه عندما تحاول تجاهلهم.

«هل أنت حبيبة أران؟» سأل بلو.

«لا،» قالت ماكسي بسرعة وحدة. «ما الذي يجعلك تظن ذلك؟»

«لا أعرف. فأنت ثاني مَن في القيادة هنا.»
«هل ويتني حبيبتك؟»
«ويتني؟ مستحيل.» ضحك بلو.
رسمت ماكسي على وجهها تعبيراً قالت فيه، «الأمر سيان.»
خرج أران من المتجر بوجه متجهّم. اتجهت ماكسي نحوه.
«ألم يحالفك الحظ؟» سألت.
«لن يغيّر رأيه.»
«يمكننا إجباره على ذلك.»
«ما الجدوى؟ إذا لم يرد مرافقتنا، فليس مجبراً على ذلك.»
«لا يمكننا تركه هنا.»
«لا أظن أن لدينا خياراً آخر.»
«ربما يجدر بي التحدث معه،» قالت ماكسي.
«ستكون مضيعة للوقت.» اقترب أران من بلو. «هل يريد أحد أفرادك البقاء؟»
«لا. لقد اكتفينا من هولوواي، سنذهب إلى القصر.»
ابتسم ابتسامة عريضة، فابتسم أران بدوره له.
كان من الصعب تصديق ما سيحدث. إنهم حقاً ذاهبون إلى قصر باكينغهام. سار أحد مساعدي بلو الهوينا وكأنه يجرّ نفسه جراً نحو بلو. كان طويلاً ونحيفاً، داكن البشرة، مشعث الشعر، ناعساً. حك إبطه.
«مستعدون؟» سأل متشدقاً.
«نعم.» أجاب بلو وهو ينظر إلى ماكسي. «لويس، هذه ماكسي. ماكسي، هذا لويس. يبدو بليداً، لكن لا تدعي مظهره من النظرة الأولى يغشك. إنه قاتل. سيحمي الجناح الأيسر خلال المسير.»
ابتسم لويس بنعاس ورفع يده في تحية لماكسي.
«حسناً،» قالت ماكسي. «أظن أن كالوم لن يرافقنا، إذاً نحن مستعدون للانطلاق.»

قضى بلو وأران وجستر الصباح في العمل على خطة تحرك. كالعادة، سيسلكون الطرقات الرئيسية والسير في وسطها بعيداً عن مباني الجانبين. تقتضي الخطة أن يتولى أران وبلو قيادة المجموعة إضافة إلى جستر وأفضل المقاتلين من المجموعتين. قادت ماكسي الجناح الأيمن المكوّن من مجموعة أصغر، وقاد لويس الجناح الأيسر. تولى أولي مسؤولية المجموعة الخلفية المؤلفة من عدد من المقاتلين. أما الأولاد الأكبر سناً فتمركزوا في الوسط حول الأطفال الذين كانت ترعاهم كل من ويتني ومابيف وبعض الفتيات المسؤولات. عُيّن ولدان لمتابعة العدد في كل مجموعة، وهما جوش لمجموعة ويتروز وويتني لمجموعة موريسون. كانت مهمتهما إحصاء عدد الأولاد حتى لا يُترك أحدهم سهواً. أخرَج جوش لائحته وشطب بتمهّل اسم كالوم. شعر بالحزن قليلاً حيال ذلك. فقد قضى أوقاتاً كثيرة برفقة كالوم على السطح. لكن كالوم كان يتصرف بغرابة أخيراً فسُرّ جوش نوعاً ما للتخلص منه.

كان يتحرّق شوقاً للمغادرة.

كانت إيلا تبكي. شقت طريقها عبر الأولاد الكبار نحو أران.

«أريد أن أبقى،» قالت.

«ماذا؟ لا يمكنك ذلك إيلا.» ركع أران على ركبتيه ليساوي طولها.

«يجب أن أبقى.»

«لماذا؟ ما الأمر يا عزيزتي؟»

«إنه سام،» بكت إيلا. «ماذا إن عاد إلى هنا و لم يجدني.»

طوّق أران الصغيرة بذراعيه.

«أوه، إيلا،» قال. «أخشى أنه لن يعود أبداً. لقد رحل إلى الأبد. عليكِ تقبّل الأمر.»

«لا،» قالت إيلا بغضب. «ليس ميتاً. سيعود إليّ. إنه أخي، أنا أعرف أنه سيعود.»

«إيلا، لو عرفتُ أن سام سيعود، لانتظرته، لانتظره الجميع. أنت تعرفين ذلك، لكنه رحل. تماماً مثل باقي الأولاد الذين فقدناهم. علينا أن نفكر

بأنفسنا الآن. فكري بالمستقبل. مؤكد أن سام كان سيريد لك السعادة، أليس كذلك؟»

«نعم.»

«كان سيريد الأمان لكِ؟»

«نعم.»

«لذا، علينا أن نغادر من أجله. اتفقنا؟»

مسحت دموعها وهزت برأسها إيجاباً.

«ستعتني بي، أليس كذلك؟» قالت.

«بالطبع. ستكونين الليلة آمنة في القصر، مثل أميرة.»

وقف أران، ثم أغمض عينيه بينما اجتاحت أحشاءه موجة من الألم. أراد أن يغادر منذ ساعات مضت، لكن تنظيم الأولاد كان بمثابة كابوس. شعر بأنه أب يجهّز أولاده للذهاب في إجازة، متعاملاً مع المشاحنات والشكاوى والأسئلة، دافعاً إياهم لحزم متاعهم، صائحاً عليهم عند نسيانهم شيئاً. ثم جاء التأخير بسبب كالوم.

بدا أخيراً أنهم جاهزون للانطلاق.

كانوا سيتبعون الطريق الرئيسي نحو كامدن، يعبرون ريجنت بارك نحو شارع ماريليبون، وصولاً إلى بورتلاند. بورتلاند ستأخذهم إلى مدرج أوكسفورد ومن ثم نحو شارع ريجنت، مدرج بيكادلي، عبوراً بسان جايمس بارك. من هناك، يسيرون مباشرة على طول الميدان المشجّر نحو القصر. إذا مشوا سريعاً فسيصلون خلال ساعتين. لكن مؤكد أن الصغار سيبطئون المسير، وإذا توقفوا في مواجهة مع الراشدين، وهذا ما سيحدث بالتأكيد، فسيُبطئ ذلك من سيرهم أكثر. رغم كل ذلك، يمكنهم الوصول في نهاية النهار. لذا لم يكن هناك من خوف. كان جستر وأصدقاؤه قد استغرقوا وقتاً أطول في قطع المسافة وذلك لأنهم سلكوا الطرقات الخلفية والشوارع الجانبية، ظناً منهم أنها ستكون أكثر أماناً. لقد ضيّعوا وقتاً طويلاً في الهرب والاختباء ومقاتلة الراشدين.

أمل أران أن يكون عددهم الكبير رادعاً لهجوم الراشدين. لكن إن هاجموا فعلاً، حسناً - سيكونون مستعدين لهم.

كانوا جيشاً.

راقب أران الأولاد بينما اتخذوا أماكنهم. كانوا متشوّقين جداً في جوّ مشحون بالحماسة، كما تكون الحال عند انطلاق رحلة مدرسية. الصغار تحديداً كانت معنوياتهم عالية. فقد كرهوا البقاء خلف الأبواب طوال اليوم وشعروا بالسعادة للتعرف بعضهم إلى بعض. الأولاد الأكبر سناً كانوا أكثر تحفظاً، فمنهم من تواجهوا وتقاتلوا في الماضي. لكن من المؤكد أن أران وبلو لن يتقاتلا مجدداً. الهدف المشترك والعدو المشترك كانا عاملين مُساعدين أساسيين، أما الأجواء فقد كانت إيجابية. عرف أران إنه إذا وقعت مشكلة ما، فستقع شجارات وينشب قتال.

«هيا إذاً،» قال وهو يلقي نظرة سريعة أخيرة على ويتروز. «لننطلق.»

«رفع يده وثبتها فوق رأسه حتى تأكد أن الجميع قد رأوها، أنزلها مصوّباً إياها نحو وسط المدينة.

ارتفعت صيحات البهجة. شرع أران في السير، وتبعه باقي الأولاد.

كانوا يسيرون نحو حياة جديدة.

13

لف سام نفسه على شكل كرة ليصبح بأصغر حجم ممكن. كان يقبع داخل خزان مياه فارغ في علية منزل في مكان ما بالقرب من فينسبري بارك. تشارك المساحة مع بعض الحمائم النافقة العفنة. كانت رائحتها نتنة لدرجة أنها علقت في حلقه وجعلت عينيه تدمعان. لكنه أمل أن تُخفي تلك الرائحة رائحته، أمل أن تُبعد الراشدين. حتى الآن، كان كل شيء على ما يرام، فقد قضى معظم الليل هنا. ينتظر. يستمع. كان الأمر يشبه العودة إلى ذلك الكيس مجدداً.

كانت الساعات الأخيرة الماضية مُحيّرة وكان متعباً جداً. كان قد لحق به على سلالم المدرج ثلاثة راشدين. اثنان منهم اشتعلا بالنيران، فلم يصلا إلى أسفل السلالم، وتمكن سام من تضليل الثالث في متاهة من الممرات خلف المقاعد. كان قد ضل طريقه أيضاً. في وقت ما، وجد نفسه يركض عبر الملعب، يراقبه عدد من الراشدين المرتبكين من أعلى المقاعد.

أخيراً، وجد طريق الخروج، وبينما كان يعدو تطلع خلفه ليرى الطبقة العلوية من المدرج تشتعل بالنيران. برج من اللهب وصل إلى سماء الليل.

تساءل عن عدد الراشدين الذي احترق، سرّته تلك الفكرة. لم يدم سروره طويلاً، لأنه لم يعرف أين هو ولا كيف يعود إلى شارع هولوواي. كأن دهراً قد مر وهو يجول الشوارع، وبطريقة ما وصل إلى فينسبري بارك. سمع سابقاً الأولاد الأكبر سناً يتحدثون عن فينسبري بارك. لم يأتوا أبداً بهذا الاتجاه، كان خطراً جداً، حيث إن الراشدين يصولون ويجولون فيه، وأبنية

كثيرة دُمّرت بفعل النيران. خطرت له فكرة، سيوصله شارع سفن سيسترز إلى هولوواي، لكنه لم يكن متأكداً أي طريق يسلك.

بينما كان واقفاً هناك، محاولاً اتخاذ قرار، تربصت به مجموعة أخرى من الراشدين. لحسن الحظ، سمع خطواتهم المتعثرة في الظلام تقترب ففر مبتعداً، منحنياً، مُسرعاً، زاحفاً عبر الحدائق المهجورة. فجأة، أمسكت به يد في الظلام، لكنه غرز مشبك الفراشة بها فتركته وكأنه حجر فحم يحترق. بعد وقت طويل وقد أضناه الركض، دخل إلى منزل، متسلقاً نحو العلية حيث وجد خزان مياه فارغاً.

بينما اختبأ هناك لساعات طويلة في الظلام، أبهج نفسه بتخيّل ما قد يقوله الآخرون عندما يعود إلى ويتروز.

«سام، أنت على قيد الحياة!»

«لم ينجُ أحد من قبل.»

«أنت بطل!»

«أخبرنا بكل ما حدث!»

«كم راشداً قتلت؟»

تخيّلهم جميعاً متجمهرين حوله، يطرحون الأسئلة، يربتون على ظهره، يبتسمون. الأولاد في المتجر كانوا عائلته. أكبر عائلة قد يأملها أيّ ولد. ربما يفتحون أيضاً بعض السكاكر التي احتفظوا بها للحالات الطارئة احتفالاً بعودته. أحب سام السكاكر، كانت أكثر ما يشتاق إليه في العالم.

كان يغط في النوم ثم يستفيق من أحلامه بين الفينة والأخرى، وهو على حاله مكوّراً في قعر خزان المياه تحيط به الحمائم النافقة.

كان قد انبلج النهار منذ بعض الوقت. راقب الشمس الساطعة تُشرق وخيوط أشعتها تتسلل عبر الشقوق في السقف الذي تكسرت عدد من أحجار قرميده. في مكان ما بالقرب، سمع هديل حمامة حية، فكان صوتها يبعث على الارتياح.

لكنه كان جائعاً وعطشاناً، وتاق إلى العودة بأمان إلى ويتروز.

عدّل من موضعه وجلس منحنياً، كانت عضلات رجليه ضعيفة، ترتجف. تيبّست ركبتاه وظهره. أطل من فوق حافة الخزان جاهلاً ما قد يراه.

غطى أرض العلية الغبار وشباك عناكب، وانتشرت عليها بعض صناديق الكرتون المترهلة.

لا أثر للراشدين.

كان الطريق آمناً للمغادرة. من الآن وصاعداً، عليه الحذر في كل خطوة يخطوها. لم يعد بمقدروه ارتكاب أي أخطاء. لقد حالفه الحظ في الفرار مرتين سابقاً، وشك في أن يبقى الحظ حليفه لوقت أطول. سيكون الهرب أسهل ليلاً، فعدد الراشدين يزاد خلال النهار.

أقنع نفسه أنها مجرد لعبة. لقد أتقن دائماً الاختباء. كانت لعبة الغميضة إحدى الألعاب المفضّلة لديه. كانت مخيفة عندما لعبها مع والده. فوالده كان ضخماً وعندما لعبا كانت تصدر أصوات وحش.

تخيّل أن أولئك الراشدين كانوا مثل والده خلال اللعبة. كل ما كان عليه فعله هو البقاء بعيداً عن طريقهم.

اتجه نحو الفتحة في أرض العلية التي كان قد تسلق منها سابقاً، استلقى على بطنه وأطل برأسه ليتأكد من هبوطه بطريقة صحيحة.

كان الهدوء يلف المكان.

نزل السلم وزحف على الأرض وصولاً إلى النافذة التي أطلت على سطح شقة صغيرة. بدا الشارع خالياً. فتح النافذة وزحف عبرها وأبقى نفسه منخفضاً بقدر الإمكان.

استطاع رؤية الشارع جيداً من مكانه. نظر يمنة ويسرة، كان الشارع خالياً تماماً. لا رياح تحرّك الأشجار، ولا طيور تحلق، ولا حيوانات تجول.

لا راشدين.

نزل عن العلية.

رأى دراجة هوائية متكئة على صف من الحاويات ذات الدواليب في الحديقة الأمامية. بدت صالحة. ركع على ركبته وتفحصها. كانت السلسلة

في حالة جيدة، أما الدولابان فكانا فارغين من الهواء تقريباً.

كان هناك ما يكفي من الهواء في الدوالبين لتصلح للركوب. قد توصله على الأقل إلى ويتروز.

دفعها خارج الحديقة نحو الشارع الذي ساده الهدوء. ركب الدراجة وضغط على الدواستين. كان عملاً مضنياً. كانت السلسلة صدئة، لكن تحركت بصعوبة. داس أقوى وأقوى ليزيد من السرعة. أصدرت الدراجة صريراً وكأنها تعترض، لكنه لم يكفّ عن المحاولة متمايلاً أعلاها كما لو كان ثملاً.

كان مرتبكاً ليلة البارحة، لكن العثور على الدراجة منحه الأمل مجدداً. كل ما عليه فعله هو اللحاق بإشارات الشوارع وصولاً إلى هولوواي وسيكون بخير.

استدار يساراً باتجاه شارع سفن سيسترز وتابع سيره. الدولابان الملطخان بالطين جعلا الدراجة غير ثابتة وصعبة القيادة، لكن رغم ذلك قاد أسرع من السير على الأقدام.

ابتسم للمرة الأولى خلال الساعات الأربع والعشرين الأخيرة. كان يوماً مشمساً والشوارع خالية فتقدم مُسرعاً على دراجته. حسناً، ليس مُسرعاً تماماً، ربما متمايلاً. لكن لم يكن ذلك هو المهم، بل أنه كان متجهاً نحو المنزل.

مجدّداً، تخيّل نظرات الإعجاب على وجوه أصدقائه.

«سام، دراجة؟ لقد عثرتَ على دراجة!»

«أحسنت أنت الأروع.»

«ملك الشوارع!»

ثم تناهى إلى سمعه وقع أقدام خلفه.

نظر خلفه، كان هناك راشد يلحق به. والد وحيد يعدو على قدمين متصلبتين، يلهث من التعب. في تلك اللحظات، انضم إليه راشد آخر، كانت والدة هذه المرة، شعرها معقود في عقدة كبيرة غير مرتبة أعلى رأسها.

ثم آخر وآخر. كانوا يخرجون من الشوارع على الجانبين. اضطر سام إلى الالتفات خلفه بين الحين والآخر، والتركيز أمامه حتى لا يرتطم بشيء. امتدت السيارات المهجورة على طول الطرقات، وكان عليه الحذر من الاصطدام بإحداها.

هرول المزيد والمزيد من الراشدين فملأوا الشارع. انزلق سام حول شاحنة صغيرة ورأى والدين بشعين يتحركان باتجاهه، واحد على كل جهة، في حركة فكي كماشة. زاد من سرعته واستطاع المرور من بينهما وهما يحاولان الانقضاض عليه. انطلق بسرعة عبر الشارع كمن فقد السيطرة على آليته، ثم وقف على دواستيه وداس عليهما بكل ما أوتي من قوة. كانت الدراجة تنطلق بأقصى سرعتها على دولابيها المهترئين، لكنه خشي أن لا تكون تلك السرعة كافية.

لم يقد دراجة بهذه السرعة أبداً في حياته، كانت رئتاه في ذروة عملهما، وقلبه ينبض بقوة كمن يشق طريقه خارج القفص الصدري. في البداية، ظن أنه يحلق، أما الآن فبدا أنه يسير في حركة بطيئة.

هيا. هيا.

شعر بالدموع الساخنة تنهمر على وجنتيه. أخذ حلمه السعيد عن استقباله بطلاً في المنزل يتلاشى شيئاً فشيئاً. لن يعرف أحد أبداً ما مر به الليلة الماضية. لن يعرف أحد عن المعركة في مدرج الملعب. عن لحية الضخم المشتعلة. عن هروبه عبر الملعب. عن اختبائه في خزان المياه. كل ذلك ذهب سدى.

سدى...

لا. تباً لهم. لن يدعهم يقبضون عليه، فهو سام، قاتل الراشد الضخم. سيلوذ بالفرار بالتأكيد.

بعد لحظات، كان الخلاص الذي رجاه. بدأ الطريق يضيق نزولاً فزاد سام من سرعته تلقائياً. عندما نظر خلفه، كان الراشدين قد أصبحوا بعيدين خلفه. نعم، كان يفلت منهم بالفعل.

وداعاً أيها الفاشلون!

انطلق في طريقه، بينما تحركت رجلاه بسرعة على الدواستين. في كل مرة نظر فيها خلفه، رأى الراشدين أبعد أكثر فأكثر.

صاح.

صرخ.

كان سام البطل مجدداً.

عند وصوله إلى شارع هولوواي، كان وحيداً. لقد اختفى عن ناظريه أولئك الأغبياء المتثاقلون. آه، كانوا على الأرجح في أعقابه، لكن سيستغرقون دهوراً للوصول إلى هنا، وكان أمامه وقت كاف للعودة إلى داخل المتجر.

ها هو. ويتروز. منزله. لا بد أن المراقبين على السطح قد رأوه. لوّح بيديه لكنه لم ير أحداً. ربما هم يتحدثون عبر قنوات الاتصال مع الأولاد في الأسفل لفتح البوابات.

«لن تصدقوا أبداً! إنه سام يركب دراجة مخلخلة مثل ولد مجنون!»

قد تُفتح البوابات له فور وصوله. قاد دراجته إلى واجهة المتجر ثم ترجّل عنها. لم يسمع صوت أحد في الداخل.

«مرحباً!»

شد السلسلة التي تقرع جرساً كبيراً داخل المتجر. شد وشد وشد.

«افتحوا!» صرخ. «هذا أنا، سام. لقد عدت!»

لا جواب. ما الذي كان يؤخرهم هكذا؟

«يا أصدقاء، هذا أنا. دعوني أدخل...»

توقف عن الصراخ وأنصت السمع. لم يسمع شيئاً. شد السلسلة مجدداً. أيعقل أن يكون الجرس معطلاً؟ لا. كان متأكداً أنه سمع صوت الجرس يدق في المتجر. إذاً، لمَ لم يأت أحد؟

خطا إلى الخلف وتوجه نحو النافذة لعله يرى شيئاً في الداخل، لكنّ جميع المصاريع والمتاريس كانت مفتوحة. طرق على الزجاج. صرخ مجدداً.

محبطاً، أطلق زفيراً قوياً. لم يكن هذا ما تصوّره أبداً.

لمح شيئاً، فاستدار نحو الطريق الذي أتى منه للتأكد من هوية القادم. أجسام تتحرك. شعر بقلبه ينبض فرحاً للحظة سريعة. لا بد أنها فرقة البحث عن الطعام تعود. سيدخلونه بالتأكيد.

كانوا ضخاماً، لكن مشوا بتثاقل.

مكتبة
t.me/t_pdf

كان هناك الكثير منهم.

عادت الدموع تتلألأ في عينيه.

لم كذب على نفسه؟

كانوا الراشدين الذين طاردوه في شارع سفن سيسترز. لا بد أنهم واصلوا سيرهم، متتبعين أثره بإصرار، وها هم يقتربون منه أكثر فأكثر.

ركض نحو الباب مجدداً وشد سلسلة الجرس صارخاً نحو الأعلى بأعلى صوته.

«أدخلوني، أدخلوني، أدخلوني!»

سمعه الراشدون فهرولوا نحوه. هرولوا بتثاقل كعادتهم. لَمَ يُسرعون أصلاً؟ سيقبضون عليه عاجلاً أو آجلاً.

14

كان كالوم يسمع أحدهم في الخارج، يقرع الجرس، يدق على النوافذ، يصرخ. بقي في كرسيه، من دون حراك. إذا جلس هنا هادئاً، فسيرحلون. للمرة الأولى منذ عام، كان وحيداً. وحيداً كلياً. صدق في قرارة نفسه أنه إذا بقي حذراً وهادئاً واختبأ جيداً، فسيتجاهل الراشدون المتجر ويتركونه وشأنه. ترك أران بعض الطعام والماء من دون علم الآخرين. كان ذلك تصرفاً نبيلاً منه. لكن ما لم يكن يعلمه أران هو أن كالوم كان قد خزّن طعاماً مسبقاً. إنه يخزنه في أماكن سرية منذ وصوله إلى هنا. فوق ألواح السقف، في فتحات الجدران خلف الخزائن، في المخازن غير المستخدمة. كان يعرف منذ البداية - كان يعرف أنه إن لم يهتم بنفسه فسيُقضى عليه بكل تأكيد. ليتشارك الأخرين طعامهم، ليقسموا كل شيء، ليتقاسموا الطعام في أجزاء صغيرة، عندما يبدأ ما لديهم بالنفاد، سيتشجارون على ما بقي.

كان هناك كالوم واحد فقط. أصبحت هذه مملكته الآن. كان أران، أخيليوس، فريك، أولي، جميعاً في شخص واحد. لم يكن يختلق الأمر عندما أخبر أران أن أولاداً آخرين أرادوا البقاء. حينها أمل بقاء بعض منهم، لكن بعد أن رفض الجميع البقاء، اكتشف أن الحال هكذا أفضل. لن يزعجه أو يغضبه أحد. فقط هو ومخبأه من الطعام. وحيداً. هانئاً. يعيش بسلام. لا مزيد من الشجارات. لا مزيد من القتال. لا مزيد من الأوامر والاستئساد. كان يشعر معظم الوقت بأنه كان يعيش في منزل أخ أكبر، الجميع تنمّر بعضهم على بعض، لم يفعلوا شيئاً سوى النواح والتذمر. أحياناً، أحضرت

فرقة البحث بعض الكتب أو الألعاب أو الأحجيات المسروقة، أيّ شيء لإبعاد الملل، لكنها لم تكن كافية أبداً.

الآن، لم يعد هناك من يملي عليه تصرّفاته. ما الجدوى إذاً من موت جميع الراشدين إن كان الصغار سيأتون ويتنمّرون عليك؟ أوه، أحب أران بالفعل، لكنه لم يتذكر أبداً التصويت له ليصبح المسؤول.

ستختلف الأمور الآن. يستطيع كالوم فعل ما يحلو له. لديه حتى جهاز تشغيل الأقراص المدمجة النقال، احتفظ به في مخبئه الأكثر سرية إلى جانب عدد من الأقراص المدمجة والأهم من كل ذلك، البطاريات. البطاريات كانت أثمن من الذهب. عثروا على رزم منها في المتجر عند وصولهم. ظنوا أنها لن تنفد أبداً. كان كالوم أول من أدرك السرعة التي تنفد بها، لذا كان يخبّئها. لم يعد الآن بحاجة إلى إخفائها.

كان متشوقاً لتشغيل بعض الموسيقى. لم يسمع الموسيقى منذ ما يقارب ستة أشهر. امتلك الكثير من الأولاد أجهزة آي بود وإم بي ثري، لكنها كانت من دون فائدة بغياب الطاقة المطلوبة لشحنها. عثر ديكي مرة على شاحن يعمل بالطاقة الشمسية في المتجر، لكنه لم يعمل كما يجب أبداً وتعطل مع مرور الوقت. كانت تلك نهاية أجهزة التسلية.

حتى الآن.

جميل.

جهز كالوم نفسه جيداً.

لكن هناك من يحاول إفساد كل شيء الآن، يُحدِث جلبة خارجاً ويجذب انتباه الراشدين الذين يتجولون في المنطقة.

حسناً، فليُحدث من يشاء جلبة بقدر ما يريد. لن يدع أحداً يدخل. هذا منزله وحده الآنَ، وليس للمشاركة أبداً.

أغمض عينيه. قريباً، أياً كان مَن في الخارج فسيرحل وحينها سيحظى ببعض السلام والهدوء.

15

تعثّر الراشدون عبر الطريق على أرجلهم المتقوّسة. تدحرج بعضهم كالكرات، وطقطق آخرون أسنانهم وأصدروا همهمات وطنيناً. حك بعضهم قروحهم وطفحهم الجلدي. ارتجف بعضهم بشدة بينما هزوا رؤوسهم من جنب إلى جنب. أحدهم فقد راحة يده وكان ساعده أخضر ومغنغراً. جميعهم كانوا جائعين وتنتابهم نوبات الألم. كان ذلك المخلوق بالقرب من المتجر طعامهم. سيقبضون عليه ويمزقونه ويقتاتون به. هذا كل ما كان يهمّهم.

أدرك سام أن أمامه حوالى ثلاثين ثانية حتى يمسكوا به.

نظر سام نحو الحواجز بعينين سريعتين. عرف أنها ثابتة ولا يمكن زحزحتها، لكنها بُنيت لأبقاء الراشدين بعيداً وهو كان صغير الحجم، ربما يمكنه إيجاد طريقة كي...؟

قطب جبينه. كانت هناك فتحة صغيرة في الأعلى. لم تُقفل الحواجز جيداً. إذا استطاع تسلقها فقد ينزلق عبرها. رفع نفسه إلى أعلى وأمسك بأعلى الصفائح المعدنية. غرز المعدن بيديه لكنه تجاهل الألم.

نظر سريعاً أسفل الشارع، كان الراشدون على مقربة منه.

احتكت قدماه بالمعدن وهو يحاول تثبيتهما فأحدث حذاؤه الرياضي صريراً. وجد نتوءاً صغيراً فثبت قدمه عليه بسرعة. رفع نفسه بقوة، تلوّى وركل حتى تمكن من الصعود منبطحاً على بطنه. كان على حق. يمكنه المرور عبرها. كانت الفتحة ضيقة، بالكاد استطاع أن يتنفس وهو يدفع بجسمه الضئيل عبرها، احتك جلده بأطرافها، وركل بقدميه مثل ضفدع غاضب.

استطاع سماع الراشدين. لقد وصلوا أخيراً. شعر بأيد تحاول الإمساك بقدميه. ركل بقوة، وبجهود جبارة، استطاع تمرير رجليه عبر الفتحة ثم هوى في الاتجاه الآخر إلى الجزء المحميّ من المتجر.

في الخارج، انتحب الراشدون وصرخوا. أمل ألا يتمكنوا من الدخول. عادة، يُغلق الحاجز مدعماً بقضبان ومسامير وسلسلة، لكن القضبان لم تكن في مكانها والسلسلة كانت متدلية. لَم لم يُغلق الحاجز كما يجب؟

أفكار فظيعة خطرت بباله. ماذا لو أن المتجر تعرّض للهجوم خلال غيابه؟ ماذا إن كان الجميع موتى؟

ركض نحو المصراع الذي لم يكن مثبتاً مكانه جيداً. لكن مجدداً، لا يستطيع راشد المرور، لكنه سام الصغير.

زحف عبره على بطنه ثم وقف. مشى ببطء نحو المتجر، خائفاً مما قد يجده.

بدا كما كانت الحال دائماً، ما عدا كونه مهجوراً.

«مرحباً؟»

بدا صوته ضعيفاً ورفيعاً.

تقدّم أكثر.

أحدهم كان يجلس على الكرسي في المنطقة الخلفية التي كانوا قد رتّبوها ووضعوا فيها بعض الأثاث. كان يجلس هناك فحسب. لا يفعل شيئاً. لم يكن ميتاً، كان يرمش.

كان كالوم.

«مرحباً؟» قال سام وهو يقترب. «هل أنت بخير؟»

أومأ كالوم ببطء لكن بذهول. «كيف دخلت؟» كل ما نطق به. لم يُبدِ أيّ مفاجأة أو فرحة بعودة سام من الموت.

«لم تكن الحواجز مغلقة كما يجب.»

«لا بد أنني لم أغلقها جيداً عند مغادرتهم.»

«ماذا تقصد؟» سأل سام. «من الذي غادر؟»

قصّ كالوم على سام كل ما حدث. جلس سام على أريكة متعباً.

«لا يُعقل أنهم رحلوا.» قال.

«حسناً، لقد رحلوا. جميعهم.»

«ما عداك أنت.»

«ما عداي أنا.»

«لِمَ لم ترافقهم؟»

هزّ كالوم كتفيه بلامبالاة. «أحب المكان هنا.»

«لكن ألم تسمعني؟» سأل سام. «عندما كنتُ أحاول الدخول؟ عندما قرعت الجرس؟»

«لم أعرف أنه أنت. كيف كان لي أن أعرف؟ ظننت أنك أحد الراشدين.»

«كان ذلك أنا،» قال سام ثم أجهش بالبكاء. كان متعباً جداً. كل ما كان يريد فعله هو الاستلقاء على الأريكة والنوم، لكن كالوم كان ينظر إليه بطريقة غريبة. كان سام مرتبكاً جداً. لم يكن متأكداً من أنه وثق بكالوم. لم يكن متأكداً حتى أنه كان يخبره بالحقيقة. هل أتى فتى رثّ الثياب حقاً وغادر بالجميع بعيداً؟

«أختي إيلا،» قال بهدوء. «لقد وعدتُ بالاعتناء بها، لكنها رحلت.»

«لم يغادروا منذ وقت طويل،» قال كالوم. «يمكنك اللحاق بهم بسهولة.»

«سأضطر للعودة إلى الخارج.»

«نعم.» أومأ كالوم برأسه ببطء وهو يحدّق في سام بعينين سوداوين لماعتين.

وقف سام. «هل يوجد منفاخ هواء للدراجات الهوائية هنا؟» سأل.

16

كان أران يشعر بالدوار، فالسير تحت أشعة الشمس اللاهبة كان يحرق رأسه المصاب بالحمى. شعر بالوهن وبات يتنفس بصعوبة. حاول جاهداً عدم إظهار ذلك، لكن بين الفينة والأخرى كان يترنح ويتعثر عبر الطريق. ارتشف رشفة ماء أخرى. بدت له كأنها الرشفة المئة منذ مغادرتهم. على هذا المعدل، سيستهلك كميته من الماء قبل الوصول إلى كامدن.

شعر بأنه في حالة مروّعة وعرف أن وضعه حرج جداً. نخرت الجراثيم جلده المتشقق وتكاثرت في دمه.

كان من الممكن أن يبكي. لو أن جستر وصل قبل ساعات قليلة، ما كان أران ليذهب إلى بركة السباحة مع فرقة البحث أبداً. لكان ديكي على قيد الحياة، وعلى الأرجح سام الصغير أيضاً. ما كان سيُصاب بهذه العضة في عنقه. كان مقدراً أن يأتي أحدهم بالحل، أن يرشدهم إلى المكان الآمن، أن يمنحهم الأمل، أمل قد يضيع فجأة.

لم يكن ذلك عدلاً. قد يصل إلى القصر ليلفظ أنفاسه الأخيرة فحسب.

مهما حدث، كان سيتأكد من وصول الجميع بأمان. أولاده. حتى لو كان آخر شيء يفعله في حياته. كان عليه التركيز على ذلك لا على شيء آخر على الإطلاق. كان مسؤولاً عن هذه المجموعة ولن يخيب أملهم أبداً.

كان بحاجة إلى إبعاد تفكيره عن إصابته. رأى فريك يمشي مطأطئ الرأس، يحدّق بالأرض وقد غطى رأس بقبّعة تعمّد أن تغطي نصف وجهه أيضاً.

«هل أنت بخير يا صديقي؟» سأل أران. همهم فريك بصوت ما. قد يكون ذلك نعم وقد يكون لا.

«هل أنت معترض على مغادرة المتجر؟»

تجاهل فريك السؤال. منذ انتابته الحالة الجنونية تلك الليلة خلال المعركة، وهو يعيش حالة من الصمت والمزاجية.

«لم يكن بمقدورك فعل أكثر مما فعلت،» قال أران بلطف. «حتى لو استطعنا إخراج ديكي من هناك... كان الزجاج يخرج من جانبه، كانت رئتاه مثقوبتين.»

«أعرف،» قال فريك. «أنا أشتاق إليه فحسب. كان يُضحكني عندما لم يستطع أحد ذلك. جعلني أنسى كل ما نحن فيه.»

«لو كنتُ أعرف أيّ نكات لأخبرتك بواحدة،» قال أران.

«لا تزعج نفسك يا صديقي، فأنت فاشل في إلقاء النكات.»

«نعم، أعرف،» قال أران. «لطالما كنتُ كذلك. من حسن الحظ أنني كنتُ بارعاً في كرة القدم لذا لم يكن حس الفكاهة مهماً. كم أود أن ألعب كرة القدم مجدداً. أول ما سأفعله عند وصولنا إلى هناك هو إجراء مباراة. ستلعب، أليس كذلك؟»

«إذا وصلنا فعلاً.»

«سنصل إلى هناك،» قال أران.

«ليتني أتحلى بثقتك،» قال فريك بمرارة.

لم يقل أران شيئاً. ربما خدع فريك، لكنه لم يخدع نفسه أبداً. حتى الآن، لم يرصدوا أيّ أثر لحياة، لكنه شك في أن تبقى الحال على ما هي عليه. سيضطرون بالتأكيد إلى التعامل مع راشدين في مكان ما خلال مسيرهم. صورة تلك الوالدة عند البركة – أمه؟ – لا تبارح أفكاره مجدداً.

«ليست أمي،» قالها من دون قصد.

«ماذا»؟ سأل فريك باستهجان.

«لا شيء،» قال أران وضغط بكفه على صدغه المصاب بالحمى.

«اسمع فريك،» تابع كلامه. «قد يكون الوصول إلى هناك صعباً، وسنحتاج إلى كل المساعدة التي يمكننا الحصول عليها. انظر إلى نفسك كيف تسير وتبدو حالتك مزرية، ستُصيب الأولاد بالهلع بكل تأكيد. كن قوياً من أجلهم، اتفقنا؟»

رفع فريك رأسه وحدق بأران.

«كيف وصلت الأمور إلى ما هي عليه؟» قال. «نحن أنفسنا مجرد أولاد.»

«حدث ذلك فحسب،» قال أران. «دعنا لا نحلل الأمور، اتفقنا فريك؟»

«لا أعرف.»

أنزل أران حقيبته عن ظهره وفتحها.

«خذ،» قال. «لديّ شيء لك. كنتُ أنتظر الوقت المناسب، وأظن أن الآن مناسب جداً.»

أخرج علبة رش طلاء. اتسعت حدقتا فريك.

«من أين حصلت على هذه؟» سأل.

«عثرتُ عليها عندما كنتُ ألملم بقايا ويتروز قبل الرحيل. كانت في خلفية خزانة. لا أعرف من وضعها هناك.»

«ألديك المزيد منها؟»

«لديّ خمس يا صديقي. أسود، أبيض، أحمر، أصفر، وفضي.» مرّر واحدة لفريك الذي هزها جيداً.

«ما زالت نصف ممتلئة.»

أعطاه أران العلب الأربع الأخرى فرتبها فريك في حقيبة ظهره.

«ربما إن رششت شعاركما « فريكي – ديكي» في مكان ما، فسيُبقي ذلك ديكي حياً. اكتب بأحرف كبيرة «يحيا ديكي»، أو شيئاً من هذا القبيل. لا تدعهم ينتصرون. الراشدون.»

رفع فريك قبعته عن وجهه ومشى بشموخ واستقامة. «أران؟»

«نعم؟»

«لا تقلق». رمى فريك يداً على كتف أران. «أنا معك إلى النهاية يا رجل.»

«شكراً لك.»

أتى جستر إليهما راسماً على وجهه ابتسامة واسعة أظهرت أسنانه.

«ستكون رحلة العودة أسهل بكثير من الوصول إلى هنا،» قال.

«آمل هذا،» قال أران.

«ستكون كذلك، سترى. فأنتم مجموعة تعرف كيف تهتم بنفسها جيداً.»

شعر أران فجأة بتصلب بمعدته وبالعياء. لم يستطع التحدث للحظة، لكن جستر لم يكف عن الثرثرة.

«أريد أن أعرف أمراً،» قال. «كيف انتهى بكم الأمر تعيشون جميعكم معاً في ويتروز؟»

«حدث ذلك صدفة،» قال أران. «لا أعرف من وصل أولاً، لكن تبيّن أننا كنا جميعاً نبحث عن طعام.»«وهل وجدتم أيّ طعام؟»

«القليل لحسن الحظ. أظن أنهم خزنوا إمدادات للطوارئ. كان هناك بعض الأطعمة في الثلاجات والمخازن العلوية. كان علينا كسر عدد من الأقفال، لكن في النهاية حصلنا عليها كلها. الأمر نفسه حدث في موريسون. لم تكن هناك أطعمة طازجة بالطبع، لا فواكه ولا خضار ولا لحم طازج، لكن كانت هناك معلبات، وأشياء أخرى مفيدة مثل شموع وأسلاك وسكاكين وبطاريات ولا أعرف...»

«لا صابون،» قال جستر.

«بلى، كان هناك صابون.»

«من المؤسف أنكم لم تستخدموه.»

نظر أران إلى جستر الذي اتسعت ابتسامته أكثر من ذي قبل.

«ما الذي تقوله؟»

«لا أقصد أي إهانة،» قال جستر، «لكن أنتم مجموعة نتنة. على الأرجح أنتم لا تشتمّون تلك الرائحة نظراً لعيشكم معاً هناك طوال الوقت، لكن

صدقني، الخروج من ذلك المتجر هو الراحة بعينها.» أمسك بأنفه متكلفاً وفرك وجهه.

«نستحم عندما تسنح الفرصة،» قال أران. «كانت هناك حمامات. ابتكر بن وبيرني طريقة لتسخين مياه الأمطار، لكن لم نكن لنهدر المياه على الاستحمام. أقصد أنت على حق، بعد فترة لا تعود تشم الرائحة.»

«ماذا عن ملابسكم؟»

«نغسلها بين الحين والآخر إذا اضطررنا لكن معظم الأحيان نعثر على ملابس في المتاجر. فذلك أسهل.»

«لقد نظمتم حياتكم جيداً،» أليس كذلك؟ قال جستر بتقدير. «ذلك المكان بدا أشبه بقلعة.»

«نعم، جعلناه آمناً،» قال أران. «بعدما وصلنا إلى هناك، إلى أين كان عسانا نذهب؟ كنا نقتات على ما نجده في المنازل حول المكان، لكن كان الأمر يزداد صعوبة أكثر فأكثر. كنا سنتضوّر جوعاً لو لم تظهر أنت.»

«ستُحدثون تغييراً جذرياً،» قال جستر. «يمكننا الآن تنظيم أنفسنا أفضل في القصر.»

«إنه في بابل،» قال أران.

«ماذا؟» سأل جستر. «ماذا تقصد؟»

ضحك أران. «آسف. كنتُ أفكر في أمر آخر. خرجت الكلمات عن غير قصد.»

أمتأكد أنك بخير؟» سأل جستر. «تبدو مصاباً بالحمى ومتعرقاً.»

«أنا بخير،» كذب أران. «جسمي يتفاعل مع العضة فحسب. الأمر ليس خطراً.»

«لدينا كتب طبية في القصر،» قال جستر، «والكثير من الأدوية. فتاة اسمها روز تهتم بنا. تعرف ما عليها القيام به، وستداويك. لدينا أيضاً مضادات حيوية.»

«أظن أنها ما أحتاج إليه تماماً.»

«نعم.»

رشف أران القليل من المياه التي شعر بها تخرخر عبر حلقه. تصوّرها مثل جدول من الزئبق الفضي. اجتاحت معدته موجة أخرى من الألم. بدت الشمس فجأة ساطعة جداً، تشع على السيارات متناثرة في ألوان فاقعة قوية. أغمض عينيه ثم فتحهما سريعاً.

ذلك الوجه. كل مرة. وجه أمه. لم يستطع التخلص منه.

«إياك أن تغفو،» قال جستر.

«ماذا؟ لا...»

«ليس وأنت تسير. أتريد التوقف لترتاح قليلاً؟»

«مستحيل،» احتج أران. «علينا متابعة التقدم.»

هرول باتجاههما أخيليوس وميك الكبير، أفضل مقاتلي بلو. كانا يستطلعان طريق المسير.

«الطريق سالك حتى محطة قطار الأنفاق،» قال أخيليوس. «لا نرى أحداً حتى أبعد نقطة نستطيع رؤيتها.»

«هل بحثتم داخل الخزائن؟» سأل أران.

«داخل أي خزائن؟»

«تجاهله،» قال جستر ساخراً وهو يفرك صدغه بإصبعه. «إنه يهذي.»

حاول أران الضحك مجدداً. «آسف،» قال. «أنا متعب فحسب. لم أنم البارحة. تعرف كيف تكون الحال عندما تظن أنك تفكر بأمر فتقوله بصوت عال.»

«نعم،» قال أخيليوس، لكنه لم يبد مقتنعاً. ترك أران يسير وذهب إلى ماكسي على الجناح الأيسر.

كانت تسير كئيبة الوجه، حذرة. أومأت برأسها عندما رأت أخيليوس.

«أنا قلق بشأن أران،» قال.

بدت ماكسي مهتمة. «ماذا به؟»

«لا يبدو بخير. إنه يتفوّه بأشياء غريبة.»

«تنهّدت ماكسي. «أيمكنك أن تحل مكاني؟ سأذهب للتحدث إليه.»

«بالتأكيد.» هرولت ماكسي إلى مقدمة المسير وعثرت على أران. بدا شاحباً ومحمر العينين. بدأ قلبها ينبض بسرعة. يجب أن يكون على ما يرام. يجب أن يكون كذلك. لا يستطيعون النجاح في هذا من دونه.

دست ذراعها حول ذراعه بينما استدار هو ببطء. للحظة، بدا غامضاً ومتوتراً كما لو أنه لم يميّزها، لكن سرعان ما ارتاحت معا لم وجهه.

«ماكسي.»

«يقول أخيليوس إنك لست على ما يرام.»

«أنا بخير. بخير. لا تقلقي بشأني.»

«تبدو في حالة مزرية.»

«أنا مصاب بالحمّى فحسب.» رفع أران يداً نحو جبهته وتمايل. كان على ماكسي الإمساك به لمنعه من الوقوع.

«بلو! انتظر!» صرخت، فرفع بلو يده عالياً إشارة منه للتوقف. قادت ماكسي أران إلى جانب الطريق وأجلسته على الرصيف. أرخى بجسمه إلى الأمام واضعاً رأسه بين ركبتيه، متقيئاً على الإسفلت مادة سائلة.

«أنت لست بخير،» قال ماكسي.

«أشعر بحال أفضل الآن. «قال أران. «سأكون بخير.»

«سنرتاح لبعض الوقت.»

«لا. لم نقطع مسافة تُذكر ماكسي. أمامنا طريق طويل اليوم.»

«لا يمكنك الاستمرار بهذه الحالة.»

«احتجت إلى التقيّؤ فحسب،» قال أران. «أنا بخير الآن.» وقف فترنّح إلى الجانبين مرتطماً بسيارة. تمتم كلمات غير مفهومة.

«ماذا قلت؟» سألت ماكسي.

«أريد أن أخبّئ لعبتي.»

تبادلت ماكسي نظرة قلقة مع بلو وجستر الذي وقف مراقباً.

«حالته خطرة،» قالت.

17

«بعد رحيلي،» قال سام، «عليك أن توصد الأبواب بإحكام.»

«سأفعل، نعم سأفعل،» قال كالوم. «كان يجدر بي فعل ذلك سابقاً، لكنني لم أكن متأكداً من كيفية ذلك. كان يجدر بي الانتباه أكثر إلى عمل بن وبيرني.»

«عثرا على منفاخ ودراجتين في ساحة التحميل. بالكاد تذكر سام استخدام الأولاد الأكبر سناً لهذه الدراجات في الماضي، قبل أن تصبح الطرقات أكثر خطراً. كانت الدراجتان كبيرتين جداً عليه، لذا قرر ركوب الدراجة التي عثر عليها.

بعد عثورهما على المنفاخ، خرجا إلى الشرفة وراقبا الراشدين في الأسفل. كانوا يضربون الأبواب بأيديهم ويرمون بكل ما التقطته، حاول أحدهم كسر الأبواب بعصا طويلة، لكن سرعان ما بدأوا بالشجار ووقعت والدة أرضاً فاقدة للوعي أو ميتة. أخيراً استسلموا جميعهم وابتعدوا. كانت دراجة سام في مكانها في الشارع.

حرس كالوم الباب بينما أعاد سام الدراجة إلى الداخل. نفخ الدولابين، رتق بعض الثقوب وقوّم دولاباً معوجاً. عرف الآن أن سام لن يبقى، بدأ كالوم يتصرف بطبيعية أكبر، ربما كان يقدم المساعدة لرحيله أكثر من اللازم. كأنه كان متلهفاً للتخلص من سام.

كان سام يشعر بالخوف الشديد، لكنه عرف أن عليه مواصلة الطريق للحاق بالآخرين وإلا فلن يتمكن من العثور عليهم مجدداً. فسيكون من

المستحيل أن يصل إلى القصر وحده.

تناول وجبة خفيفة سريعة من البسكويت القديم والمياه قبل العودة بالدراجة ثانية إلى الخارج. كان كالوم يحوم في المدخل المفتوح، يتفقد الشارع بتوتر. من الواضح أنه لم يرد مغادرة المبنى على الإطلاق.

ركب سام دراجته وتأكد مرة أخرى من خلو الطريق، ثم انطلق.

هذا أفضل بكثير. الدراجة سارت أسرع وبثبات أكبر. وصل إلى تقاطع طرق والتف نحو طريق كامدن. سرعان ما كان يتسلق التلة من أمام السجن. أصبح السير صعباً، واضطر في منتصف الطريق النزول عن دراجته ودفعها. كان طوال الوقت متيقظاً لوجود أيّ راشدين. عند وصوله إلى أعلى التل، كان الطريق منحدراً نحو كامدن.

ركب دراجته وألقى نظرة أخيرة خلفه.

وداعاً.

بعد ثوان قليلة، كان ينطلق منحدراً عن التل، الرياح تعبث بشعره، ملتفاً بين السيارات على الطريق. لقد يئس الأولاد من تفقد السيارات منذ وقت طويل. معظمها كان قد نفد منها الوقود، ولم يعرف أحدهم كيفية تشغيلها أو قيادتها من دون مفاتيح. إضافة إلى ذلك، الكثير من الطرقات كان مسدوداً بآليات مهجورة ومحترقة.

لم ير سام مجموعة من الأشخاص تسير أمامه إلا بعد فوات الأوان. كانت تتحرك أسفل التل بين السيارات في نفس اتجاهه. لقد خاب أمل سام كثيراً اليوم بتخليه عن الحذر مرات عدة وأمل أن يكون أولئك أصدقاءه. كان محقاً بشأن عدم تفاؤله كثيراً. كانوا راشدين، يسيرون ببطء لكن لديهم هدف.

عليه العبور من حولهم. سلك طريقاً إلى يمينه. لم يعرف المنطقة هنا. لم يكن أبواه يسمحان له بقيادة دراجته على الطرقات أبداً. قالا إن ذلك خطر جداً. لذا قادها فقط في المتنزه أو خلال رحلات خاصة إلى غابة ايبينغ.

أقنع نفسه بأن يسلك الطريق الصحيح. إذا حافظ على سيره باتجاه أسفل التل فسيصل إلى كامدن تاون.

لكن في قرارة نفسه راودته فكرة متشائمة.

ما كان ذلك؟ ما القصة؟

لا بد أن هناك ما يحث الراشدين.

لا. لن يُقلق نفسه بهذا الشأن. لم يروه أبداً. يستطيع الالتفاف من حولهم بخير.

لم يكونوا في إثره.

لكن ماذا كانوا يطاردون.

18

كانت ماكسي تجلس إلى جانب أران تحت جسر السكة الحديدية الأزرق بالقرب من شارع محطة كامدن. نقلته إلى هنا لتقيه حر الشمس. كان يرتجف لكنها لم تظن أن السبب هو البرد.

«عليكِ إبقاء الجميع معاً،» تمتم.

«لا تقلَق بهذا الشأن،» قال ماكسي.

«ليتني لا أضطر.»

«تضطر إلى ماذا؟»

«القلق.»

«لا داعي للقلق أران. أنت مصاب. أنت مريض.»

أمسك أران بذراع ماكسي. «هذا لا يغيّر شيئاً،» قال. «وكما كنتُ أقول لفريك...» توقف عن الكلام مرتبكاً. «هل قلتُ ذلك له؟ هل فعلت؟ لا أذكر...»

«ماذا؟ ماذا كنت تقول؟»

«لسنا مضطرين إلى التعامل مع كل هذه الترّهات، ماكسي. نحن مجرد أولاد. لم أدرك هذا من قبل، لكن اعتاد أهالينا التعامل مع المشاكل حتى لا نضطر نحن إلى ذلك بدورنا. كانوا يقلقون بدلاً منا، وفعلوا أموراً صعبة من أجلنا، حتى نعيش طفولتنا. اعتدنا الضحك عليهم ونعتهم بالمملين والحمقى، لكنهم كانوا يحموننا، جعلوا العالم آمناً لنا حتى نتمكن من اللعب. لا أريد أن أكون ناضجاً ماكسي. أريد العودة إلى طفولتي مجدداً. لكن لا أستطيع

ذلك. فهذا ليس خياراً. يجب أن أكون أباً لأولئك الصغار، ويجب أن تكوني أماً. يحتاجون إلينا. أتمنى العكس، أتمنى لو أنهم لا يحتاجون إليّ. انظري حولك. أجلس قليلاً لأرتاح فينهار كل شيء.»

وقفت ماكسي. كان أران على حق. حماسة الرحيل جعلت الجميع يتصرفون بطيش. كان مزاج الاحتفال لا يزال مخيماً. كان الأولاد متكئين على السيارات، يثرثرون، أو يجلسون على الرصيف تحت أشعة الشمس.

نادت ماكسي بلو. مشى باتجاهها محاولاً أن يبدو جذاباً.

«ما الأمر؟»

«علينا الحفاظ على حذرنا،» قالت. «يجب أن نبقى منظمين، وأن نبقى مستعدين طوال الوقت.»

لم يُبد بلو اهتماماً. «نحن مستعدون.»

«لسنا كذلك.»

نظر بلو إليها نظرة المستنكر. «الوحيد الذي لا يقف في موقعه هو أنت يا فتاة.»

«أنا أتأكد من أن أران بخير.»

«أليس لديك شخص آخر لهذه المهمة؟»

«بلى.» تركته ماكسي للعثور على ماييف.

كان أولي في مؤخرة المجموعة، ينظر خلفه بتوتر إلى الطريق الذي أتوا منه. كان المقاتلون، المسلحون بالرماح والمقالع والحجارة، يجلسون القرفصاء تحت أشعة الشمس يتحدثون عن كرة القدم. تمنى أولي لو أنهم يأخذون الوضع على محمل الجدية أكثر.

«ما يجري ليس صحيحاً،» قال في محاولة للفت انتباههم.

«استرخ،» قال أحد أفراد موريسون. «لا أحد في الجوار.»

«صحيح، لكن ينبغي أن يكون هناك أحد في الجوار،» قال أولي، مراقباً الطريق بنظره حتى أعلى التل. لم نسلك هذا الطريق منذ وقت طويل لأنه كان دائماً محفوفاً بالمخاطر. إذاً، أين جميع الراشدين الآن؟»

«إنهم يختبئون منا يا رجل،» قال الفتى الآخر. «كل من يحاول الهجوم علينا سيلقى ما يستحقه.»

ألقى أولي بنظره على المجموعة المشتتة.

«الجميع مسترخون أكثر من اللازم،» قال.

«ما عداك أنت،» قال الفتى، وضحك الآخرون.

«اصمتوا للحظة!» وضع أولي إصبعه على شفتيه.

«ماذا؟»

«هل تسمع شيئاً؟»

«لا... لا، مهلاً. أسمع شيئاً الآن.»

كان هناك صوت خطوات، مثل أمواج تُدحرج حصى على الشاطئ، همهمات مثل الريح.

«أحدهم قادم،» قال أولي.

كان جوش يمشي عبر الأولاد، محاولاً إبقاءهم متيقظين. تذمّر معظمهم عليه وعندما وصل إلى فريق موريسون الذي كان يفترض به حراسة الجناح الأيمن، بدوا نصف نائمين. حاول جوش جاهداً تذكر اسم الفتى الطويل ذي الشكل الناعس مع الافريقي الذي كان يجدر به تولي المسؤولية. لويس. صحيح. كان يتكئ مسترخياً على واجهة متجر وعيناه مغمضتان.

«يجب أن نكون مستعدين في حال حدوث شيء،» قال جوش. بدا مثل مدرس قلق خلال رحلة مدرسية.

«أنا أخزن طاقتي،» قال لويس وتثاءب.

«يجدر بك مراقبة الجناح إذا هاجمنا أيّ راشدين من الجانب.»

«أنا أراقب بأذني،» قال لويس. «لدي أذنا وطواط.»

«لا أريد أن أكون مزعجاً ومتذمراً،» قال جوش. «قد تظن أن كل هذا مزحة لكن...»

«كل شيء على ما يرام،» قال لويس.

«ما الذي على ما يرام؟»

«أنت على ما يرام، أنا على ما يرام، الجميع على ما يرام.»
«إن خسرنا أي ولد...»
«لن أكون السبب في خسارة أي ولد يا أخي. أنا على ما يرام. لا داعي للخوف، لويس هنا.»
«أتظنني خائفاً؟» قال جوش. «لست خائفاً. لا شيء يخيفني يا رجل.»
«حسناً إذاً يا أخي.»
«حسناً، أعلمني فقط إذا سمعت أذنا الوطواط لديك أي صوت.»
فتح لويس عينيه ببطء.
«أنا أسمع شيئاً يا رجل.» قفز على قدميه بسرعة مفاجئة، ولاحظ جوش أن جسمه كله أصبح متوتراً. ما الذي سمعه؟
«انهضوا، انهضوا، انهضوا!» صرخ لويس على الفريق وخلال لحظة كان الجميع مستعدين.
سمع أران صوت الصراخ الآتي من مؤخرة المجموعة. كان قد تشوّش تفكيره في محاولة لاستعادة قواه ليتمكنوا من التحرك مجدداً.
«ما الذي يحصل؟» سأل.
«لا أعرف،» أجابت ماييف التي كانت تجلس معه، غير قادرة على فعل الكثير سوى التعاطف معه.
«ساعديني على الوقوف.»
«أران...»
«ساعديني على الوقوف ماييف!» صرخ أران فشدته ماييف للوقوف على رجليه.
«أين مضربي؟»
أمسكت ماييف بمقبض المعول وأعطته إياه.
كسول. لقد كان كسولاً. كان يفترض به تولي المسؤولية، أن يكون قائداً. شق طريقه عبر الأولاد المحتشدين نحو مؤخرة المجموعة من حيث تعالت الصرخات. رأى أولي. أولي سيعرف ما الذي يحدث. كان عاقلاً.

«سمعنا شيئاً،» شرح أولي.

قبل أن ينطق أران بكلمة صرخ أحدهم.

«انظروا!»

كان هناك أشخاص قادمون من أعلى التل. صف طويل من الراشدين، يجرون أقدامهم الحافية على الاسفلت، ترتفع أصوات أنات خفيفة منهم.

كما على الشاطئ، فكر أران وأغمض عينيه للحظة. كان في البرتغال مع أمه وأبيه، مستلقياً على ظهره يأخذ حمام شمس.

«هل وضعتَ واقي الشمس؟»

«نعم أمي...»

انحنت فوقه. ابتسمت. أحب أران أن يراها سعيدة. ثم اتسعت ابتسامتها ليصبح فمها حفرة واسعة تحيط بها الأسنان المسننة. اندفعت نحوه...

«وضعتُ واقي الشمس!» صرخ أران.

«ماذا؟»

«لا شيء.» مسح أران العرق عن وجهه.

«يا للهول،» قال أولي. «عددهم كبير جداً.»

«ليتخذ كل موقعه!» صرخ أران بينما كان بلو يعدو مع جستر وباقي المقاتلين.

سُرّ أران لرؤية الأولاد يتحركون ويتخذون تشكيلة القتال سريعاً.

وقف الصف الأمامي من الراشدين على بعد حوالى مئة متر بينما تبادلت مجموعتان أخريان النظرات.

«ماذا يفعلون؟» قال بلو.

«الله وحده يعلم.»

صفر جستر. «إنهم جيش جرار،» قال. «أتظنون أنكم تستطيعون التغلب عليهم؟»

«لا أعرف،» قال بلو. «لم أر هذا العدد الهائل في مكان واحد من قبل.

لم يكونوا أبداً منظمين على هذا النحو.»

تحركت مجموعة صغيرة من الراشدين إلى المقدمة كما لو أنها قائدة التحرك. في طليعة تلك المجموعة الجديدة، وقف والد ضخم سمين، بدا كأن رقبته لا تستطيع حمل ذلك الرأس الأشبه بكرة مدفع كبيرة فوق صدره. تبعثرت بعض خصلات الشعر من رأسه الأصلع. كان يرتدي بنطالاً قصيراً وصدرية طُبع عليها صليب سان جورج. نظارة رفيعة من دون عدستين تعلقت على أنفه المكوّر العفن. حرّك رأسه إلى الخلف وحدّق بأران. بدا كأنه يضحك.

«لا بد أنهم كانوا يتبعوننا،» قال أران وقف يقظاً وارتفع ضخ الأدرينالين في جسمه. «يجب أن نتجنّب القتال إن استطعنا ذلك.»

«كيف سنفعل ذلك؟» سأل بلو. «انظر إليهم. لن يرحلوا بالتأكيد.»

«سنتراجع،» قال أران. «سنرى ما سيحدث. قد نصل إلى مكان آمن أكثر. مكان نستطيع الدفاع فيه. أين أولي؟»

«هنا.»

ابق معنا. سنحتاج إلى طلقاتك.»

أعطى وبلو الأوامر وبدأ الأولاد بالانسحاب من أمام الراشدين. بقي أران وأفضل المقاتلين في المؤخرة في مواجهة العدو. كان الطريق في الاتجاه الآخر لا يزال سالكاً. بقي كل من ماكسي ولويس مع فريقيهما على الجناحين. أما الأطفال فقد وقفوا في مجموعة صغيرة خائفة في الوسط. كانوا يقفون متقاربين لدرجة أنهم لا يستطيعون الحراك. كانوا يتخبطون بعضهم ببعض ينظرون خلفهم بقلق. حثتهم ماييف وويتني على التقدم، حاولتا تشجيعهم وإخبارهم ألا يقلقوا لكن الشعور بالخوف كان يزداد.

كان الأولاد ببقائهم خلف الجدران طوال الوقت في مأمن من المعارك القتالية. لم يكونوا معتادين هذا، كما كانت حال بعض الأولاد الأكبر سناً. لم يكونوا جميعهم مقاتلين.

زاد الراشدون من خطواتهم، مندفعين أسفل التل. يزحفون أقرب. كان

الوالد ذو صدرية سان جورج لا يزال في المقدمة.

«ابقوا معاً،» صرخ أران.

خلال لحظات، ظهر ثلاثة راشدين يتخبطون في سيرهم، هزيلين حتى بدوا كأنهم هياكل عظمية. اندفعوا نحو مجموعة الصغار في محاولة لفصلهم عن المجموعة، لكن كان لويس ومقاتلي موريسون لهم في المرصاد عند ذلك الجناح. راقبتهم ماكسي يقاتلون فأعجبتها مهاراتهم. كان بلو على حق: قد يبدو لويس ذو الشعر الجعد ناعساً، لكنه تحرك بسرعة عندما اقتضى الأمر ذلك، وواجه الراشدين بدون رحمة وببراعة قتالية.

لكن الهجوم المفاجئ روّع الصغار. انفصل عدد منهم عن المجموعة وأخذوا يركضون.

«أوقفوهم!» صرخت ماكسي، لكن لم يكن بيد مايبف وويتني والآخرين حيلة. خلال لحظات، كان الصغار يندفعون في كل اتجاه، كذلك فعل عدد من الأولاد الأكبر سناً. ركضت مجموعة من جانب ماكسي التي صرخت عليهم ليعودوا، لكن من دون جدوى.

«هيا،» قال لويس وركض مع فريق خلف الأولاد الهاربين. «سنُعيدهم.»

بدا أن تشتت المجموعة المنظمة قد منح شجاعة أكبر للراشدين. رفع الوالد الضخم ذو صدريه سان جورج ذراعه فوق رأسه، زمجر بصوت عال، وكان هجومهم بكل ما أوتوا من قوة وسرعة مندفعين أسفل التل.

«حافظوا على مواقعكم،» صرخ أران، فتأهب المقاتلون برماحهم المسننة.

لم يكن هناك ما قد يوقفْ الراشدين، الذين بينهم من تهادى في سيره ومن عرج ومن اندفع سريعاً. راقبهم الأولاد يقتربون. مجموعة قبيحة من الوجوه المهشمة الموبوءة.

وقف أران بثبات، أخيليوس إلى جانب وبلو إلى آخر، انتشر المزيد من المقاتلين عبر الطريق. خلفهم، شُكل صف أقصر مؤلف من أولي ومقاتلين. وقفوا بصمت. في الانتظار.

19

اقترب الراشدون أكثر فأكثر حتى أصدر أران أخيراً أمره.

«إطلاق!»

انهمر على الراشدين وابل من الكرات والحجارة والرماح، وبينما سقطوا صرعى واحداً تلو الآخر، تقدم أران بمقاتليه. سقط الراشدون من أول مجموعة مهاجمة في الحال تقريباً فأعيق تقدم الباقين.

رصد أران الراشد ذا صدرية سان جورج يتسلق بجهد فوق جثة. لوح بمضربه نحوه لكن الوالد السمين انخفض في الوقت المناسب.

«ماكسي!» صرخ أران. «نحتاج إلى مساندة!»

لم يكد ينهي جملته، استدار فرأى ماكسي تصل بفريقها. التقت عيناهما. لا بد أنهما كانا يفكران في الأمر نفسه في الوقت نفسه. كانا متصلين. للحظة، بدا كأنهما وحدهما. كان أران فخوراً جداً بها. كانت شجاعة وقوية وذكية. ابتسمت له فرد لها بابتسامة. عرفَ أخيراً. عرف أنها تكنّ نفس المشاعر التي يكنّها لها. عرف ذلك فحسب. لم يستطع تفسير ذلك. وهي فهمت. شعر بسعادة كبيرة تعصف في داخله، بشموخ وعزة. معرفة أن أحداً يهتم لأمره أحدثت كل الفرق. منحه ذلك قوة جديدة. يستطيع التعامل مع أي شيء الآن.

استدار وضرب بمضربه وجه والد كان قد تمكن من تخطي الجثث.

بمساعدة ويتني ومايف، استطاع فريق لويس السيطرة على الأولاد الصغار. أعادوا جمعهم عند رصيف جانبي ممتد فوق قناة ريجنت. بدا

مكاناً يسهل الدفاع عنه. على جانب، امتدت الأبنية المرتفعة، وعلى آخر الحواجز الحديدية. خلف الحواجز، كانت المسافة أربعة أمتار نزولاً إلى رصيف القناة. اضطر الأولاد الأكبر سناً إلى دفع الصغار بقوة والصراخ عليهم لمنعهم من الهرب مجدداً. بقيت ويتني في الوسط تحمي الأطفال منهم، تشدّهم نحوها، تهدّئهم.

بينما انتظرت المجموعة الرئيسية من الراشدين، ظهرت مجموعة منشقة من الجانب، في محاولة للانقضاض على الأولاد الأصغر والأضعف. عبر عدد منهم الشارع متخبطين في اتجاه الممر، وشن والد هجوماً شاقاً جموع الأولاد الكبار ليُمسك في النهاية بفتاة صغيرة تصرخ. كان وجهه متورماً بالدمامل وبدا مثل مخلوق بحري بشع، سمكة نفيخة.

«لا، لن تفعل!» صرخت ويتني عالياً ولكمته بقوة، فتفقأت دمامله وتلوى نصف وجهه، فترك الفتاة وسقط إلى الخلف.

رفع كل من مايبف، بن، وويتني، الوالد المذهول ورموه من فوق الحواجز ليرتطم بأرضية الرصيف. في تلك الأثناء، شق لويس طريقه عبر الأولاد المتجمعين وهو يصيح على الراشدين الباقين.

«تراجعوا.»

تجمّد الراشدون.

سيحاول لويس صدهم أطول وقت ممكن. دعا أن تكون قوة المقاتلين الأساسية صامدة، وإلا فستكون فرصتهم في الوصول أحياء إلى القصر ضئيلة جداً.

كانت ماكسي إلى جانب أران الآن، تقاتل معه ظهراً إلى ظهر. أما الصغار فقد شُكلوا في مجموعة متقاربة حيث كان صعباً على الراشدين غير المسلحين الوصولَ إليهم. اخترق بعضهم صفوف المقاتلين. رأى أران مقاتليْن يسقطان أرضاً، يُداسان تحت الأقدام. دوّت صرخة أحد أفراد موريسون الذي أمسكت به ثلاث والدات ضخمات وجررنه. كان الراشدون يتقدمون بقوة، وبذلك المعدل لن يطول الوقت حتى يقضوا على الأولاد جميعهم.

نظر أران حوله. لم ير جستر في أيّ مكان، وأين ذهب بلو؟ لقد اختفى عندما بدأ القتال الحقيقي.

هل فر أم قُبض عليه؟

كره أران الراشدين.

شعر بالنبض في رقبته وتذكر ما فعله الراشدون به. غلى الغضب في داخله، وكأن جسده يشتعل ناراً جعلته يتلوّى ليخرج من الحالة التي تنتابه. اندفع الدم في أذنيه وغلى في شرايينه. لن يدع المزيد من الأولاد يموتون.

أحكم قبضته على مضربه، وضرب بعنف والدة أبعدها من طريقه التي شقها متقدماً.

«علينا أن نفرقهم،» صاح. «لنهاجم قلب صفوفهم!»

«أنا معك يا رئيس،» قال جوش، «فهم لا يخيفونني!»

انظم إليهما المقاتلون واحداً تلو الآخر، مخترقين الصفوف الهائلة للراشدين.

كان أولي لا يزال خلف المقاتلين، يُطلق كرة كلما سنحت له الفرصة. لقد فقد أثر المقاتلين الآخرين، الذين إما التقط بعضهم أسلحة مرمية وانضموا إلى القتال أو تراجعوا إلى مؤخرة المجموعة. الوحيد الذي بقي منهم معه كان فتى موريسون الذي سخر منه سابقاً لقلقه كثيراً. لم يستطع أولي حتى تذكر اسمه. كانا يطلقان كرة تلو الأخرى، لكن ذخيرة الفتى الآخر بدأت تنفد.

تقدم أران والآخرون، لكن رأى أولي أنهم أوقعوا أنفسهم في مأزق. سريعاً، سيُحيط بهم الراشدون من كل حدب وصوب. لم يعد هناك ما يستطيع أولي فعله للمساعدة. كان يبذل قصارى جهده، لكن كان الأمر أشبه برمي حصى إلى نهر غاضب.

تساءل إن كانت هذه هي النهاية. إن كانوا سيموتون جميعاً هنا.

ثم دوّى صوت قوي وهدرت سيارة بي إم دبليو عند المنعطف من شارع رويال كولدج. اندفعت نحو الراشدين، لتطيرهم في جميع الاتجاهات.

رأى أولي بلو خلف المقود يضحك بجنون. لا بد أنه شغل السيارة عبر وصل الأسلاك. فجأة اندفع الراشدون بتخبّط في محاولة للابتعاد عن الطريق.

«دعهم يذهبوا،» صرخ، لكن فتى موريسون كان متحرقاً للقتال. التقط رمحاً عن الأرض واندفع نحوهم، غارزاً رمحه في أعناقهم. وقف والد قصير سمين بعين واحدة مستعداً للقتال. ضرب الولد بقوة بقطعة اسمنت. راقبه أولي يسقط وتدهسه أقدام الراشدين المنسحبين. وضع كرة فولاذية في مقلاعه وصوّب نحو الوالد. اختار اللحظة المناسبة وأطلق كرته التي أصابت الوالد في رقبته من الخلف. سقط أيضاً، وُدهس أيضاً.

انضم إلى لويس من بقي من فرقة المقاتلين وجستر. لكن جستر غيّر اتجاهه وانضم إلى مجموعة الصغار. أدرك لويس أن الاختباء كان الطريقة التي بقي بها جستر على قيد الحياة بينما لاقى رفاقه حتفهم بعد مغادرتهم القصر.

لم يلمه لويس. لا يستطيع جميع الأولاد القتال. يكون الاختباء أحياناً خياراً أفضل. تسلح المقاتلون بأسلحة خفيفة متنوعة، لكنها كانت كافية لإبقاء الراشدين بعيداً. كان على لويس صدّ الراشدين لوقت كافٍ ريثما يصل مقاتلو الجبهة الأمامية للمساندة.

إذا خسروا المعركة الرئيسية، فكل ما يستطيع لويس والصغار فعله هو الفرار.

تهافت الراشدون من مقدمة الشارع. ربما حان وقت الهرب. سحب لويس باقي مقاتليه إلى الرصيف، كان البقاء على قيد الحياة أهم من قتل العدو.

سمح لنفسه بابتسامة رضى.

لم يفقد ولداً واحداً.

لم يغيّر بلو عن التعشيق الثاني وداست قدمه بقوة على دواسة الوقود، شاقاً صفوف الراشدين، لكن حذراً من عدم التعرّض لأي طفل.

رأى الفتاة ماكسي تقاتل برمحها بقوة. بدت كأنها ملكة محاربة. اتجه بالسيارة نحوها صادماً الراشدين واحداً تلو الآخر. ها هو أران. كان الفتى قوياً. كان مصاباً إصابة بالغة لكن لم يوقفه شيء. ابتسم بلو. تمنى لو أنه اتّحد مع أولاد ويتروز من قبل.

عرف أران كيف شعر فريك الليلة الماضية عندما جنّ جنونه. احترق الغضب داخله مثل وقود صاروخ، كان ثملاً بالغضب. خاض جموع الراشدين الفزعين، مؤرجحاً مضربه بوحشية مُردياً إياهم أرضاً. لم يعد مُتعباً أو مريضاً. لم يعد يشعر بشيء. وكأنه ترك كل شيء خلفه وكان يراقب من مكان آخر، مثل فيلم سينمائي، أو لعبة حاسوب.

نعم. رام أساسي. استمر في الضغط على زر إكس وراقب مضربه يتأرجح. هشّم جمجمة. كسر ذراعاً. سحق عموداً فقرياً.

استطاع رؤية درب طويل ضبابي خلفه بينما تحرك عبر الهواء. وعندما انفجر رأساً، لم ينزف دماً، فقط نقاط ضوء متعدّدة الألوان.

لقد أطفأوا خاصية الدم، فكّر. جعلوا اللعبة ملائمة لمن هم تحت الخامسة عشرة. لكن هذه اللعبة كانت سهلة جداً. لقد ضُبط الذكاء الاصطناعي للعدو على مستوى منخفض. كان بطيئاً جداً، وغبياً جداً، يسهُل القضاء عليه.

ضربة!

ها هم يسقطون أرضاً.

تسديدة قوية!

ضحك. كان الأولاد سيفوزون بهذه المعركة اليوم.

تهشيم!

كان الراشدون يتراجعون، يحاولون الفرار. وقع نظره على الوالد ذي الرأس المتورم الذي تجمهرت مجموعة من الآباء حوله وبدا كأنه يعاين المذبحة. هز رأسه الذي تمايل إلى الأمام وإلى الخلف فوق القلادة الذهبية المعلقة فوق صدره، ثم استدار وانسحب.

نعم. اهربوا أيها الجبناء.

لم يستطع أران تركهم يهربون، ليس بعد ما فعلوه. ركض خلفهم.

كان أحدهم يصرخ خلفه.

«دعهم أران، انتهى أمرهم.»

«دعهم يذهبوا!»

«لا!» كان أسداً وثوراً. صياداً. قاتلاً. ركض خلفهم، سيتقفى أثرهم حتى آخرهم، سيقضي عليهم ويجعلهم من الماضي.

تعثر الراشدون يساراً ويميناً بينما انقضّ عليهم بمضربه. حشرهم في شارع اصطفت فيه الأشجار، بالقرب من مغسل للسيارات. تعثروا وتخبطوا بخوف وطيش. وسقطوا أرضاً. سهام فضية انطلقت من عينيه وسقطوا. صرخ بفرحة. لم يعد يحتاج حتى إلى مضربه. رماه بعيداً، فقد كان يبطئ حركته فحسب.

ترك الأولاد الآخرين خلفه. كان فقط هو والراشدون. رآهم يقعون، السهام الفضية تخرج من أجسادهم البشعة المتشققة.

فجأة، شعر أنه تلقى لكمة قوية في الصدر. لم يعد يركض. نظر إلى أسفل. كان هناك سهم فضي يخرج منه. لا، لا يُعقل هذا. لا يعقل أنه أصاب نفسه. حاول أن يضحك، لكن كان ذلك مؤلماً جداً. ما الذي يحدث؟ لقد سقط. كان يجلس، رجلاه ممددتان أمامه. كانت جثث الراشدين في كل مكان حوله.

لم يتحرك شيء.

لم يستطع التنفس. رئتاه كانتا مليئتين بالسائل.

نظر إلى أعلى. كانت السماء تتأرجح.

من بعيد جداً، سمع صرخة.

«أرراااان!»

20

كان سام الصغير يقود دراجته مثل شيطان. كان هناك راشدون فيٍ كل مكان. عجّت الطرقات بهم. من أين أتوا جميعهم؟ لا بد أن أمراً كان يحدث. في كل مرة حاول فيها العودة في اتجاه كامدن، كان يقابل مجموعة من الراشدين ويضطر إلى الالتفاف والقيادة بقوة في الاتجاه الآخر. لقد سلك ممرات ملتوية والعديد من الطرقات الجانبية لدرجة أنه لم يعد متأكداً أين هو الآن. كان يسلك طريقاً رئيسياً ذا أبنية منخفضة وسخة بدت أنها كانت في حالة يرثى لها حتى قبل وقوعٍ الكارثة. ثم رأى شيئاً عرفه. بيتزا إكسبرس. لا بد أن هذه كنتيش تاون إذاً. تذكر نقاش والدته ووالده بشأن الذهاب إلى أحد أفرع بيتزا إكسبرس. «لنذهب إلى فرع كنتش تاون.» كان مكاناً كبيراً ذا سقف مرتفع. كان هناك تمثال غريب الشكل لرجل يقف في إحدى الزوايا. كان يجده مخيفاً نوعاً ما عندما كان أصغر سناً.

كم من السخيف أن يخاف من تمثال.

إلى حد علمه، كانت كنتيش تاون بالقرب من كامدن. إذاً ربما لم يضِع كما كان يظن. كل ما كان عليه فعله هو مواصله سيره نزولاً.

كانت غيمة من الدخان الأسود تخيّم على الطريق أمامه. كانت النيران مشتعلة في متجر. حبس أنفاسه وعبر المكان. لحسن حظه، كان الطريق سالكاً عند الجانب الآخر. لم يحب الراشدون النار، كانوا يبتعدون عنها دائماً.

هناك، رأى فوق القناة خلفية مبنى سينسبري الفولاذي ذي الشكل

الغريب الذي بدا كأنه من أفلام ستار وارز. لقد نجح. لقد فعلَها. كانت تلك كامدن. لكن بوجود هذا العدد الهائل من الراشدين في الطرقات، تساءل أين قد يكون أصدقاؤه. وإيلا. أمَل ألا تكون خائفة جداً من دونه.

تذكر شعوره عندما رأى للمرة الأولى مجموعات الراشدين تزحف مثل جيش جرار في طريق كامدن. عرف الخوف الذي يساوره الآن. الراشدون يحتشدون لمهاجمة أصدقائه. هل اضطر الأولاد أيضاً لأن يسلكوا طريقاً آخر للبقاء بأمان؟

داس أقوى وسرعان ما وصل إلى مفترق طرق بالقرب من محطة قطار الأنفاق. توقف عند نقطة التقاطع في الوسط. في الماضي، كانت السيارات والشاحنات والحافلات تعبر في جميع الاتجاهات، والأرصفة كانت تعجّ بالأولاد الذاهبين إلى السوق. الآن، لم يعد الأمر يشبه أن تكون في المدينة على الإطلاق. بدت الأبنية مثل صخور ومنحدرات. جثمت السيارات المهجورة والمعطلة كالصخور، والشارع مثل مجرى نهر حاف.

تناهت إلى مسامعه أصوات متسارعة، ضجة تشبه تدفق المياه. لقد سمعها من قبل. لم تكن مياهاً، بل أصوات الراشدين المحتشدين. يتنفسون، يتنهدون، يهسهسون، يجرّون أقدامهم على الاسفلت. لكن أين مصدر الصوت؟

تلفّت حوله.

هناك. في اتجاه هولوواي، حيث الطريق المؤدي إلى واجهة مبنى سينسبري. مجموعة كبيرة من الراشدين كانت تزحف باتجاهه. استطاع شمّ روائحهم حتى من هذه المسافة.

عليه أن يغيّر اتجاهه.

لكن أيَّ طريق يسلك؟ أيّ طريق سلك الأولاد الآخرون يا تُرى؟

كانت أمامه خيارات كثيرة، لكن الراشدين كان يظهرون من كل حدب وصوب. ربما كانوا يحاولون معرفة ما يحصل؟ الطريق الخالي الوحيد كان الذي أتى منه، أي باتجاه كنتيش تاون، والنيران التي بات باستطاعته رؤيتها

الآن امتدت ألسنتها أكثر فأكثر. تلوّنت السماء في ذلك الاتجاه بضباب رمادي مائل إلى بنفسجي.

فكر. في أيّ اتجاه وسط لندن؟ كانت إشارات الطرق معقدة جداً، فقد أشارت إلى أسماء أماكن لم يعرفها أبداً.

الطريق الأوضح أمامه كان الطريق الرئيسي، وكان الأوسع. كان بضعة راشدين يتجوّلون بالقرب منه، لكن إن قاد سريعاً كفاية يمكنه تخطيهم. مال بدراجته إلى الأمام، ووضع ثقله كاملاً على دواسة، ثم على الأخرى، وانطلق سريعاً والدواستان تدوران حتى لم تعودا واضحتين وجلجت السلسلة فوق أسنان العجلة. عبر مجموعة من الراشدين الذين مشوا خلفه بوهن، نظر إليهم خلفه وإذا بدولابه الأمامي يصطدم بحفرة في الطريق. ارتجت الدراجة بكاملها. فقد سيطرته وطار من فوق المقبضين، مرتطماً بقوة على الاسفلت. للحظات قليلة، لم يستطع التحرك من الصدمة. تمزق بنطاله وسال الدم من مرفقيه وركبتيه. ثم شعر بأن أحدهم يقترب منه فهز نفسه مستفيقاً. نظر إلى أعلى فرأى والدة شابة نحيفة صلعاء سال لعابها على ذقنها تمد يديها للإمساك به. تدحرج بعيداً عن قبضتيها وركل. أصابها في ركبتها فوقعت ليرتطم وجهها بالأرض.

وقف سام. نظر نحو دراجته. كان الدولاب الأمامي ملتوياً ومثقوباً. كل ذلك الجهد ذهب سدى. عليه السير على قدميه الآن. قد لا يتمكن من اللحاق بالآخرين.

في الواقع، عليه أن يركض. فقد زاد عدد الراشدين المقتربين منه.

تعثر إلى الأمام وشعر برجليه ترتجفان. شعر بالدوار والوهن جراء السقوط. أجبر نفسه على التحرك، بينما كان حذاؤه الرياضي المتسخ مرمياً أمامه على الطريق. احتاج إلى مكان للاختباء. تقدّم بضع خطوات باتجاه المرحاض العمومي. لا. لم يرد أن يُحاصر. تذكر محطة قطار الأنفاق. ربما إن تمكن من دخولها، في الظلام، فسيكون على ما يرام. لقد قضى وقتاً صعباً طويلاً على الطرقات. بدأ يركض ثم قفز من فوق بعض الحواجز الحديدية.

وثب والدان خلفه لكنهما ارتطما بالحاجز الحديدي.

كانت هناك سيارة قد ارتطمت بجدار المحطة تاركة فجوة في المصاريع الفولاذية الضخمة. جلس هيكل عظمي خلف المقود. لا تُرى عادة هياكل عظمية في أي مكان.

انحنى سام وتسلق فوق بوابات بيع التذاكر. بحث بتوتّر في جيبه عن المصباح الذي جلبه من ويتروز. رفع المقبض وضغط زر الاضاءة. لوّح بالضوء الأزرق الأبيض على الجدران. كان أمامه خيار وحيد. عليه النزول إلى أرصفة المحطة. حفزه زعيق من الخارج وخلال ثوانٍ كان يجري نزولاً على السلم المتحرك المعطل درجتين في كل خطوة، وضوء مصباحه يتناثر في كل مكان لتظهر ملصقات ممزقة عن الإجازات والتلفاز والمتاجر وأشياء أخرى غير مجدية.

كانت فوضى عارمة في الأسفل. طوب متساقط، أسلاك متشابكة، برك من المياه الصفراء... جثة هامدة غزتها الديدان. لا بد أن ناراً كانت قد شبّت هنا، فقد استطاع شم رائحة الدخان.

كان الراشدون لا يزالون في أعقابه. كانوا على السلم المعطل. تردّد صدى حفيف أقدامهم المزعج بين الجدران. همهمات وأنفاس متثاقلة وأقدام متعثرة. نظر سام سريعاً يمنة ويسرة واختار جهة اليمين.

ركض عبر أنفاق المسافرين حتى وصل إلى رصيف. سلط ضوء مصباحه سريعاً عبر السكة الصدئة. كانت المياه والنفايات متناثرة بين القضبان. وثب إلى أسفل، وضغط بجسده على الجدار أسفل الرصيف وأطفأ مصباحه.

كان الظلام دامساً. ظلام لم يشهد له مثيلاً قبل الكارثة. لم يكن هناك أي مصدر للضوء على الإطلاق. لا مصابيح سلامة وامضة. لا ذرة نورٍ كهربائي. لم يعد للعالم وجود. أحس سام فجأة بحواسه الأخرى. أولاً الجروح والخدوش على جسده المصاب، ثم مسامير السكة المعدنية تنغزه في خاصرته. بعدها، تسللت إلى أنفه رائحة غبار وزيت ورطوبة. ثم سمعه. التقطت أذناه صوت مياه تقطر، وحيوان صغير يتحرك، فأر أو جرذ. وعلى

مسافة قريبة، الراشدون. أحس بتخبّطهم في الظلام. كانت خطواتهم متعثرة. سمع سعالاً، وعطساً، واصطكاك أسنان. أظافر طويلة تخربش على الجدران متحسّسة طريقها.

صلى أن يستسلموا ويعودوا أدراجهم إلى الضوء. فقد كان صغيراً على أن يزعجوا أنفسهم به. لا يجدر بهم الأمل بالعثور عليه.

ارحلوا. ارحلوا. ارحلوا.

وصلوا إلى الرصيف واقترب واحد منه. استطاع سام سماعه يشم والتقط أنفه رائحته المقرفة الأشبه بمرحاض مسدود. سمع خفخفة ثياب الراشد الذي ركع وتحسّس بأصابعه على طول أطراف الرصيف. كان حفيف تلك البشرة الجافة أشبه بحفيف ورق خشن.

ارحل... أرجوك أن ترحل.

راشد آخر. سمعه يرتمي بتثاقل على السكة، شاقاً طريقه نحوه.

تساءل متى سيتسلمون؟

هل يخاطر في الهرب، أم أن بقاءه هنا أكثر أمناً؟

إذا ركض، فعليه أن يضيء المصباح وحينها سيعرف الراشدون مكانه.

انزلق الراشد الذي يقف فوق على الجدار وكاد يرتطم به. سمع صوت قدميه تغطسان في بقعة مياه.

أصبح هناك راشدان على السكة الآن، يتحركان بالقرب منه. لا بد أنه خلال وقت قصير سيلحق بهما الآخرون. عرفا أنه هنا. استطاعا الشعور بوجوده في الظلام. وعاجلاً أو آجلاً سيقبضان عليه.

كانت دقات قلب سام تتسارع، وجسمه بكامله يرتجف. قد يشعران بذلك. كان يعض على قميصه لمنع نفسه من البكاء خوفاً. كان وضعاً حرجاً. لم يعد يستطيع الاحتمال أكثر. وجه مصباحه في الاتجاه الذي أحس بوقوف أقرب الراشدَين إليه، وأشعل الضوء فجأة لنصف ثانية.

أصاب الضوء وجه الراشد مباشرة. شهق ورفع يديه ليغطي بهما عينيه، لكن كان سام قد رأى ملامحه جيداً. والد، أنفه انشق تقريباً إلى نصفين ليبرز

ثقب أسود بشع. تدلى فكه السفلي. لوّح سام بضوئه سريعاً في كلا الجانبين على طول السكة، ما يكفي ليرى خياراته المتاحة. تدحرج ورمى بنفسه في المجرى الممتد على طول السكة. ارتفعت في المجرى حوالى ثمانية سنتيمترات من المياه النتنة. تقدم سام بتعثر، متكئاً حيناً وزاحفاً حيناً آخر، متحركاً أسرع ما كان يجرؤ في الظلام باتجاه أحد أنفاق السكة الحديدية. كانت يداه تتحسسان السكة على الجانبين. تبعه الراشدون اللاهثين. لقد رأى منذ أشعل مصباحه ستة منهم على الأقل.

أومض بمصباحه سريعاً، ثوان قليلة وسيصل إلى نهاية المجرى. تسلق صعوداً نحو النفق. سيكون التقدّم أصعب الآن. كان عليه شق طريقه عبر مسار السكة من دون الانزلاق. الأمر ينطبق أيضاً على الراشدين، الذين قد يتمكنون من اللاحق به بسبب الضجة التي يُصدرها.

تعثر، أشعل مصباحه كل بضع ثوان ليرى طريقه. انقسم النفق إلى قسمين فاتخذ قراره سريعاً وسلك جهة اليسار. وصل إلى قطار متوقف كبير يكاد يكون بحجم النفق ما يمنعه من المرور من جانبه لذا كان عليه الزحف أسفله.

تمدد على بطنه وزحف نحو مقدمة القطار متلوياً كدودة. كان عملاً شاقاً، ومن الصعب التحرك من دون أن يُحدث صوتاً. هل كان الراشدون لا يزالون في إثره؟ سلط ضوئه إلى الخلف، فرأى ثلاثة منهم يزحفون تحت عربة القطار بعيون حمراء متورمة وألسنة متدلية. زاد أحدهم من سرعته وأخذ يسعى مثل أفعى.

أطفأ سام مصباحه.

الظلام مجدداً.

واصل زحفه. ركبتاه تخزانه. أصبح صوت متعقبيه قريباً.

أصبح الراشد المتقدم أقرب أكثر فأكثر، سمع سام صوت أنفاسه القذرة بلهاث متقطع. قبض على كاحل سام. ركله سام، ثم ركل وركل. شعر بأن شيئاً ينكسر مثل غُصين، أمَل أن يكون إصبعاً. لكن رغم قوة ركلاته، لم يفلته الراشد. حينها، تذكر سام مشبك الفراشة. كان قد شبكه في طية

قبة قميصه. أمسكه، ثم زحف إلى الخلف وغرزه وخز، وخز، وخز، وخز، وخز – في المكان الذي قدر أين يكون وجه الراشد. كان الأمر أشبه بفقء بطيخة. أطلق الراشد صرخة مدوية، ثم أفلت سام وتقلّب مثل حيوان جريح.

قد يعوق هذا الآخرين. بد أن أسفل القطار امتد أكثر فأكثر، لكن عند أحد الجانبين في جدار النفق، رأى فتحة مظلمة. أهو طريق للخروج؟

زجّ بالمصباح في جيبه، تمدد محاولاً ألا يُصدر ضجيجاً، تحرك ببطء إلى جانب السكة، متخطياً عجلات القطار حيث كانت هناك فتحة بين عربتين. لا يستطيع المخاطرة باستخدام المصباح لأن ضوءه سيدل الراشدين على مكانه. لذا تحسّس الجدار بكلتا يديه حتى وجد الفتحة فانزلق عبرها. سمع الراشدين يعبرون بالقرب منه تحت القطار. لن يمضي وقت طويل حتى يدركوا أنه لم يعد أمامهم، لكن هل سيعثرون على مخبئه؟ دخل سام أكثر إلى الفتحة. انحدرت الأرض تحته وصولاً إلى مياه ضحلة. ثم وصل إلى جدار صلب. مجدداً، استخدم يديه للتعرف إلى المكان من حوله، واكتشف أنه كان في قاع قناة من نوع ما. كان مفتوحاً أعلى رأسه، وماذا أيضاً، كانت هناك درجات معدنية مثبتة إلى الجدار. جمع شتات نفسه وتسلق نحو الظلام.

21

«لم أعرف. أنا آسفة جداً. لم أعرف... لم نميّز...»

كان أران ممدداً حيث سقط، مُحاطاً بجثث الراشدين، وماكسي، بلو ودائرة مذهولة من باقي أولاد هولوواي. كانت الفتاة تركع بالقرب منه، يدها تضغط على صدره حيث خرج السهم. قوسها كان ملقى قرب جسد أران.

لم تعرف ماكسي اسم الفتاة. لم ترد أن تعرف. كانت طويلة، نحيفة، وأنيقة بشعرها الأسود الطويل وبشرتها الناصعة البياض. كانت ترتدي سترة جلدية سوداء وحذاء راكبي الدراجات الذي يصل إلى الركبة.

وقف خلفها بحذر مجموعة أصدقائها، خمس فتيات، وسبعة فتيان. كانوا جميعهم نحيفين، وبدا أن قساوة الطقس نالت منهم، كما لو أنهم كانوا يعيشون في الخارج منذ فترة. تحركت عيونهم مثل حيوانات. بترقب، بحذر، بشك.

فاق عدد أولاد هولوواي عدد المجموعة الجديدة.

لقد أصابوا أران.

«كنا نلحق بالمجموعة،» قالت الفتاة. «الكبار. لم نعرف ماذا كانوا ينوون. لم نرهم يتصرفون بتلك الطريقة من قبل. نعرف كيف نختبئ جيداً. كنا نبقى بعيدين عن طريقهم. وفجأة كانوا يندفعون عبر الشارع باتجاهنا. ظننا أنهم يهاجموننا لذا بدأنا بإطلاق السهام. لم نر الفتى بينهم أبداً.» لمست طرف السهم. «هذا سهمي،» اعترفت بحزن. «أنا آسفة جداً.»

«أسفكِ لن يعيده أبداً،» قالت ماكسي. «الأسف لن يغيّر شيئاً.»

«كان مجرد حادث،» قال أولي، فصوّبت ماكسي إليه نظرة حادة.

شقت مايف طريقها إلى الأمام وركعت بالقرب من أران. وضعت أذنها على صدره وإصبعها على الشريان في رقبته.

«ليس ميتاً،» قالت.

«أوه، حمداً لله،» بكت ماكسي، ورمت بنفسها بالقرب من مايف. وضعت وجهها على أران. كان مبللاً بالدموع. لم تبال بمن يراها.

«أران،» همست في أذنه. «لا تمت.»

فتح أران شفتيه وقال كلمة واحدة في أكثر الأصوات همساً التي سمعوها في حياتهم. كان الصمت رهيباً، لذا لم يكن من شك في الكلمة التي قالها.

«لا.»

ابتسمت ماكسي عبر دموعها.

«لن يموت. إنه قوي. إنه قائدنا. سيوصلنا جميعاً إلى القصر...»

«القصر؟» سألت الفتاة، فتقدّم جستر.

«أنا أقودهم إلى قصر باكينغهام،» قال. «المكان آمن هناك.»

«ليس هناك مكان آمن،» قالت الفتاة. «نحن نعرف. فقد تجوّلنا في كل تلك الأماكن.»

«هل ذهبتم إلى وسط المدينة؟» سأل جستر.

«حسناً، لا...»

«إذاً لم تتجولوا في كل الأماكن، صحيح؟»

«لن ترافقنا في مطلق الأحوال،» قالت ماكسي وهي تقف. «ليس بعد ما فعلته لأران.»

«لم أقصد ذلك.»

«صحيح،» قال بلو. «كان مجرد حادث. إذا أرادوا مرافقتنا فليفعلوا. يمكننا الاستفادة من المزيد من المقاتلين. لقد فقدنا سبعة أولاد في المعركة.»

«لن ترافقنا،» صرخت ماكسي.

«إذا قلتُ سترافقنا، فسترافقنا،» قال بلو.

«لماذا؟» قالت ماكسي. «لأنها جميلة؟»

«ما دخلِ ذلك؟» ضحك بلو بتكبّر. «قلتُ انها مقاتلة جيدة، علينا أن نتّحد جميعاً.»

«من جعلك مسؤولاً فجأة؟» تذمّرت ماكسي.

«قلت للتو إن أران كان القائد،» رد بلو بهدوء، متجاهلاً غضب ماكسي. «حسناً، لم يكن كلامك ذاك دقيقاً تماماً، صحيح؟ كنا الاثنين قائدين. وهو الآن مصاب إصابة بالغة، لذا بدءاً من الآن، أنا المسؤول.»

حدّقت ماكسي بعينين جريئتين. «أنا القائدة مباشرة بعد أران.» قالت. «سأحل مكانه حتى يتعافى.»

«أنا المسؤول يا فتاة،» قال بلو.

«لا يهم،» قال أولي الذي تقدّم ليقف بينهما. «كل ما يهم الآن هو إيجاد حل لوضع أران. ثم يمكننا التشاجر على من سيتولى المسؤولية. مايف، هل هناك ما يمكنك فعله؟»

«لا أعرف،» قالت مايف هازة برأسها. «أصابه السهم عميقاً. إذا أخرجناه، فقد ينزف أكثر.»

«أهو في قلبه؟»

«لو كان في قلبه، لما كان حياً الآن.»

«رئته؟»

«ربما.»

ألقت مايف نظرة على الفتاة التي كانت لا تزال تركع بقربها. «ما رأيك؟ هل تعرفين عن السهام؟»

«أظن أنك على حق. إذا حاولنا اخراجه، فقد يزداد الأمر سوءاً.»

«لا يمكنكم تركه هكذا،» صاحت ماكسي. «لا يمكنكم.»

أومأ أولي للفتاة. «أنت؟» قال. «ما اسمك؟»

«صوفي،» قالت الفتاة.

«أخبريني صوفي،» قال أولي الذي انحنى ليتفحص الإصابة. «أهو

شائك؟ السهم؟ هل رأسه شائك؟»

«لا،» أجابت صوفي. «إنه سهم رياضي مُصمّم لإصابة الهدف. لقد اخترقه على الأرجح. كانت المسافة قريبة جداً.»

ناحت ماكسي ورمت بنفسها على أران، ووضعت رأسه بين يديه.

«كان ضعيفاً بسبب العضة في عنقه،» قالت. «ما الذي سنفعله؟»

«حسناً،» قال جستر. «الوضع كالتالي كما أرى. لا يستطيع السير. لذا، مهما كان ما سنفعله فسنضطر إلى حمله. ربما نصنع حمالة أو نعثر على عربة نقل، أو شيء من هذا.»

«لا نستطيع تحريكه وهناك سهم يخرج منه،» اعترض بلو.

«أعرف ذلك،» قال جستر. «لذا علينا المخاطرة بإخراجه. ليس لدينا خيار آخر. علينا أن نضمّد الجرح ونأمل أن يتوقف عن النزف.»

«سيتوقف النزف من الخارج فحسب،» شرحت مايف. «ليس من الداخل. سيموت.»

«حسناً، ماذا تقترحين؟» سأل جستر. «نجري له عملية؟»

«قد تكون الطريقة الوحيدة لإنقاذه.» قالت صوفي.

«لا تكوني غبية،» زعقت ماكسي. «لا يمكننا إجراء عملية له.»

«أعرف،» قالت صوفي بحزن.

«قد تكون لديه فرصة للنجاة إذا أوصلناه إلى القصر،» قال جستر. «لكن إن بقينا هنا فلن ينجو، وسنكون نحن في خطر أيضاً. علينا مواصلة التقدم. أقترح أن نسحب السهم ونرى ما سيحدث.»

«لا.» قالت ماكسي.

«ليس لدينا وقت لهذا،» قال أخيليوس الذي اتجه نحو أران، أمسك بالسهم وسحبه بقوة. صرخت ماكسي. تدفقت كتلة من الدم الكثيف الأشبه بالهلام من الجرح. أنّ أران وسعل. تشنج جسده وبقي ساكناً.

«لقد قتلته،» صرخت ماكسي.

«لا.» كان صوت أران.

22

انتظر سام، واقفاً بهدوء على الدرجات. لم يكن هناك من مخرج في القناة. كان أعلاها مغلقاً. و لم يعرف كم من الوقت يستطيع الصمود، رغم أنه ثبت جسمه عبر القناة. أحس بالألم في عضلاته التي كانت ترتجف. ظهره آلمه كثيراً.

حاول التركيز على البقاء متعلقاً بدلاً من تخيّل ما كان يفعله الراشدون. في كل مرة ظنٍ فيها أنهم رحلوا، كان يسمعٍ أصواتهم مجدداً. يبحثون عنه. كن صغيراً، قال لنفسه. كن صغيراً وهادئاً، حاوِل التفكير بالأوقات السعيدة. بالأيام المشمسة على الشاطئ. باللعب بالمكَعبات. بأي شيء غير كونه عالقاً تحت الأرض في مساحة ضيقة بوجود راشدين يبحثون عنه.

سمع أحدهم قريباً، ينخر مثل خنزير. أصابعه تخدش طوب الجدار. شعر بسائل دافئ يقطر على رجليه، فأدرك أن قد بلل نفسه مجدداً. صلى أن لا يتمكنوا من شم الرائحة. بعدها، سمع الراشدين يلعقون المياه عن الأرض. بعد ثوان قليلة، سمع صوت شجار. كان الراشدون يزمجرون ويهمهمون بعضهم على بعض.

لَم لم يرحلوا؟

لم يعد يحتمل.

إنه في التاسعة من العمر فقط.

حثّه صوت فظيع في داخله على الاستسلام، أن يترك الدرجات ويرمي بنفسه ويُنهي الأمر.

لا مزيد من الخوف. لا مزيد من الألم.

لكن كانت هناك قوة أكبر تجعل قبضتيه تشدان أقوى، توتر رجليه وتجعلهما مستعدتين للركل عند الحاجة.

كان سام، قاتل الراشد الضخم. سام صاحب المشبك الفضي. فكر بفيلمه المفضل – Time Bandits (لصوص الزمن) – كيف فاز الأقزام في معركتهم في النهاية ضد قوى الشر.

تذكر أيضاً قصة Pandora's Box (صندوق باندورا) التي قرأوها في المدرسة. بعد كل الأشياء السيئة التي خرجت منه، بقي شيء واحد. الأمل. وباندورا أخرجه من الصندوق.

كان عليه التحلي بالأمل.

سيغادر الراشدون بالتأكيد. سينزل السلّم. سيعثر على أخته وأصدقائه وسيسير معهم بأمان.

ضغط كالوم زر التشغيل في آلة الموسيقى وجلس على كرسيّه. ابتسم عند سماعه صوت آبا يصدح في المتجر. «الملكة الراقصة». كانت آبا فرقة والدته المفضلة. اصطحبته مرة لمشاهدة حفلة مباشرة لماما ميا وبرغم تذمّره، استمتع بذلك سراً. لم يعد يذكر عدد المرات التي شاهدا فيها معاً، مراراً وتكراراً، ذلك القرص المدمج. أحب الكثير من الأشياء غير الحديثة لكن كان عليه ادّعاء كرهه لها، مثل فيلمي هاي سكول ميوزيكل وهاري بوتر.

وآبا...

حسناً، يستطيع الآن الاستماع إلى ما يريد، يستطيع قراءة ما يريد، يستطيع فعل ما يريد من دون أن يسخر منه الأولاد الباقون. فتح علبة دراق وارتشف العصير الحلو. لسع ذلك الطعم اللذيذ لسانه وأغمض عينيه. لم يستطع التذكر متى كانت آخر مرة شعر فيها بسعادة أكبر من هذه.

*

كان فم أران جافاً وشعر بالجوع. يا إلهي، كان جائعاً. كان جائعاً وعطشاً، لكن لم يشعر بأيّ ألم. لم يشعر بأيّ شيء. كان ينجرف في بحر دافئ. قاوم كي يُبقي عينيه مفتوحتين. أحياناً، بدا لون السماء أسود، وأحياناً أخرى أبيض يُعمي الأبصار.

أحياناً، كانت حمراء بلون الدم.

نام لبعض الوقت، وحلم بأنه جالس يلعب على حاسوبه.

عندما استيقظ، كانت أمه هناك تضمّه بين ذراعيه، وشعر بسعادة لا تُوصف. أراد أن يخبر الجميع. لقد انتهى الكابوس. نظرت أمه إلى وجهه وابتسمت أجمل ابتسامة على الاطلاق. عرف أن كل شيء كان على ما يرام عندما ابتسمت بتلك الطريقة. لم يعد هناك وحوش. مشطت شعره عن جبهته وضعت يدها الباردة على وجهه. كما كانت تفعل دائماً عندما كان مريضاً. كانت تفعل ذلك لتتحسّس حرارته. كانت عيناها تبتسمان له كل الوقت.

«أحبك يا صغيري،» قالت، فابتسم لها. فتحه فمه ليتكلم. أراد أن يخبرها شيئاً. كان التلفظ بالكلمات صعباً، فقد علقت في حنجرته الجافة.

ضمدوا الإصابة ووضعوا اللفافات البيضاء حول صدر أران بإحكام. سرعان ما طُبعت اللفافات البيضاء بدم قاتم. كانت الإصابة تنزف باستمرار، ولم يجرؤ أحد على النظر في عيني ماكسي. عرف جميعهم السوء الذي كان يحدث – كان أران يُحتضر – لكن ماكسي لم ترض الاعتراف بذلك. كرهوا أنفسهم للتفكير بذلك، لكن أرادوا مواصلة المسير، وترك أران خلفهم. لم يكن المكان آمناً. لقد هاجم الراشدون مرة وسيهاجمون مجدداً بكل تأكيد. كلما أطالوا من بقائهم، زاد الخطر المحدق بهم.

لكن ماكسي جلست بالقرب من أران من دون حراك. كان قد تأخر الوقت. كانت تحتضنه لوقت بدا وكأنه ساعات، تتحدث إليه بهدوء، تحاول أن تُشربه الماء.

كانت تسمع الآخرين يتمتمون. كانوا يخططون. عرفت أنهم يريدون

ترك أران خلفهم. نظرت إلى وجهه الوسيم، كان شاحباً جداً ومتعباً. لم يتحرك منذ وقت طويل.

فجأة فتح شفتيه فارتجف قلب ماكسي.

«تعالوا إلى هنا،» صرخت. «بسرعة. إنه على ما يرام، اسمعوا، إنه يحاول التكلم.»

هرع أولي إليها بصحبة مايف وبلو.

«اسمعوا،» قالت ماكسي. «أنا متأكدة من أنه يحاول قول شيء. احتاج فقط إلى بعض الراحة. إنه يستعيد عافيته أخيراً. إذا استطاع التكلم، فهو بخير.»

فتح أران عيناه الزرقاوين المائلتين إلى رمادي، فرآهم بوضوح. ابتسم لماكسي.

«أحبك، أمي،» قالها بصوت خفيف وفارق الحياة بين ذراعي ماكسي.

23

فتشوا المباني والحدائق بالقرب، أخذوا منها كل ما استطاعوا حرقه – جذوع متساقطة، طاولات، كراسيّ، أبواب، منصات، ألواح سقالة، دواليب، جمعوها كلها حول البي إم دبليو. لم يعودوا بحاجة إليها. كان بلو قد قادها مطارداً الراشدين حتى آخرهم بعد المعركة، حتى فرغت من آخر قطرة وقود.

بعدما رتبوا موقداً مناسباً، لفوا أران والأولاد الميتين الآخرين بالملاءات. أرادوا التأكد من أن وجوههم مغطاة. ثم وضعوا الجثث أعلى الكومة.

كانت ماكسي قد أصرّت، من المستحيل أن تتركهم هنا ليأكلهم الراشدون. سيحظى أران والآخرون بجنازة الأبطال.

أما جثث الراشدين فقد بقيت حيث سقطت.

رش فريك برذاذه رسالة على جدار قريب.

في هذا المكان سقط أران هاربر. لا نعرف اليوم أو التاريخ، لكننا لن ننساه أبداً. كان الفتى الأشجع بيننا جميعاً. أعطاه ويتني وجوش أسماء الأولاد الآخرين الذين ماتوا، فأضافها فريك على الجدارية، ثم اختتمها بإمضاء فريكي – ديكي.

عندما أصبحوا جاهزين، أشعلت ماكسي عود كبريت واقتربت من السيارة.

ناداها فريك.

«قبل أن تفعلي ذلك،» قال، «أيمكنني قول شيء؟»

«حسناً،» قال بلو، «لكن سريعاً، علينا مواصلة سيرنا.»

«سأتكلم بسرعة،» قال فريك. أخذ نفساً عميقاً ونظر إلى وجوه الأولاد. «تحدّث أران إليّ هذا الصباح،» قال. «حثّني على الصمود. أما الآن فقد حان دوري. جميعاً خسرنا شخصاً عزيزاً اليوم. لكن الأهم، هو أننا انتصرنا. لقد تغلبنا عليهم. كنتُ سأكتب هناك شيئاً مختلفاً. كنتُ سأكتب «يحيا أران». لأن من المهم جداً أن نذكر ما أراد. أن نصل إلى القصر ونحظى بحياة أفضل. يجب ألا ننسى أمراً آخر. نحن الأولاد جميعاً في هذا معاً. نحن جميعاً على الجانب نفسه. الراشدون هم العدو. ما حدث لأران كان حادثاً. لا أريد أحداً أن يلوم صوفي. نحن نعمل معاً، ننجو معاً.»

«حسناً، خطاب جميل،» قال أخيليوس بلهجة ساخرة. «أشعلي النار الآن.»

تقدّمت ماكسي وسرعان ما شبت النيران لتتصاعد عدة أمتار في الهواء. رأت ماكسي شيئاً على الأرض فانحنت لتلتقطه. كان مضرب أران. شعرت بثقله في يدها. كان كل ما بقي من أثره.

من الآن، أصبح ملكاً لها.

عندما تأكد الأولاد أن النيران لن تنطفئ، انطلقوا في طريقهم. لم يريدوا البقاء ومراقبة الجثث تحترق حتى الرماد. قالوا كلماتهم المودعة وساروا في تشكيلة قتالية والنار من خلفهم.

كانت الخطة مواصلة السير ومحاولة الوصول إلى القصر تلك الليلة برغم تأخر الوقت وحلول الظلام. لم تكن المشكلة فقط أنه ليس من مكان آمن في كامدن ليلتجئ إليه هذا العدد الكبير من الأولاد، بل أيضاً خطر حريق نشب في كينتش تاون والتهم الأبنية في طريقه، وكان الدخان المتصاعد يجعل السماء أكثر ظلمة.

مشت صوفي والرماة في المقدمة مع بلو وجستر. وارءهم كان المقاتلون الآخرون، ميك الكبير، أخيليوس، فريك والباقون. أولي وعدد من المقاتلين تولوا مؤخّر المسير. اتخذ لويس موقعه عند الجناح الأيسر. سلمت ماكسي

مسؤولية مجموعتها إلى جوش عند الجناح الأيمن، وانضمت إلى الأولاد الصغار في الوسط. أرادت أن تكون معهم، لتستمد الراحة منهم. كانوا متعاطفين جداً معها و لم يخشوا من إظهار مشاعرهم. عانقوا ماكسي وأمسكوا بيدها ليشعروها أن كل شيء على ما يرام وأنهم أيضاً يفتقدون أران، تناقلوا القصص عنه وعن أفعاله الرائعة. كادت تنفجر بالبكاء مجدداً لكن جويل الصغير أعطاها جروه غودزيلا لتحمله. كان الجرو دافئاً وناعماً. كان نعساً جداً لكن لم يقاوم لعق وجهها قبل أن يرتاح بين ذراعيها. مشت وجويل يحدّق بها.

تقدّمت منها ويتني التي داعبت الكلب خلف أذنه.

«ظريف،» قالت، وابتسمت ماكسي.

«اسمعي،» تابعت ويتني. «آسفة بشأن أران. جميعنا كذلك.»

«لا بأس.»

«لم أعرف جيداً،» قالت ويتني، «لكن أستطيع أن أقول إنه كان طيباً. كنت تكنين له المشاعر، صحيح؟»

«لا أعرف. لم نتحدث عن الأمر أبداً.»

«أحياناً، لا تضطرين إلى ذلك يا فتاة.»

«كل هذا غير عادل،» قالت ماكسي بغضب. «تستيقظين ذات صباح وحياتك كلها أمامك. تريدين فعل الكثير، ثم – تلاقين حتفك. يزول كل شيء. لا أستطيع منع نفسي من التفكير كيف انتهت حياته هكذا. لن يكبر أبداً. لن يحظى بأولاد أبداً. لن يشيخ أبداً.»

«فكري به بهذه الطريقة فحسب،» قالت ويتني. «شاب إلى الأبد. دائماً أران الوسيم الذي عرفته.»

«ميت إلى الأبد،» قالت ماكسي.

«كفاك، فكري بإيجابية،» قالت ويتني. «هذا أمر.»

ضحكت ماكسي ضحكة تعلوها المرارة. «أفكر بإيجابية؟ انظري إلينا ويتني. انظري إلى ما حدث لنا. بماذا أفكر بإيجابية؟»

«على الأقل لم يعد الأخ الأكبر يظهر على التلفاز بعد الآن.»
«لا.» ضحكت ماكسي ضحكة كادت تتحول إلى بكاء.
«أترين؟ ما زلت تستطيعين الضحك.»
«أشعر بأنني ميتة في داخلي،» قالت ماكسي.
«ستكونين بخير. جميعنا خسرنا أحبّاء لنا.»
«أعرف. آسفة. كان يوماً فظيعاً.»
«قُتل أصدقاء كثيرون،» قالت ويتني. «كثيرون جداً.»
«نعم،» قالت ماكسي. «أران ليس الأول ولن يكون الأخير. في كل مرة يموت فيها أحدهم، أشعر بأنني لم أعد أستطيع الاحتمال.»
«لكن بطريقة ما تستمرين، صحيح؟» قالت ويتني. «تواصلين حياتك.»
«نعم،» قالت ماكسي ومسحت دمعة سالت على وجهها.
«لا أعرف،» قالت ويتني. «ربما، عندما ينتهي كل شيء، عندما نكون بأمان ونحظى بالراحة، سيكون هناك وقت للبكاء. أما الآن، كما قال فتاكِ، يجب أن نبقى معاً ونساعد بعضنا بعضاً.»
«أعرف. شكراً لك ويتني.»
«واسمعي،» أمسكت ويتني بذراع ماكسي. «بلو. إنه طيب. عليه أن يتصرّف بقساوة لأنه قائدنا. لكنه ليس غبياً. عليكِ التعاون معه.»
«سأحاول.»
عانقت ويتني ماكسي بعاطفة.
«أنت قوية. أعرف ذلك يا فتاة. معاً، يمكننا أن نكون أقوى.»
كانت ليلة خلت من ضوء القمر والنجوم التي أضاءت عادة السماء. أشعل بعض الأولاد مشاعل، لكنها كانت تنطفئ بسرعة. كانوا يستخدمون الولاعات لإشعالها. كان عليهم البقاء في مجموعات متقاربة، وإلا فهناك مخاطرة في التفرق في الظلام.
كان فريك يمشي بتثاقل، ضائعاً في أفكاره. شعر بأحدهم ينخزه في خاصرته.

«أتخطط للترشح لجوائز الأوسكار، وإلقاء المزيد من الخطابات المؤثرة؟» كان أخيليوس. تنهّد فريك والتفت بعيداً.

« لمَ تدّعي القوة دائماً أخي؟» سأل.

«من يدّعي؟»

«ألا تهتم لأران؟»

«بلى، أهتم. كان جيداً. لكن أنت لا تخدعني أبداً. أعرف حقيقة ذلك الخطاب الذي ألقيته.»

«أوه حقاً؟ ما هي؟»

تكلم أخيليوس بصوت متأثر مقلداً فريك. «لا تلوموا صوفي، كان مجرد حادث، علينا نحن الأولاد أن نتعاون... هراء. أنت تشعر بالذنب فحسب بسبب ما فعلتَه لأران ولا تريد أن يلومك أحد.»

«ماذا تقصد، ما الذي فعلتُه لأران؟ لم أفعل شيئاً له.»

«أنت من قتله، فريكي - ديكي.»

«عم تتحدّث؟ لم أُطلق ذلك السهم أبداً.»

« لم تكن مضطراً لذلك. كان يُحتضر مسبقاً. وديكي سبقه إلى حتفه. كل ذلك لأنك أردت البحث عن آلة عملة نقدية سخيفة.»

شعر فريك بغصة في حلقه. حاول جاهداً ألا يبكي.

«لا تقل هذا.»

«إنها الحقيقة فريكي - ديكي. أنت تعرفها ولن أنساها أبداً. كدت تتسبّب بمقتلنا جميعاً. برأيك لو أن أران لو لم يتعرّض لتلك العضة، هل كان سيتصرف بتلك الطريقة المجنونة هناك؟ لا. ولم يكن سيُصاب بسهم أيضاً. كل ذلك خطأك.»

شتم فريك أخيليوس الذي بصق على الطريق ومشى نحو ميك. قال شيئاً لفتى موريسون الضخم الذي ألقى بدوره نظرة على فريك وضحك.

في المقدمة، مشى جستر مع بلو، ومشاعلهما تُنير الطريق أمامهما.

«علينا أن نجرّب السير أسرع،» قال جستر. «لقد أضعنا ما يكفي من

الوقت. كان يجدر بنا الوصول خلال النهار.»

«نحن بأمان أكبر ليلاً،» قال بلو. «عدد الراشدين أقل.»

«لا أشعر بالأمان. ليس بعد ما حدث اليوم.»

«لم يكن ما حدث طبيعياً،» قال بلو. «الراشدون لا يتصرفون عادة بهذه لطريقة. يهاجمون معاً. كانوا بمثابة جيش. لم أر ذلك من قبل.»

«أما زلت تظن أن المتنزّه هو أفضل طريق نسلكه؟» سأل جستر.

«نعم،» قال بلو. «إنه مكان واسع، ويمكننا رؤية أيّ شيء قادم نحونا. الراشدون لا يحبون الأماكن المفتوحة والواسعة. كنتُ أفكر أيضاً بنصب خيامنا هنا لهذه الليلة. قد نضع حراساً عند الأطراف وندع الصغار يرتاحون.»

«لقد ارتاحوا بما فيه الكفاية،» قال جستر. «قضينا ساعات في كامدن ننتظر موت أران.»

«هذا كلام قاس يا فتى،» قال بلو. «ماذا برأيك كان باستطاعتنا أن نفعل؟ نُنهي عليه بأنفسنا؟»

«بالطبع لا،» قال جستر. «لكن كان واضحاً أنه سيموت.»

«فعلنا ما كان يجدر بنا فعله،» قال بلو. «لم يكن بإمكاننا القيام بغير ذلك أبداً.»

«أعرف،» قال جستر. «وأظن أن الطريقة التي توليتَ بها المسؤولية كانت ممتازة. أظن أنّ عليك تولي القيادة كاملة.»

«ماذا تقصد؟» استدار بلو نحو جستر، لكن لم يستطع تمييز ملامحه في الظلام.

«لا نحتاج إلى قائدين،» قال جستر. «تستطيع ماكسي الاهتمام بالصغار. إنها فتاة. لقد انهارت عند موت أران.»

«سنرى،» قال بلو. «قد لا تتقبّلني مجموعة ويتروز قائداً لها. نحتاج إلى ماكسي.»

«ربما.»

«ماذا سيحدث عند وصولنا إلى هناك؟» سأل بلو.

«ماذا تقصد؟»

«أفترض أن لديكم شخصاً أعلى في القصر.»

«نعم...»

«ماذا يحدث إذاً؟ ها؟ أجلس وأنفذ ما يُملى عليّ؟»

«لا تقلق بذلك الشأن.» قال جستر. «سنجد حلاً ما.»

مكتبة
t.me/t_pdf

24

عبروا الطريق في أعلى باركواي ودخلوا ريجنت بارك عبر بوابة غلوسستر.

كان المتنزه مختلفاً كلياً. زاد ارتفاع الأزهار كثيراً. العشب الذي كان قصيراً دائماً أصبح بارتفاع الخصر، وارتفعت منه الأعشاب الضارة والأزهار البرية. اندفعت الشتول هنا وهناك من بين الأشجار المتشابكة. أصبحت أطول بعدّة سنتيمترات الآن، لكن خلال وقت قصير سيصبح المتنزه غابة كاملة.

كان هناك ملعب بالقرب من البوابة. آثار من عصر منسي. حدّق الأولاد بالمكان بذهول خلال مرورهم بالقرب منه. أعادت ماكسي غودزيلا إلى جويل واتجهت نحو جوش للانضمام إلى فريقها عند الجناح الأيمن.

مشى جوش في المقدّمة حيث كان جستر والآخرون يناقشون أفضل طريق أمامهم.

«برأيي من الأفضل ألا نحيد عن طريقنا الحالي،» قال بلو. «إنه أكثر وضوحاً ونستطيع رؤية ما أمامنا أفضل. من يعرف ما قد يكون مختبئاً داخل الأعشاب الطويلة.»

«مثلاً تلك الطيور الجارحة من Jurassic Park (متنزّه جوراسيك)» قال جوش.

«أصبح في لندن أشياء كثيرة عجيبة هذه الأيام،» قال بلو ضاحكاً. «لكن الديناصورات ليست منها.»

«توقعِ اللامتوقع،» قال جوش. «لقد انقلب العالم رأساً على عقب. لن أُفاجأ أبداً. لم يعد هناك ما يُفاجئني.»

«لا تخف من وجود ديناصورات،» قال بلو.

«من قال شيئاً عن الخوف؟» قال جوش. «أتعرف ما هو لقبي؟» جوش، الفتى الذي لا يخاف. وسأقتل ديناصوراً حالما أراه.»

«لا شيء يخيفك، يا رجل؟» قال بلو محاولاً عدم الضحك.

«لا. الراشدون أغبياء، وبطيئون. لا يملكون أسلحة أيضاً. الكلاب غبية أيضاً. لا شيء يخيفني. إذا حاول شيء إخافتي، فسأقتله في الحال. سأرديه قتيلاً.»

«حسناً، يسرّني أنك إلى جانبنا،» قال بلو. «لنتابع سيرنا الآن.»

اضطروا إلى المشي بصف طويل حيث إن الطريق لم يكن واسعاً بقدر الطرقات التي سلكوها من قبل. بقي أفراد الجناحين الأيمن والأيسر على مقربة، يشقون طريقهم عبر الأجمة.

أما الأخوان بن وبيرني، فكانا يساعدان الأصغر سناً، يستمعان إلى أحاديثهم.

«تلك هناك حديقة الحيوان،» قال الفتى القرد، وهو يشير بإصبعه خلف صف الأشجار حيث ظهر عدد من أبنية الحديقة.

«كنتُ أحب حديقة الحيوانات،» قالت إيلا. «أقمت حفلة عيد مولدي هناك ذات مرة. كانت النمور والأسود هي المفضّلة لديّ.»

«ماذا حدث لكل تلك الحيوانات يا تُرى؟ سأل جويل وهو يمسك بغودزيلا بإحكام. «هل مات جميع الحرّاس؟»

«هل تضوّرت الحيوانات جوعاً حتى الموت؟» سألت إيلا بغصة.

«لا أظن ذلك،» قالت بيرني مطمئنة. «أتوقع أن يكون الحراس قد نقلوها إلى مكان آمن.»

«لا أظن أنه كان لديهم وقت لذلك،» قال سام الجعد، وهو واحد من أولئك الصغار المزعجين الذين ظنوا أنهم يعرفون كل شيء.

«أنا متأكدة من أن الحراس كان لديهم الوقت الكافي ليتأكدوا من سلامة الحيوانات،» قالت بيرني.

«أتظنان أن الحراس أطلقوا سراحها؟» سألت إيلا.

«نعم، أظن ذلك،» قال بن مبتسماً لبيرني. «ربما أطلقوا سراحها بالفعل.»

«إذاً قد تكون الحيوانات في المتنزه،» قالت إيلا بخوف مفاجئ، فندم بن على قوله أي شيء.

«ظننتُ أنك تحبين النمور والأسود،» قالت بيرني سريعاً.

«أحببتها عندما كانت في الأقفاص،» قالت إيلا، «ليس وهي طليقة.»

«الأسود خطرة،» قال الفتى القرد.

«هل ستلتهمنا؟» سأل جويل. «مثل المسيحيين؟»

«أيّ مسيحيين؟»

«في المدرج. في روما. كانوا يُطعمون المسيحيين للأسود.»

«إذا كانت هناك أسود طليقة بالفعل،» قالت بيرني، «فستكون على بعد أميال من هنا. تكون قد غادرت منذ زمن، اتجهت نحو الريف بحثاً عن الأبقار والغزلان وحيوانات مماثلة.»

«لا أريد الذهاب إلى الريف،» قالت إيلا. «لا أريد أن أُؤكل مثل المسيحيين.»

«لن يأكلك أيّ أسد،» قالت بيرني.

«صحيح،» قال سام الجعد. «لن يأكلك أحد سوى راشد.»

«هذا الكلام لا يساعد أبداً،» قالت بيرني.

«لكنه صحيح،» أصرّ سام الجعد. «الراشدون يأكلون الأولاد.»

«ما كان ذلك؟» سألت إيلا بوصت متهدج.

«ما كان هذا؟»

«سمعت شيئاً يتحرك بين الأعشاب.»

«لا بد أنهم الأولاد الأكبر سناً،» قالت بيرني وهي تحاول أن تكون هادئة، رغم أنها أيضاً ظنت أنها رأت شيئاً يتحرك. «إنهم يؤمنون الحماية لنا.»

«لا. لم يكن ولداً أكبر سناً.»

«ربما أرنب إذاً، أو قطة.»

«مثل أسد؟»

«اسمعي،» قال بن، محاولاً عدم فقدان صبره. «ما من شيء هناك. لن يأكلك شيء. لقد انتصرنا في المعركة، صحيح؟ نحن أقوياء. لا شيء يستطيع التغلب علينا.»

«نحن بأمان، صحيح؟» سأل جويل.

«نعم،» قال بن. «لدينا غودزيلا ليعتني بنا.»

ضم جويل الجرو بقوة. «لا يستطيع غودزيلا القتال،» قال. «إنه صغير جداً.»

«كنتُ أمزح فحسب،» قال بن. «لا يمكنني الفوز معكم بنقاش أيها الصغار، صحيح؟»

وصلوا إلى برودواك، وهو طريق أكثر اتساعاً يصل إلى مركز المتنزّه تحت صفوف من الأشجار الطويلة. نادت بيرني على لويس. مشى بتثاقل بينما يحك رأسه.

«هل رأيتَ شيئاً؟» سألته.

«ماذا تقصدين؟» سأل لويس.

«بين الأعشاب؟»

«لا.»

«هل سمعت شيئاً؟»

«لا شيء بين الأعشاب، لكنا رأينا راشدين.»

«الظلام حالك لرؤية أي شيء جيداً.»

«لدينا مشاعل.»

«سمعنا شيئاً،» قالت غيلا. «ربما أسد.»

عاد جوش من المقدمة ونظر إلى مجموعة الصغار الخائفين.

«ألا تستطيعون إبقاءهم هادئين؟» سأل. إنهم مذعورون.»

«ليس بيدهم حيلة،» قالت بيرني. «إنهم أطفال. لديهم مخيّلات واسعة.»

«رأيت شيئاً مجدداً!» قالت إيلا.

«لا، لم تفعلي،» غضبت بيرني.

علا حفيف أوراق الأشجار فوق رؤوسهم، فتوقف الجميع عن المشي وساد صمت مطبق.

تحرك غصين.

كان هناك شيء يتحرك عبر الأشجار.

«ماذا هناك؟»

«راشدون، ربما.»

«لا يمكنهم تسلق الأشجار،» قال لويس.

«كيف تعرف ذلك؟» سأل جوش. «مشكلتنا هي أننا كنا سجناء تلك المتاجر السخيفة لمدة طويلة وظننا أننا كنا نعرف ما يجري في العالم. كنتُ أجلس على ذلك السطح مع كالوم وظننت أنني كنت أرى كل شيء يُمكن أن يُرى. حسناً، لم أكن أرى شيئاً ما عدا ذلك الجزء الصغير من هولوواي. لا نعرف حتى إن كان نما للراشدون أجنحة وتعلموا الطيران.»

«لا يستطيعون الطيران، صحيح؟» سألت إيلا الخائفة.

«كفى جوش،» قالت بيرني. «أتيت إلى هنا لتطلب منا عدم إخافة الصغار وإذا بك الآن تُخيفهم. الأمر سيّئ كفاية من دون القلق حيال راشدين يطيرون.

«لا يستطيعون الطيران، صحيح؟» كررت إيلا سؤالها.

«بالطبع لا يستطيعون الطيران،» كادت بيرني تصيح. «معظمهم بالكاد يستطيعون المشي.»

«هناك شيء بالتأكد بين الأشجار،» قال لويس وهو ينظر إلى الأعلى.

«قد تكون سناجب.»

«حجمها أكبر من أن تكون سناجب،» قالت ماكسي التي كانت قد سمعت صوتاً أيضاً وأتت للتشاور مع لويس.

«حسناً، لن أتسلق إلى هناك لتحرّي الأمر،» قال لويس.

«انتبهوا، يبدو أننا سنبتعد بعضنا عن بعض،» قال بن وهو يشير نحو

المجموعة المتقدمة من المقاتلين الذي كانوا يواصلون سيرهم.

شتمت ماكسي وركضت خلفهم، تصرخ لبلو أن يتوقف.

«ما الأمر؟»

«انتظر وصول الآخرين.»

«لَم توقفوا؟»

«الصغار يشعرون بالخوف. هناك شيء بين الأشجار.»

«نعم، سمعنا الصوت أيضاً. ونظن أن من الأفضل أن نُسرع في سيرنا.»

«هل ترون شيئاً في الأعلى؟»

«الأوراق كثيفة. ومهما كان، فهو يتقن الاختباء.

«ألا يجدر بنا على الأقل تنبيه الآخرين لتوخي الحذر؟»

«إذا بدأنا بإلقاء الأوامر، فسيخاف الصغار أكثر،» قال بلو. «اذهبي إليهم وأخبريهم. واطلبي من الآخرين الإسراع.»

أتى أخيليوس.

«لَم لا نتحرك؟» سأل.

«علينا الحذر آخي،» قالت ماكسي بهدوء. «هناك شيء بين الأشجار.»

«أكره أن أقول هذا، لكن هناك شيء في الأجمة أيضاً،» قال أخيليوس، وهو يحدّق في الظلام.

«ماذا؟»

«هناك شيء يزحف بين الأجمة. ليس كبيراً كفاية ليكون راشداً.»

«ماذا يكون إذاً؟ أيُعقل أن يكونوا أولاداً آخرين؟»

«لا أعرف،» قال أخيليوس، وقبل أن تتمكن ماكسي من إيقافه، وضع يداً على فمه وصرخ. «من هناك؟ أظهر نفسك.»

لا شيء. كان العشب ساكناً كلياً.

«علينا أن نُسرع في سيرنا،» قال بلو وبدأ المشي مجدداً.

«انتظر،» قالت ماكسي، لكن لا فائدة.

كانت دقات قلبها تتسارع بينما عادت أدراجها نحو مجموعة الصغار.

«علينا أن نُسرع،» قالت مسرورة في قرارة نفسها لأن هناك ما يشغلها عن التفكير في أران.

«لا أحب السير تحت الأشجار،» قالت إيلا.

«لا تدخلوا الأجمة،» قالت ماكسي. «إياكم ودخول الأجمة.»

«لِمَ لا؟»

«لا تفعلوا فحسب.»

«لماذا؟ هل من شيء هناك؟ هل من شيء داخل الأجمة؟»

«لا. علينا البقاء معاً فحسب.» شعرت ماكسي بالخوف يعتري الأصغر سناً.

شعرت ويتني بذلك أيضاً، فجالت بينهم تطلب منهم ألا يخافوا. نظرت ماكسي إلى المقدمة. بلو وجستر والآخرين كانوا يبتعدون أكثر. شعرت كأنها بدأت تفقد السيطرة ببطء.

«تابعوا السير،» قالت وهي تحث الأولاد على التقدم.

مشى نصف الصغار، لكن الباقين توقفوا خوفاً. بعضهم كانوا يعودون إلى الطريق التي أتوا منها.

«ابقوا مكانكم!» صرخت ماكسي لكن في تلك اللحظة سقط شيء من الأشجار وهبط محدثاً صوتاً كالقنبلة بين الأولاد. في تلك اللحظة، بدأوا يركضون، يصرخون، في جميع الاتجاهات.

قبل أن تتمكن ماكسي من فعل أي شيء، سقط شيء آخر من الأشجار. ثم آخر. أشكال رمادية غير واضحة صرخت وهي تهبط. أمسكت بمضرب أران.

بدا أنهم سيخوضون قتالاً في كل خطوة عبر المدينة.

25

كانت فوضى عارمة. كان الصغار يركضون في جميع الاتجاهات بينما المزيد والمزيد من الأشياء – مهما كانت – تتساقط عليهم من الأعلى. كان من المستحيل في ظلام الليل رؤية شكلها تماماً. كانت مجرد أشكال رمادية غير واضحة ترتطم بالأرض، تعوي، وتصيح عبر الهواء. لا بد أنها كانت حيوانات من نوع ما. فهي أصغر حجماً من أن تكون من الراشدين. شقت ماكسي طريقها عبر الحشود المذعورة إلى حيث رأت واحداً يهبط. كانت إحدى الفتيات مرمية ووجهها إلى الأرض بينما انقضّ أحد تلك الأشياء على ظهرها. كان أصلع وجلده رمادياً مائلاً إلى الزهري المنقش بالقروح والدمامل. كان لديه يدان طويلتان ورجلان قصيرتان ممسوختان. ركضت ماكسي نحوه وضربته على ظهره بمضربه. بالكاد تحرك. كان كتلة صلبة قوية.

أطلق صرخة عالية مخيفة وترنح باتجاه ماكسي.

ركلته ماكسي فأمسك ذاك الشيء بقدمها. شعرت بالقوة الهائلة في يديه. قبل أن يتمكن من عضّها، لوحت بمضربه ليصيب طرفه جمجمته. زعق ثم سقط أرضاً. ضربته مرة أخرى على رأسه فتكوم جثة هامدة. على الأقل يمكن قتل تلك الأشياء. ساعدت الفتاة الصغيرة على الوقوف. ظهرت الخدوش التي كانت تنزف على رقبة الصغيرة وظهرها، كانت تبكي بهستيريا وجسمها الصغير كله يرتجف. أمكستها ويتني وضمّتها بين ذراعيها.

«سأهتم بالصغار،» قالت لماكسي. «احشدي المقاتلين.»

نادت ماكسي بأعلى صوتها.

«إنهم يهاجمون الصغار! ليساعد الجميع!»

رأت اثنين من الوحوش يجرّان سام الجعد من شعره نحو الأجمة العالية فركضت خلفهم. وصلت إلى هناك مع وصول لويس وفريقه الذين تعاملوا مع الوضع سريعاً وأعيد سام الجعد إلى أصدقائه.

«ما هي؟» رفع لويس مشعله فوق الحيوانات الميتة. كانت عيونها كبيرة وسوداء ولها أنياب صفراء طويلة سال منها اللعاب ونُقطت بالدماء. مثل الراشدين، كان جلدها مغطى بالبثور النازة والدمامل البشعة.

«مقزز،» قال لويس، وهو يلوي شفتيه بقرف. «إنها نوع من الصغار المتحولين.»

لم تعرف ماكسي ما هي، أي شيء ممكن. قبل أن تتسنّى لهم فرصة إنعام النظر بها، نشب قتال مرة أخرى. كانت الوحوش في كل مكان، تقبض على الأولاد من أرجلهم وتؤرجحم يمنة ويسرة، تختطف الأصغر سناً. حاول المقاتلون التصدي لها لكن كان ذلك صعباً في الظلام وبوجود كل أولئك الأولاد في الطريق.

أضاءت ماكسي مصباحها، فرأت مجموعة من الصغار يغيّرون اتجاههم إلى جانبي الطريق.

«أوقفوهم!» صرخت، لكن كان الأوان قد فات. رأتهم يدخلون بين الأجمة التي وصلت تقريباً إلى أكتافهم، وسقطوا واحداً تلو الآخر.

أخيراً أدرك بلو والآخرون ما يحدث. هاجموا من المقدمة بأسلحتهم المستعدة، فشتتوا زمرة من الوحوش المُغِيرة. كانت الضجة مروّعة. أطلقت الحيوانات صرخات مخيفة، طويلة، حادة، ومرتفعة دبّت الذعر في قلوب الصغار أكثر.

رأت ماكسي مقاتلاً يمر بقربها وأحد الوحوش يعتلي ظهره ويداه فوق وجه الفتى، يخدشه في عينيه. وجهت له ضربة على عموده الفقري فوقع الاثنان. نهض الحيوان بسرعة. ركض نحوها على مفاصله مكشراً كاشفاً

عن أسنان مخيفة. ضربته في الوجه، لكنها نجحت فقط في إرجاعه إلى الخلف للحظة وإغضابه أكثر. وسرعان ما نهض مجدداً وهاجمها. لم يكن لديها وقت لتؤرجح بمضربها وتبعده عنها. بدا أن جمجمته مصنوعة من الحديد. لكنها استطاعت الامساك جيداً بمضربها ثم رشقه بأقصى قوتها. أصبحت عزلاء. لم ترد أن تركض لأنها كانت تخشى أن يقفز إلى ظهرها. أبعد عنه المضرب بغضب ورفع بيديه فوق رأسه. تراجعت، ورأته يستعد للهجوم. وفي خضم المواجهة والظلام، شعرَت بأحدهم يغرز الوحش برمحه.

كان جوش.

«إنهم لا يخيفونني،» قال بينما هرب الوحش يقطر دماً.

رأت ماكسي جويل. كان يجلس على الأرض حاضناً غودزيلا. كانت سعيدة لأنه بخير. بينما تراقب، رأت مقاتلاً يرتطم به فيرميه. قفز غودزيلا من بين ذراعيه واندفع نحو الأجمة وهو يئن.

«دعه!» صرخت ماكسي لكن جويل تجاهلها، وسرعان ما غاب عن الأنظار في تلك الفوضى.

وصل بلو وفريك.

«ليحتشد الجميع،» صرخ بلو. «علينا أن نغادر المكان، ليخرج الجميع من بين الأشجار ويتجهوا إلى الطريق.»

«نعم، لكن بعض الأولاد اختفوا داخل الأجمة العالية،» قالت ماكسي وهي تبحث عن جويل.

«اذهبي واعثري عليهم إذاً،» أمر بلو.

«حسناً.» اتجهت ماكسي إلى جوش. «تولَّ أنت الجانب الآخر. تأكد من إعادتك الأولاد المشتتين.»

«بالتأكيد.» ابتسم جوش. «قد تحتاجين إلى هذا،» قال وهو يسلّم ماكسي مضرب أران.

«شكراً.»

ركض جوش.

«سأتولى هذا الجانب،» قالت ماكسي.

«سأرافقك،» قال فريك.

دخلا الأجمة العالية فوجدا لويس وفريقه يعيدون عدداً من الصغار الهاربين.

«أهؤلاء جميعهم؟» سألت ماكسي.

«أظن ذلك.»

«ماذا عن جويل، الفتى الصغير مع الجرو؟ هل رأيته؟»

هز لويس برأسه. «لا.»

ثم سمعت ماكسي صرخة. صوت رفيع عال قادم من بعيد.

«هيا!»

انطلقت ماكسي مع فريك في اتجاه الصوت، تؤرجح بمضربها أمامها لتفتح طريقها. لم يتقدما كثيراً حتى هاجمتهما من الخلف وحوش تحمل صخوراً.

«سأتعامل معهم،» قال فريك. «أحضري أنت الصغار.»

ركضت ماكسي آملة أن تكون في الاتجاه الصحيح.

«جويل!» نادت. «أين أنت؟»

مجدداً بكاء هادئ.

أسرعت ماكسي.

كانت السماء سوداء واسعة فوقها فشعرت براحة المكان كما لم تشعر منذ أشهر. كانت في ملعب سابق للكريكت وبدا انها لن تصل أبداً. لولا الخوف الذي سبّب لها الألم في معدتها، لربما استمتعت بهذا الشعور المنعش.

أخيراً لمحت شيئاً في الظلام. شكلان صغيران يركضان سريعاً في المكان الواسع. صرخت بهما كي يتوقفا. كانا خائفين جداً فلم يتوقفا. زادت ماكسي من سرعتها واستطاعت أخيراً الإمساك بأحدهما. كانت إيلا.

«توقفي،» قالت. «هذه أنا، ماكسي. عليك أن تعودي.»

توقف الصغير الآخر وكان الفتى القرد، فأمسكت بهما ماكسي بينما

وقفا ينتحبان ويتمتمان بكلمات متفككة عن الوحوش. لكن ماكسي لم تكن تسمع. رأت شيئاً خلف الصغيرين لم يرياه. كان يقترب خلسة عبر العشب، أكبر من الحيوانات الأخرى. اقترب وجثم على قدمين قصيرتين، ويداه ممدودتان على الجانبين مثل مصارع. كان له عين واحدة ووجه مشوّه. غطت الدمامل البشعة رقبته. حدق في ماكسي بعينه الكبيرة السوداء الوامضة.

استقامت ماكسي في وقفتها ورفعت مضربها مستعدة للضرب من دون أن تشيح بنظرها عن الوحش.

حرّك رأسه من جانب إلى آخر وضرب صدره بقبضتيه، فعرفت ماكسي أخيراً ما هو. إنه شمبانزي ذكر، أصلع موبوء، جُنّ مثل الراشدين. زمّ شفتيه الضخمتين وبدأ يصرخ. سمعت القرود الأخرى نداءه. كانت ماكسي متأكدة من أنه سيهاجمها، لكن ارتسمت على وجهه نظرة حزينة. بدا متعباً. تنهد، أطلق صرخة واهنة أخيرة ثم استدار وابتعد بين الأجمة.

«إنه مجرد قرد،» قالت ماكسي.

حملت إيلا وساروا للانضمام إلى الآخرين.

خلال طريقهم، مروا بعدد من قرود الشمبانزي التي شقت طريقها سريعاً عبر الأجمة.

كان فريك يقف حيث تركته. حمل الفتى القرد ومشى مع ماكسي.

على بعد خطوات، سمعا شيئاً يتحرك بين الأعشاب فتوقفا.

ثم ابتسمت ماكسي وانحنت.

«إنه غودزيلا فحسب،» قالت.

لكن غودزيلا كان يئن ويرتجف، يدفع بأنفه شيئاً برفق. عبست ماكسي ونظرت عن كثب.

«عد بالصغيرين،» قالت لفريك، وشيء في صوتها أخبره ألا يسألها عن السبب.

«تعاليا معي،» قال للصغيرين وتابعوا سيرهم.

كان جويل ملقى بين الأعشاب، ينزف بسبب جرح في رأسه الذي ضُرب بصخرة. كانت عيناه مفتوحتان وتوقف عن التنفس.

حملت ماكسي غودزيلا. قاوم واعترض وهو يئن بوهن. أراد البقاء مع جويل.

«آسفة يا عزيزي،» قالت ماكسي وأغمضت عيني جويل.

تنشقت بأنفها. شعرت بضيق في حلقها لكن لم تذرف حتى دمعة واحدة.

26

استفاق سام الصغير فجأة. في البداية، لم يكن لديه أيّ فكرة عن مكانه. معلقاً في ليل حالك الظلمة، لم يكن يشعر بجسمه أبداً. للحظة مجنونة، ظن أنه قد يكون ميتاً. شعر بقليل من الراحة. لم يعد هناك ما يقلق بشأنه. ثم ساوره ذلك الشعور بالظلم. كان مجرد فتى صغير، لم يستحق الموت، ما الذي ارتكبه خطأ؟ حسناً، ذات مرة، كسر الإبريق المفضل لوالدته وخبّأه في خلفية الخزانة من دون إخبار أحد. وفي مرة أخرى، كانت إيلا قد ذهبت إلى حفلة وحظيت برسم وجه رائع لشكل نمر. كان رسماً جميلاً جداً. أتت به وشعر هو بالغيرة الشديدة. لم يقل شيئاً، لكن عندما كان وحيداً معها، رمى بكوب من الماء على وجهه وأفسد الرسم.

حسناً. إذا فكر ملياً، هناك الكثير من الأشياء الخطأ التي ارتكبها. لكنها كانت أشياء سخيفة. فقد شعر بالأسف بشأنها في ذلك الحين وما زال يشعر بالذنب عندما تذكر إيلا والرسم يسيل من على وجهها مختلطاً بالدموع.

بالتأكيد تلك التصرفات لم تستحق الموت، أليس كذلك؟

ثم شعر بمسامير وإبر مؤلمة تنخز رجليه، فعاد إلى الواقع. لم يكن ميتاً. كان عالقاً في تلك القناة في النفق تحت الأرض. آخر ما يتذكره هو أنه ربط نفسه بدرجات السلم الحديدية بواسطة حزامه. كان مكوّراً هناك، نصف متدلّ، نصف مثبّت، نصف ميت.

حبس أنفاسه وأنصت.

لا شيء. لقد رحل الراشدون أخيراً.

كم كانت الساعة؟ لم تكن لديه فكرة. لم يكن يملك ساعة. لم يكن من وسيلة لديه ليعرف إن كان نهاراً أم ليلاً. حرّك كتفيه المتيبستين المتألمتين في محاولة ليجعل الدم يجري فيهما مجدداً، ثم أخذ يضغط بإصبع قدميه على رجليه. كانتا لا تزالان مخدرتين. لم يستطع التحرك حتى شعر أخيراً بهما. انتظر بينما عاد الدم إلى أطرافه. للحظة، شعر بدغدغة خفيفة، كان شعوراً لطيفاً، ثم بألم كبير فأخذ يركل الجدران وهو يئن. بعدما شعر بأن دهوراً قد مرت، بدا له من الخطر أن يفك حزامه، لكن سرعان ما حاول النزول، خانته رجلاه فسقط إلى أسفل القناة، ليبهط بألم في بركة من الماء.

كل جروحه وخدوشه التي أصيب فيها خلال النهار استفاقت. كأن إبراً تنخز وجروحاً ترتج في جسمه.

حان وقت التوقف عن الأسف على نفسه. كان عليه النهوض، والخروج من هنا، والعودة إلى ضوء النهار. أشعل مصباحه وخرج من الفتحة بحذر. اتكأ على حافته وسلط ضوء مصباحه أسفل القطار. لم يكن هنا ما يتحرك في كلا الاتجاهين. لكن عندما أنصت، استطاع سماع أصوات بعيدة في الاتجاه الذي أتى منه. ربما راشدون في محطة كامدن. ومعنى ذلك أن عليه سلوك الاتجاه المعاكس.

لا يهم. كان سيتمكن من الوصول إلى المحطة التالية.

زحف تحت القطار، مُضيئاً مصباحه على طول الطريق. كان يتوقف بين الفينة والأخرى لينصت في الظلام. كانت هناك أصوات غريبة. حيوانات صغيرة تتحرك. صوت قطرات مياه. صرير وأنين بعيدان. لكن لا أصوات بشر.

وصل أخيراً إلى نهاية القطار حيث يستطيع الوقوف والتحرك أسرع. هرول. أحياناً، كانت تعلو المياه لتصل إلى ركبتيه. كانت سوداء اللون ونتنة الرائحة، لكن حاول ألا يفكر في الأمر. على الأقل، لا يبدو أن هناك ما يعيش فيها.

تقدم أكثر فأكثر عبر النفق المنعطف حتى رأى ضوءاً باهتاً أمامه. أسرع

بكل ما أوتي من طاقة، لكن عندما اقترب، خفف من سرعته. ما معنى الضوء؟ لا يُعقل أن يكون ضوء نهار، لأنه كان تحت الأرض. لا يعقل أن يكون كهرباء، لأنه ليس هناك طاقة. هذا يعني أنه شيء واحد. نار. أطفأ مصباحه ودقق النظر بالوهج جيداً. كان يومض بكل تأكيد.

إلى حد معرفته، الراشدون لا يشعلون النيران. ربما هو مخيّم أولاد إذاً؟ ربما بعض الأولاد يعيشون هنا؟ أو ربما كانت نيراناً عرضية؟

مشى نحوها ببطء. استطاع شم الدخان في الهواء، مثل نار الشواء. تذكر الأيام المشمسة أيام الصيف حيث كان يشم رائحة الشواء على بُعد أميال.

كانت تلك الأيام الغابرة.

كلما تقدم في سيره، اتضح الطريق أمامه. استطاع رؤية علب الأسلاك على الجدران، إشارة توقف لسائقي القطار وشيء مثل إشارة ضوئية، ثم طرف، وأخيراً أجزاء من رصيف محطة القطار.

أدرك أن النيران كانت صغيرة. بدت أكبر في البدء لأنها كانت الضوء الوحيد في المكان. كانت هناك أضواء متراقصة وظلال متمايلة، لكنه لم يستطع التأكد إن كان السبب حريقاً كبيراً.

وصل إلى نهاية النفق وأطل خارجاً. استطاع الآن رؤية رصيف المحطة كاملاً. رأى عدداً من الاشارات. كان في يوستن. بات متأكداً أنه يسلك الاتجاه الصحيح.

هناك، اشتعلت النيران مباشرة بالقرب من المدخل حيث كان المسافرون في الماضي يدخلون رصيف المحطة. كومة من النفايات كانت تشتعل، وبرزت رجل بشرية منها. بالقرب، عند الرصيف، جلس خمسة راشدين أو ستة. كانوا نحفاء ومتسخين وواهني الشكل، تماماً مثل العصيّ الجالسة. حدقوا بالنيران وبالرجل البشرية المحترقة لكن بدوا متعبين جداً كي يتحركوا.

شتم سام في قرارة نفسه. إن كان هناك راشدون عند رصيف المحطة، فذلك يعني أنهم نشروا الوباء في جميع أرجاء يوستن. عليه بطريقة ما أن يتخطاهم ويواصل سيره إلى المحطة التالية.

قرر، إن بقي منخفضاً فوق خط السكة ومشى ملتصقاً بالجدار بالقرب من الرصيف، فلن يتمكن الراشدون من رؤيته. كانت أنفاسه منقطعة، فحاول ملء رئتيه بالهواء النظيف. كان المكان هنا خالياً من الأوكسجين تقريباً. كان الدخان يتصاعد من النيران وصولاً إلى مدخل المسافرين لكن كان يعبق في جميع أرجاء الرصيف. لا عجب أن الراشدين بدوا نصف موتى. إن بقوا هناك لوقت طويل، فسيقتلهم الدخان بكل تأكيد.

خلاص جيد.

انخفض سام وبدأ يدخل خارج النفق، ملتصقاً بالجدار، كاتماً نفسه، مصلياً ألا يقف أحد الراشدين الواهنين وينظر من فوق الحافة. بينما عبر من تحت النيران، استطاع سماع صوت طقطقتها وفرقعتها. تطايرت شرارة عبر الهواء وسقطت جمرة على جانب السكة. تجاهلها سام وتابع سيره.

كركرت معدته فتجمّد مكانه. هل سمعوا؟ كان الصوت أشبه بدب يزمجر. كان يتضوّر جوعاً. متى أكل آخر مرة؟ كم مضى من الوقت؟ لا فكرة لديه. شرب زجاجة من الماء كانت في حقيبة ظهره، لكنه أنهى كل البسكويت البالي والفواكه المعلبة التي أحضرها معه من ويتروز بينما كان يختبئ داخل تلك القناة.

الآن ليس وقتاً مناسباً للتفكير بالطعام. إن لم يتوخّ الحذر، فسينتهي به الأمر طعاماً للآخرين.

تابع سيره. لا بد أنه استغرق خمس عشرة دقيقة من الزحف الصبور ليصل إلى نهاية الرصيف، لكنه وصل بأمان وهرع نحو الظلام الآمن للنفق التالي. اختلس نظرة إلى الخلف. كان الراشدون يجلسون تماماً حيث كانوا سابقاً. لم يتحرك أحدهم على الإطلاق. هل كانوا ميتين فعلاً؟ لم يرد أن يعرف.

استدار وتابع سيره متقدماً نحو المحطة التالية.

خلال سيره، كانت المياه الراكدة بين خطوط السكة تزداد عمقاً إلى أن كادت تصل حتى خصره. لم تكن دافئة ولا باردة، لكن كانت مزعجة في

مطلق الأحوال. سوداء كالزيت، تطفو الأوساخ على سطحها. رفع يديه إلى أعلى، ليبقى مصباحه الثمين بعيداً عن المياه. من دون ضوء، سيضيع وقد ينتهي به الأمر يتجول في هذا المكان إلى الأبد.

لا. ليس إلى الأبد. فقط حتى يتضوّر جوعاً. كركرت معدته وزمجرت بصوت أعلى. شعر بآلام حادة في معدته. عليه أن يواصل التقدم، وبطريقة ما عليه أن يعثر على شيء يأكله.

الرحلة إلى المحطة التالية كانت تكرراً لرحلته من كامدن إلى يوستن، ما عدا وصوله عند نقطة ما إلى تقاطع بين نفقين. اختار أحدهما عشوائياً وتابع سيره آملاً الحظ الأعمى.

بعد مسافة قصيرة، اكتشف أن النفق مسدود بكومة كبيرة بما ظنه في البداية كومة من العصيّ. عندما سلط ضوء مصباحه، أدرك أنها عظام. عظام بشرية، بعضها ما زال ملفوفاً بالثياب. ليست بيضاء مثل الهياكل العظيمة من الأفلام، بل وسخة صفراء مائلة إلى رمادية. كانت هناك أيد وأرجل وأذرع وأوراك وجماجم، جميعها مكدسة بعضها فوق بعض، تمتد حتى أسفل النفق. ربما أحدهم كوّم الجثث هنا ليبعدها عن الطريق، أو ربما زحف الراشدون إلى هنا ليموتوا. مهما كان السبب، لم يعد بالإمكان متابعة السير في هذا الاتجاه، لذا استدار عائداً وسلك النفق الثاني.

تساءل أحياناً أين ذهب كل الراشدين الموتى. في البداية، فاحت شوارع لندن بالروائح النتنة. روائح فظيعة جعلته يغطي فمه وأنفه بقميصه، لكن بعد فترة من الوقت، زال كل شيء.

ارتجف. أيّ أسرار أخرى مدفونة هنا في الأنفاق؟

انتفض وركض بأسرع ما يمكنه. مر الوقت، شعر بإرهاق أكبر وتضوّر جوعاً أكثر. ارتشف القليل من المياه التي بلت ريقه. في كل مرة أعاد فيها زجاجته إلى حقيبته، نقصت أكثر فأكثر. سرعان ما ستفرغ كلياً.

لم يدرك تقريباً وصوله إلى المحطة التالية. كان يتعثر في سيره ويشعر بالدوار، عندما أضاء مصباحه إلى الجانب، كان هناك رصيف. رصيف

غطاه الظلام الحالك تماماً مثل النفق الذي خرج منه.

جيد. إن كان الظلام حالكاً، فذلك يعني أن لا أحد في المكان. رفع نفسه من على السكة وجلس على أحد المقاعد المعدنية الملصقة بالحائط. سينتظر هنا حتى يستعيد قواه.

أين كان؟

أضاء مصباحه نحو إشارة.

كينغز كروس.

أكان ذلك جيداً؟ أم سلك الطريق الخطأ بعد يوستن؟ لم يكن متأكداً. إن استطاع صعود السلالم والعودة إلى ضوء الشمس، حينها سيجد طريقه. كان متأكداً أن كينغز كروس كانت محطة عادية فوق الأرض. ومعنى ذلك وجود خرائط.

نعم.

تذكر الآن. ألا تنطلق قطارات يوروستار إلى باريس من هنا؟

ربما يجدر به الذهاب إلى هناك. الخروج من لندن. ربما كان كل شيء على ما يرام في فرنسا. يمكنه الذهاب إلى ديزني لاند.

ضحك.

تخيّل أن يحظى بديزني لاند كلها لنفسه.

لا . عليه أن يجد أخته وأصدقاءه. لم يرد أن يكون وحيداً. أراد أن يكون معهم. حسناً، سيكون معهم قريباً. لقد قطع كل هذه المسافة، ألم يفعل؟

مُبهجاً نفسه بأفكار الشمس المشرقة والهرب، وقف ومشى على طول النفق. خبا ضوء مصباحه مع كل خطوة، حتى انطفأ كلياً.

وقف وهز المقبض، فشعر بالمولد يرتج داخل المصباح.

هزه وهزه حتى تأكد أنه حظي بطاقة كافية، ثم أضاءه مجدداً.

أضاء المصباح، لتظهر وجوه مجموعة من الراشدين. كانوا محتشدين عند أسفل النفق، يسدّونه تماماً، يقفون هناك، فاغرين أفواهاً ظهرت فيها أسنان صفراء.

شعر سام بالغثيان من هول الصدمة. شعر بالدم يتجمد في عروقه، فتمايلت رجلاه، مقاوماً ألا يُغمى عليه. حينها، تحركت والدة، وثبت عليه فاستدار واندفع راكضاً. ركض على طول الرصيف، وشعاع مصباحه يتراقص بجنون أمامه. قفز فوق السكة، وقع وأصاب رجله. نهض سريعاً لكنه سار مترنحاً. خلفه، استطاع سماع الراشدين يقفزون وينزلقون على السكة.

اندفع نحو نفق القطار، فأمسك به شيء من الجانب. صرخ وقاوم، لكن ذراعاً قوية ومعطفاً ثقيلاً ثبّتاه في مكانه. غطت فمه راحة يد قوية.

لا تتحرك،» قال صوت ناعم.

إنه ولد إذاً؟ الراشدون لا يستطيعون الكلام.

لكن أحسّ بأن صاحب تلك اليد ضخم وقوي. أكبر بكثير من أن يكون ولداً.

أُدير ليصبح في مواجهة الطريق التي أتى منها.

«أضئ مصباحك في ذلك الاتجاه،» أمر الصوت، ففعل ما أُمر به.

كان الراشدون يعرجون ويهرولون فوق خط السكة.

رفع الشخص الضخم ذراعه الأخرى. لمح سام بندقية، تماماً مثل تلك التي شاهدها في لعبة الفيديو.

انطلقت رصاصة، فتأرجحت شرارات ودوى صوت قوي، ثم طلقة أخرى.

وقعت المجموعة المتقدمة من الراشدين. استدار الباقون وفروا.

«هيا،» قال الصوت. «حان وقت المغادرة يا فتى.»

27

استيقظ الأولاد مع أول شعاع شمس. أولئك الذين ناموا. البعض اتخذ العشب فراشاً وآخرون جلسوا في مجموعات متقاربة، يخشون الخلود إلى النوم. قضوا الليل في حديقة عامة مسيّجة في أعلى ميدان بورتلاند. كانت عبارة عن ساحة نصف دائرية تحيط بها الطرقات. كانت هناك أعشاب وشجيرات وأشجار ضخمة، لكن لا يمكن لشيء الاقتراب من دون رؤيته وذلك بسبب الطريق. كان السياج عبارة عن حديد أسود ذي رؤوس حراب مسننة. قرّر الأولاد أنه مكان آمن لقضاء الليلة. كانوا خائفين ومتعبين جداً ومحبطين كي يتابعوا مسيرهم بعد الهرب من المتنزّه. لا أحد يعرف ما كان في انتظارهم في الظلام؟ لذا، تسلقوا السياج، أشعلوا ناراً ووزعوا حراساً. كانت هناك أبنية صغيرة عند الزوايا، بل أشبه بأكواخ صغيرة، لكن مرتفعة كفاية ليتسلق الأولاد إلى أسطحها ويراقبوا من فوقها. كانت تلك الطريقة الأفضل ومن حسن الحظ أن شيئاً لم يحدث خلال الليل.

كانت الشمس تشرق فوق لندن، وتناثرت في السماء خيوط بنفسجية ثم زهرية ورمادية. سريعاً، ستصبح زرقاء صافية. بدا أنه سيكون يوماً مشمساً آخر. تمطّى الأولاد وتثاءبوا وضموا بعضهم بعضاً، سعداء لكونهم أحياءً.

كانت ماكسي قد تولت المناوبة الأولى من الحراسة ثم تبادلت مع أولي وركنت تحت شجيرة داخل كيسها للنوم. كانت مخدرة جداً لتشعر بالخوف. غطت مباشرة في نوم عميق خالٍ من الأحلام كما لو كانت غائبة عن الوعي.

عندما استفاقت، شعرت بالخمول والثقل، تقاوم لكي تصحو. رفعت

نفسها لتجلس جيداً. كل عضلة في جسمها كانت متيبسة. مررت أصابعها عبر شعرها القصير المجعد في محاولة لفك بعض العقد، لكن من دون جدوى. ملأت رئتيها بالهواء العليل. كانت تلك ايجابية بسيطة للكارثة. لم يعد هناك سيارات تضخ الدخان السام. لا مزيد من المعامل والمكاتب الملوّثة للجو. لم تكن رائحة لندن بهذه الصفاء منذ مئتي سنة على الأقل.

رأت بلو جالساً يتحدث بهدوء إلى جستر بالقرب من بقايا النار. وقفت ومشت باتجاههما وهي تفرك عينيها بكلتا يديها.

«مرحباً.»

«صباح الخير،» قال جستر. «هل نمتِ؟»

«أظن ذلك،» قالت ماكسي.

«جيد. سيكون اليوم أسهل بكثير.»

«علينا أن نُحصي عددنا،» قالت ماكسي، وهي تنظر نحو الصغار المتمددين في كل مكان. خلال فوضى الليلة السابقة، كانوا قد وصلوا إلى الساحة المسيّجة في حشود مشوّشة. لم يكن لدى ماكسي أيّ فكرة عن عدد الأولاد الذين نجوا.

«ويتني تُحصي عدد مجموعتنا،» قال بلو.

«سأعثر عل جوش،» قالت ماكسي. «أتوقع أن يكون قد أنهى إحصاء مجموعتنا. فهو دائماً أول من يستيقظ.»

«ماكسي...»

نظرت ماكسي إلى بلو. كان يحاول إخبارها شيئاً ما. لكنها كانت متعبة جداً ومصابة بالدوار لتفهم ما يريد. لم يكن دماغها قد استيقظ بعد.

«ماذا؟»

«جوش لم ينجُ.»

«ماذا تقصد؟»

«كان يحاول إنقاذ عدد من الأولاد عندما حاصرته أربعة من تلك القردة. سقط خلال القتال. كان ولداً شجاعاً. لم يُخِفه شيء.»

«لا،» قالت ماكسي وهي تهز رأسها. «أنت مخطئ. إنه هنا في مكان ما. أعرف أنه كذلك.»

«آسف. لم يكن الوحيد.»

عرفت ماكسي أنه يقول الحقيقة. انهارت على الأرض.

«ومتى كنت تنوي بالضبط إخباري؟» سألت.

«ماذا الذي تقولينه؟ لقد أخبرتك للتو.»

«ألم تفكر في إخباري الليلة الماضية؟»

«هدّئي من روعك يا فتاة،» قال بلو. «أردتُ أن أخبرك عندما يحين الوقت المناسب.»

«ومتى كان ذلك الوقت المناسب برأيك؟»

بدا بلو غاضباً. هدّأ من نفسه ثم استدار ونظر إلى ماكسي نظرة أكثر حزناً وأقل قساوة.

«كنت متعبة ليلة البارحة ماكسي،» قال. «رأيتك متأثرة بسبب أران وجويل. كنت مرهقة إلى أقصى الحدود. ظننت أنك قد تنهارين إن اخبرتك عن جوش في ذلك الحين. فقدنا عدة أولاد أيضاً. أحببت جويل. كانت ولداً طيباً. فقدنا أيضاً اثنين من مجموعتي. كلاهما طفلان صغيران.»

«أنا آسفة،» قالت ماكسي.

«لا مشكلة.»

أتى أولي يحمل ورقة. كانت عيناه غارقتين في هالتين من السواد وشعره الأحمر مشعثاً. بدا كأنه لم ينم للحظة واحدة.

«لديّ القائمة،» قال لماكسي، «لقد أحصيت عدد الأولاد. هل عرفتِ بأمر جوش؟»

«نعم،» قالت ماكسي. «من أيضاً؟»

«كاتي ولويس وسام الجعد.»

«لكنني رؤيته يُنقذ.»

«عادوا من أجله. حاول جوش المساعدة، لكن...»

شتمت ماكسي.

«ليس مؤكداً أنهم لاقوا حفتهم،» قال أولي. «غادرنا مسرعين. لم يكن لدينا الوقت لتفقد الجثث.»

«إذاً علينا أن نعود. علينا أن نبحث عنهم. لا يمكننا تركهم وحدهم هناك.»

«لا،» قال جستر وهو يقف. «لن نعود. نحن محظوظون لاجتيازنا كل تلك المسافة.»

«ومن سمح لك باتخاذ القرار؟» قفزت ماكسي ودفعت بجستر.

«إنه على حق،» قال بلو وهو يُبعد ماكسي. «لقد ناقشنا الأمر. إذا عدنا فقد نتعرّض للهجوم ثانية ونخسر المزيد من الأولاد.»

«أنتركهم ببساطة إذاً؟ أهذا ما تقوله؟»

«نعم،» قال بلو. «بالضبط. علينا أن نفترض أنهم ماتوا.»

«وماذا إن لم يموتوا؟ ضع نفسك مكانهم – يجولون في ذلك المكان، تائهين وحيدين.»

«ضعي نفسك مكان الأولاد الآخرين هنا،» قال جستر. «أولئك الذين نعرف بالتأكيد أنهم أحياء. أولئك الذين ما زالوا يجلسون حولنا. أتظنين أنهم يريدون العودة؟»

«يمكنك أن تجري تصويتاً إن أردت،» قال بلو. «لكن أضمن أن معظم الأولاد سيصوّتون لمواصلة المسير.»

«كيف يمكنك أن تكون بهذه القساوة؟»

«لأنني أريد النجاة، ماكسي. ألا تريدين ذلك؟»

«بأي ثمن؟»

«بأي ثمن.»

نظرت ماكسي نحو أولي استجداءً للمساندة.

«بلو على حق،» قال. «ستكون العودة ضرباً من الجنون. المسألة ليست أننا لا نهتم، لكن هناك ثلاثة وخمسون منا في المجموعة. هؤلاء الثلاثة

والخمسون أهم من شخص أو اثنين تُركا. وهما ميتان على الأرجح.»

لم تعرف ماكسي ما تقول، كانت تخشى الانفجار بالبكاء أمام الفتيان، لذا أدارت ظهرها لثلاثتهم وجلست في زاوية هادئة. تبادل أولي النظرات مع بلو وجستر ثم اتجه للانضمام إليها.

«ماكسي...»

«ابتعد. أريد أن أبقى وحيدة.»

«أعرف ذلك، لكن أريدك أن تنصتي إليّ.»

«ليس هناك ما يمكنك قوله.»

«حقاً؟»

استدارت ماكسي نحوه.

«ابتعد.»

«كيف يبدو الوضع برأيك؟» سأل أولي بهدوء.

«لا يهمّني كيف يبدو.»

«حسناً، يجب أن تهتمي. أنت القائدة الآن ماكسي. لقد مات أران وأولاد مجموعتنا يتطلعون إليك كقائدة لهم. يريدون أن تملي عليه تصرّفاتهم. يحتاجون إليك.»

«ماذا أقول لهم، أولي؟ ما العمل الصواب؟»

جلس أولي.

«جميعهم يفكرون بالطريقة التي تفكرين بها،» قال. «يظنون أن الصواب، وما يجدر بهم فعله، هو العودة إلى هناك للبحث، ليروا إن كان هناك أي ناجين.»

«إذاً، لَم قلتَ...»

قاطعها أولي.

«هذا ما يفكرون أنه العمل الصواب،» قال. «لكن في قرارة أنفسهم، سراً، يفضّلون جميعهم الابتعاد عن هنا وترك المتنزه خلفهم. يفضّلون ألا يخاطروا أكثر. وبصفتك القائدة، يمكنك اتخاذ القرار الصعب نيابة عنهم.

يمكنك أن تأمريهم بعدم العودة. حينها لن يشعروا بالسوء حيال كل ذلك.»

«أتقصد أن عليّ أن أريهم أنني قوية؟»

«بالطبع. نعم. هناك نوعان من القادة في هذا العالم ماكسي. قادة الحروب وقادة السلم. والنوعان مختلفان تماماً. كلاهما يحتاجان إلى مهارات مختلفة. قائد الحرب يحتاج إلى إظهار القوة. أن يبرهن أن فرداً أو اثنين لا يهمّان، ما يهم هو نجاة المجموعة. ما يهم هو الانتصار بأيّ وسائل. لا يهم الوسيلة التي نستخدمها، كيف نصل إلى القصر، كيف ننتصر، ما دمنا سننجو. هذا كل ما يهم.»

«ماذا إن لم أرد أن أكون القائدة؟»

«من سيكون قائداً أفضل منك؟»

«أنت، ربما، أولي. أنت ذكي كفاية. الأولاد يستمعون إليك. أران استمع إليك.»

«صحيح،» قال أولي. «يسمعونني، لكنهم لا يرونني قائداً. لستُ نجماً. يرونك أنت قائدة.»

«حقاً؟ كيف يرونني؟ حقاً؟» سألت ماكسي.

«اجعليهم يظنون ما تريدين أنت أن يظنوه.» قال أولي. «لديك الصفات المطلوبة. أنت الشخص الأفضل للمهمة.»

«لكنني لا أعرف إن كنت كذلك.»

«اسمعي،» قال أولي مقترباً منها وخافضاً صوته. «بدأت أشعر بصلابة مكانة جستر وبلو. لذا قد يُبعدانك. وإذا أبعداك، فذلك يعني أن جميعنا نحن أولاد ويتروز سنُصبح خارج الصورة. سنكون مواطنين من الدرجة الثانية. نحتاج إلى الحفاظ على مكانتنا. وأنا أعرف أنك تستطيعين فعل ذلك ماكسي. آمن أران بقدراتك، لذا أنا أؤمن بك.»

«حسناً.»

28

«اسمعوا جميعاً. مررنا بوقت عصيب الليلة الماضية، لكن ذلك لن يتكرر مجدداً. صحيح؟ سنواصل مسيرنا. سنصل إلى القصر هذا الصباح. من هنا، سيصبح الطريق آمناً. اتفقنا؟»

«لكن ليس الجميع هنا.»

«بلى. لم ينجُ بعض الأولاد البارحة. لقد لاقوا حتفهم. لا فائدة من العودة والبحث عنهم.»

«لكن كاتي كانت صديقتي.»

«وأران كان صديقي. إنه ميت. لقد أحرقناه. أنا القائدة الآن وأنا آمرك ولا أطلب منكم أن نواصل سيرنا. إذا كان أحدكم لديه رأي آخر، يمكنه العودة والبحث عن الجثث. لكن سيكون وحيداً. بقي منا ثلاثة وخمسون شخصاً، وسنذهب إلى القصر. والآن، دعونا نتحرك!»

تركوا الساحة ومشوا نحو بورتلاند. ماكسي في المقدمة مع بلو وجستر.

بعد عدة دقائق، وصلوا إلى دوار أوكسفورد، قلب الطرف الغربي. إحدى أنشط مناطق لندن أصبحت مهجورة منسيّة. يا للسرعة التي انهار بها كل شيء. كم كان المكان هادئاً الآن.

توقفوا هنا، في وسط التقاطع الذي يلتقي فيه شارع أوكسفورد وشارع ريجنت، تطلعوا نحو الشارعين الطويلين الخاليين.

«اعتدت القدوم إلى هنا للتسوّق يوم السبت،» قال بلو.

«أنا أيضاً،» قال جستر.

«متجر توب شوب،» قالت ماكسي.
«أبل ستور،» قال جستر. «إتش إم في.»
«نايك تاون،» قال بلو.
كانت معظم واجهات المحال التجارية مهشمة، قليلة تلك التي بقيت نوافذها، وفي واجهة عرض أو اثنتين كان هناك القليل من البضاعة.
«لم يؤخذ كل شيء،» قالت ويتني مبتسمة. «فكروا في الأشياء التي قد نعثر عليها إذا فتشنا المكان. وانظروا، المكان خالٍ من الراشدين.»
«قلتُ لكم،» قال جستر. «المكان آمن هنا. ما زال هناك بعض الغرباء يتربّصون في المكان، لكن ليسوا ممن لا تستطيعون إبعادهم عن طريقكم.»
ضحكت ويتني. «يجب أن نتسوّق،» قالت.
الآن ضحكت ماكسي.
«أنا جادّة، هيا،» قالت ويتني. «انظروا إلى هذه الخرق التي نرتديها.»
نظرت ماكسي إلى ويتني. بدت نظيفة كعادتها في تلك البذلة الرياضية البيضاء باللامعة. استطاعت بطريقة ما أن تُبقيها دائماً نظيفة.
«نحن نشبه مجموعة من المتشردين،» تابعت ويتني. «قبل وقوع الكارثة، كنتُ أعتني بمظهري. سنذهب إلى قصر باكينغهام، نستحق أن نرتدي ملابس نظيفة وأحذية جديدة وما إلى ذلك.»
«لن نرى الملكة كما تعرفين،» قالت ماكسي.
«سنبدأ حياة جديدة،» قالت ويتني. «أريد أن أترك انطباعاً جيداً.»
«لا يمكننا الاعتراض على هذا أبداً،» قال جستر. «أنتم يا رفاق في حالة فوضى.»
«إذاً لم يكن لدينا الوقت للعودة والبحث عن أصدقاء مفقودين؟» قالت ماكسي. «بينما لدينا الوقت للتسوّق؟»
«لم يكن المتنزّه آمناً،» قال بلو. «الوضع مختلف.»
«كيف تعرف؟ مجرد أننا لا نرى راشدين في المكان لا يعني أنهم ليسوا حولنا.»

«هذه الشوارع هادئة عموماً،» قال جستر.

«وهل غالباً ما تأتي إلى هنا؟» سألت ماكسي.

«أتيت مرة أو مرتين.»

«مرة أو مرتين؟»

«اسمعي،» قال بلو. «لا تكبري المسألة. سنتقدم قليلاً نحو شارع أوكسفورد، فهو ليس بعيداً عن مسارنا. يمكننا الوصول إلى القصر من الشمال بسهولة كما الوصول من الشرق. يمكننا تغيير طريقنا.»

«أران وضع أفضل خطة سير،» قالت ماكسي.

«أران ميت.»

«شكراً لتذكيرك إياي.»

«إذا كنت المسؤولة،» قال بلو، «يمكنك تغيير الخطة كما تريدين. لست مضطرة لاتباع خطة أران.»

«سيكون كل شيء على ما يرام،» قال جستر. الذهاب في هذا الاتجاه لن يغيّر شيئاً. يمكننا أن نسلك شارع بوند أو ساحة غروفينور. إذا رأينا شيئاً في المحال و لم يكن هناك راشدون، يمكننا أخذ القليل منه. شارع أوكسفورد واسع، وتعلمت منك أن الشوارع الواسعة آمنة.»

«هيا،» قال بلو وهو يبتسم لماكسي. «ما الضير في ذلك؟ قد يرفع ذلك من معنويات الجميع. وأنت نفسك تودّين ملابس نظيفة. ملابس جديدة مباشرة من الصندوق.»

«حسناً،» قالت ماكسي. «لكن عند أي إشارة لخطر، ننطلق فوراً.»

«رائع،» قال بلو ومشوا عبر شارع أوكسفورد غرباً باتجاه قوس الرخام الشهير.

شعرت ماكسي بأنها على ما يرام. لقد استسلمت لبلو وجستر، لكن على الأقل استمعا إليها وناقشاها بعقلانية. كانت متأكدة من أنهما كان سيحترمان قرارها لو رفضت كلياً. كان عليها الوقوف بصلابة من أجلها ومن أجل مجموعة ويتروز.

وأيضاً...

احتاجت فعلياً إلى تغيير ملابسها.

بعد بضع دقائق، انضم فريك إليها عند الجناح.

«لا يعجبني هذا،» قال.

«لا نريد أن نصل إلى القصر ونحن في حالة مزرية.»

«علينا أن نواصل السير،» قال فريك. «هذا يذكّرني كثيراً بذلك اليوم. عندما ذهبنا إلى البركة. حينها أُصبنا بالطمع.»

«واجه الأمر فريك،» قالت ماكسي. «يمكن أن نتعرّض للهجوم بكل بساطة إذا سلكنا الطريق الآخر. الحقيقة بكل بساطة هي أننا لا نعرف أين يتربّص بنا الخطر التالي. إلى جانب ذلك،» أضافت وهي تشم رائحة الهواء مجعدة أنفها، «رائحتك نتنة.»

«ورائحتك أيضاً،» قال فريك مبتسماً لها.

كانت بعض المحال قد نُهبت، ومنها ما احترق ومنها ما كان خالياً، كما لو أن أحدهم نقلها إلى مكان آمن قبل الكارثة. عثروا على متجر للأحذية عجّت واجهته بالأحذية، لكن كانت جميعها مفردة، أما رفوف أحذية الزوجين فقد كانت في غرفة خلفية مظلمة في مكان ما و لم يرد أحد أن يدخل ويلقي نظرة.

عثروا على متجر ملابس متنوعة بقي فيه بضعة قمصان وبذلات رياضية، وتشاجروا من سيحصل على أي قطعة ثياب. وجد بلو قبعة من متجر للسياح، لكن عموماً كان ما عثروا عليه ضئيلاً.

على مسافة قريبة، عثروا على متجر سيلفريدجز، الذي كان أكبر متجر شامل في لندن. بأعجوبة، كان بحالة جيدة وبدا أنه لم يُمس. لكن كانت الأبواب الأمامية مشرعة، والواجهات فارغة.

«ما رأيكم؟» سأل بلو، بنبرة حملت شيئاً من الخوف. «هل يمكننا الحصول على شيء من سيلفريدجز. يجب أن نتفقد الداخل.»

«مهلاً،» قالت ماكسي. «سنرسل أولاً فرقة استطلاع. إن كان المكان آمناً ويستحق العناء، فسندخل جميعاً. لكن سنستطلعه أولاً.»

«أنا سأدخل،» قال لويس وانضم إليه سريعاً أخيليوس، صوفي، وميك الكبير، ومقاتل موريسون الذي بدا كأنه في سن الثامنة عشرة.

«لا تغيبوا أكثر من عشر دقائق،» قالت ماكسي. لا تتلكأوا، حتى لو رأيتم شيئاً تريدونه، اتركوه. فقط تأكدوا أن المكان آمن في الداخل، هذا هو الأهم.»

«نراكم بعد عشر دقائق،» قال أخيليوس مع ابتسامة، واختفى أربعتهم في الظلام. وقف الباقون في الطريق يحدقون أعلى إلى المبنى الضخم.

ذهبت ماكسي إلى أولي.

«اذهب معهم،» قالت. «أحتاج إلى شخص عاقل هناك.»

«بالتأكيد.» لحق أولي بالآخرين إلى الداخل بينما صفقت ماكسي بيديها وبدأت تصرخ بين الأولاد.

«حسناً، دعونا لا نتخلى عن حذرنا. يجب أن نحافظ على تشكيلتنا القتالية. الصغار في الوسط، وليشكل الأكبر سناً حلقة. بلو، تولَّ أنت الجانب الغربي، وسأتولى أنا الشرقي. هيا، ليتحرك الجميع!»

ابتسم أولي. كان ذلك جيداً. كانت ماكسي تبلي حسناً. أمَل فقط ألا يكون إرسال فرقة استطلاع إلى المتجر قراراً خاطئاً، فقد كانوا من أفضل المقاتلين. لا يمكنهم تحمّل خسارة أيٍّ منهم.

منهم؟ بالتأكيد قصدنا نحن. فقد كان أولي مشاركاً في ذلك. كم هذا غريب، فكر، وهو ينسل إلى الظلام. كنت تفكر دائماً أن أحدهم سيموت، لا أنت.

كان الظلام حالكاً في المتجر. لم يكن هناك منافذ تطل على العالم الخارجي. جابت مصابيح المستطلعين ظلمة ما كان في الماضي قسم العطور وزينة التجميل. كانت هناك خزائن زجاجية ومناضد عرض مكسرة في كل مكان،

تكسوها خيوط العناكب. بعض اللافتات والشعارات المعلقة كانت لا تزال قطعة واحدة، وافترشت الزجاجات المكسرة الأرض، لكن عامة، بدا المكان مهجوراً وبائساً.

رائحة العطر التي تفوح في المكان كانت تُشعر بالغثيان والتوعك. لم تكن هناك أي إشارة على وجود بشري في الآونة الأخيرة. لف الصمت والهدوء المكان برمّته.

«إذا لم نجد ملابس، يمكننا أخذ بعض زجاجات العطور،» قال أخيليوس. «ستُخفي الرائحة النتنة على الأقل.»

«نعم،» قال لويس بنعاس وهو يحك رأسه. «يمكنك أن تصل إلى القصر ورائحتك مثل رائحة ملكة.»

«هذا صحيح.» ضحك أخيليوس.

كان ميك الكبير يفتش بين الحطام على الأرض بمصباحه المضاء. «انظروا،» قال وهو يلتقط شيئاً. «هذه غير مسكورة.»

أرني هذا،» قال لويس، فمرر ميك ما يحمل إليه.

«إنه مرطب،» قال ساخراً. «أعرف بعض الراشدين الذين يحتاجون إلى استخدام القليل من هذا. لم يعتنوا بأنفسهم منذ وقوع الكارثة. بشراتهم مخيفة يا رجل.»

«يجب أن نواصل التحرك،» قالت صوفي. «لدينا عشر دقائق فقط. قسم الملابس في الأعلى، على ما أظن.»

«صحيح.»

كان على صوفي الحذر تماماً عند التحدث. كانت تدرك جيداً أن نصف الأولاد على الأقل كرهوها لقتلها أران، رغم أنها كانت حادثة. كان عليها فعل كل ما هو لازم لتصبح واحدة منهم.

عبروا المكان، والزجاج يُسحق تحت أقدامهم، فعثروا على السلم المتحرك. رأى لويس خريطة للمتجر فسلط مصباحه عليها.

«الملابس الرجالية في الطبقة الأولى، والنسائية في الطبقة الثانية.»

«دعونا نصعد إلى الطبقة الأخيرة سريعاً،» قال أخيليوس، «ثم سننزل طبقة تلو الأخرى.»

تسلقوا الدرج الأول، فوجدوا أنفسهم في الطبقة الأولى الخاصة بملابس الرجال. اجتاحتهم لحظات من الخوف عندما استقرّت مصابيحهم على ما بدا مجموعة من الراشدين الشاحبين، العراة بلونهم الرمادي. لكن ضحك الأولاد عندما أدركوا انها مجرد مجموعة من تماثيل عرض الملابس. لكنهم جفلوا في كل مرة شاهدوا فيها تمثالاً منها.

ألقوا نظرات سريعة على المكان ليجدوا بعض الملابس هنا وهناك.

«هذا جيد،» قال لويس ثم مشوا باتجاه أسفل السلالم.

خلال صعودهم، مشى أولي مع صوفي.

«اسمعي صوفي،» قال. «أعرف أنك لم تتعمّدي قتل أران. كان من الممكن أن يحدث ذلك في أي وقت. لأكُن صادقاً، كان مصاباً إصابة بالغة على أي حال. تعرّض لعضة. كان مريضاً وقد فقد صوابه في ذلك الحين. حتى لو لم يصبه سهمك ذاك، لا أظن أنه كان سيصل حياً إلى القصر. ربما وفرتِ عليه الكثير من الألم.»

«شكراً لك،» قالت صوفي. «لكنني أشعر بالسوء حيال الأمر.»

«لا تفعلي.»

الطبقة التالية كانت مماثلة. بل على الأرجح كانت هناك ملابس أكثر من الطبقة الأولى. بعد مسح سريع لما حولهم، تابعوا إلى الطبقة الأعلى. مجدداً، مشى أولي مع صوفي.

«إذاً، أين كنتم تعيشون طوال الوقت؟» سأل. «أين كنتم تختبئون؟»

«في كل مكان،» قالت صوفي. «كنا نجد منزلاً فيه طعام ونبقى فيه حتى لا يعود آمناً. كنا نتنقل طوال الوقت، لم نستقر أبداً في مكان واحد. بدأنا في هايغيت، ثم إلى دارتماوث بارك، جربنا هامبستيد هيث لكن كان المكان خطراً جداً و لم يكن هناك ما نأكله. ثم انتقلنا إلى كنتيش تاون وكامدن. كان الوضع مشابهاً في كل مكان، نقاتل للبقاء على قيد الحياة. كان عددنا كبيراً

في البداية، ظننا أننا سنكون بأمان بسبب عددنا. لكنهم قبضوا علينا واحداً تلو الآخر. أحاول أن أنسى كل ذلك وأركز على النجاة يوماً بيوم. لهذا السبب أشعر بالسوء بشأن أران. فوضعنا سيّئ كفاية بسبب قتل الراشدين لنا نحن الأولاد، لكن...»

صمتت صوفي فوضع أولي يده على ذراعها مواسياً.

من الأعلى، استطاعوا النظر إلى الأسفل مباشرة إلى وسط الطبقة الأرضية. وصل ضوء مصابيحهم خافتاً إلى الأسفل على طاولات المطعم وكراسيه.

أطلوا من الأعلى. لم يبد أن أحداً قد وطئ المكان منذ وقت طويل. غطى الغبار كل شيء. كان قسم المراحيض في الأعلى وكل شيء كان على حاله. فخلال الأزمان، لم يكن أحد ليأتي كل هذه المسافة إلى هنا لسرقة صابون فاخر.

«ما رأيك؟» سأل لويس بصوت خافت وهادئ.

«لو كان أحد يختبئ هنا، لهاجمنا قبل الآن،» قال أخيليوس. «أستطيع أن أشعر بهجوم قادم. فعندما يكون هناك موقع للراشدين، تكون الرائحة مختلفة كلياً يا رجل.»

«أعرف هذا تماماً،» قال لويس.

«الوقت يمر،» قال أولي. «يجب أن نعود إلى الآخرين.»

«صحيح،» قال لويس. «ثم وقت التسوّق!»

29

لم يعرف سام منذ متى والرجل يحمله عبر الأنفاق. عرف أنه رجل بعد بضع دقائق. لكنه كان مختلفاً عن أي راشد رآه منذ وقوع الكارثة. كان حليق الذقن وشعره طويلاً معقوداً بجديلات مشعثة رغم أنه لم يكن أسود اللون. ارتدى بنطال جينز وسترة محبوكة فضفاضة تحت معطفه.

لم تكن رائحته كريهة.

حمل مصباحاً. لم يكن مصباحاً يعمل يدوياً كما التي يملكها الأولاد. بل كان مصباحاً كبيراً يعمل على البطارية شعّ منه ضوء قوي.

خلال طريقهما، سأل سام من يكون وإن كان وحيداً، وبعد ذلك لم يتحدث كثيراً.

تساءل سام كيف يعقل للرجل أن يتحدث. فلا أحد من الراشدين يستطيع النطق حتى بكلمة واحدة. فأدمغتهم تعطلت بسبب المرض. هذا الرجال استطاع الكلام واستخدم الأدوات والأسلحة. كيف تجنب الإصابة بالوباء؟ ماذا كان يفعل هنا؟ وإلى أين كان يأخذ سام؟

كان لدى سام أسئلة كثيرة يطرحها، لكن الرجل لم يجب عن أي منها. مشى سريعاً عبر الأنفاق بخطوات واثقة، عارفاً طريقه جيداً.

عبرا محطتين - إنجل وأولد ستريت - وحافظ الرجل على مشيه السريع. أمسك سام من ذراعه بقوة، وبدأ الوضع يصبح مزعجاً أكثر فأكثر.

«لا بأس،» قال سام أخيراً، خوفاً من أن يُصاب في ارتجاج بدماغه. «أستطيع السير، كما تعرف. لا داعي لحملي.»

«هذه الطريقة أسرع،» قال الرجل. «سنصل قريباً.»

«إلى أين؟»

«سترى.»

خاضت قدما الرجل بثبات في المياه التي زادت ارتفاعاً أكثر فأكثر لتصل تقريباً إلى خصره. انخفضت بعد ذلك، لكن عندما وصلا أخيراً إلى المحطة التالية، كان لا يزال هناك حوالى ثلاثون سنتيمتراً من المياه عبر السكة تحت الرصيف. وصلا إلى موورغيت. لم يكن لدى سام أي فكرة أين هذا المكان.

توقف الرجل لاستراحة. وأجلس سام على حافة الرصيف.

«كانت توجد هنا مضخات في الماضي،» قال.

«ماذا؟» سأل سام مندهشاً أن الرجل كان يتحدث إليه.

«مضخات،» كرر الرجل. لم تكن لهجته كلهجة سكان لندن. كانت لهجة ريفية خفيفة، تشبه لهجة المزارعين. «كانت هناك مضخات في جميع الأنابيب والأنفاق لإبقاء المياه خارجاً. لكن في غياب من يشغلها، ازداد ارتفاع المياه. أظن أن المدينة تغرق.»

«إلى أين تأخذني؟» سأل سام.

ابتسم الرجل. «سترى.»

حمل سام مجدداً وانطلق مهرولاً.

لم تكن المحطة التالية بعيدة لكن شعر سام بأنه اكتفى. عند وصولهما، رفع الرجل سام إلى الرصيف ثم تسلق خلفه. أمسك بيد سام.

«ابق إلى جانبي أيها الصغير،» قال متقدماً الطريق عبر الرصيف. «لا نريدك أن تضل الطريق.»

«نظر سام إلى اسم المحطة. بانك. كان البلاط المحيط بالاسم على شكل تنين. إلى جانب الرصيف، كانت هناك فتحات لكنها كانت مسدودة بحواجز مقفلة. عند وصولهما إلى الفتحة الأخيرة، فتحها قفلها الرجل ومرر سام عبرها قبل أن يعيد إقفالها بإحكام مجدداً. شموع صغيرة في جرار زجاجية لفت المكان بوهج دافئ. كان هناك صوت مولد وفاحت رائحة

البنزين. كان المخرج إلى المحطة عند نهاية الممر إلى جهة اليسار، وكان مقفلاً بإطار من الحديد القديم.

«ما أحلى العودة إلى المنزل،» قال الرجل متجهاً نحو القطار، ثم طرق على إحدى المقطورات.

فُتحت الأبواب وظهرت امرأة عند المدخل. كانت ممتلئة وظريفة الشكل، ترتدي سترة كبيرة من الصوف كسترة الرجل وتنورة طويلة فضفاضة. كان شعرها كثيفاً ولونه أحمر تخلله بعض الشيب ووجه حنون. ابتسمت لسام حين رأته.

«من يكون هذا الفتى؟» سألت.

«اسمه سام،» قال الرجل. «عثرت عليه عند تقاطع كينغز، وأظن أنه يتضوّر جوعاً أيضاً.»

«هيا، ادخل.» دخلت المرأة وتبعها سام.

رُتبت المقطورة على شكل غرفة جولس وبدت مريحة جداً. كانت هناك شموع متوهجة، ستائر على النوافذ، سجاجيد ووسائد على الأرض وأغطية فوق المقاعد. رُكن في أحد أجزاء المكان سرير كبير بالقرب من بابين جانبيين، وضع الزوجان إلى جانبه موقداً. لاحظ سام وجود مدخنة فوقه تصل إلى قنوات التهوية في سقف المحطة، تماماً كتلك التي بناها بن وبيرني في ويتروز.

«اجلس الآن أيها الشاب،» قالت المرأة. «وسأحضر لك بعض الحساء، ما رأيك بذلك؟ سأبعد أوريون من هنا.»

نظر سام. كان هناك هر بني كبير يستلقي على أحد المقاعد. رفعته ودغدغته خلف أذنه. خرخر لها بسعادة.

«لديكما هر؟» قال سام وهو يجلس. لم يستطع أن يصدق أن كل هذا يحدث.

«نعم. يوجد الكثير من الطعام له في هذه الأنفاق،» قالت المرأة. «أنا رايتشل، على فكرة. وصاحب الوجه الغاضب هناك هو نيك. لا يتحدث كثيراً، لذا أظن أنه لم يعرفك إلى نفسه. صحيح؟

«صحيح،» قال سام.

«لا تنعتيني بصاحب الوجه الغاضب يا امرأة،» قال نيك.

«أوه، اعرف أنك هادئ في داخلك. هذه طريقتك في التصرف فحسب. لكن الصغير يشعر بالخوف على الأرجح، لذا يجب أن تُظهر بعض اللطف له.»

«أنا بخير،» قال سام. «أنا مسرور أن نيك أنقذني.»

«وأنا كذلك يا حبيبي،» قالت رايتشل. «وكذلك أنا.»

عبثت بشيء عند الموقد، حركت محتوى قدر بملعقة خشبية كبيرة. كانت الرائحة لا تُقاوم. سال اللعاب من فم سام، كانت معدته تصيح طلباً للطعام.

«سيكون الطعام جاهزاً خلال لحظات.»

شعر سام بالدفء والأمان والنعاس. كان على شفا البكاء. نظر إلى نيك، الذي كان يجلس على السرير. غمز نيك وتغيرت ملامحه إلى ابتسامة. فرد سام له الابتسامة.

«إذاً، ماذا كنت تفعل هناك وحدك طوال الوقت؟» سأل نيك وهو يُخرج كيس تبغ ثم يلف سيجارة.

«دخلت المحطة هرباً من بعض الراشدين،» قال سام، وهو يتثاءب. «ثم علقت هناك. في كل مرة حاولتُ فيها الخروج، واجهتُ المزيد منهم.»

«إنهم مثل الجرذان الكبيرة،» قال نيك وهو يبدو ممتعضاً. «المرضى منهم. لكننا في أمان في هذه الأنحاء. تعلموا أن يدعوننا وشأننا، لم يعودوا يزعجوننا.»

«لِمَ لم تُصابا بالمرض؟» سأل سام. «ظننا أن كل من يزيد عمره عن الرابعة عشر أُصيب بالوباء.»

أجاب نيك بلامبالاة. «لا أعرف. على الأرجح هناك من هم مثلنا، في مكان ما. أظن أننا سنخرج للبحث عن أجوبة عندما نكون جاهزين لذلك. أما الآن، فنحن سعيدان لكوننا حيّن وبصحة جيدة.» حرك رأسه. «دق على الخشب.»

«إذاً كنت وحدك أيها الشاب سام، صحيح؟» سألت رايتشل.

«لقد تفرقنا،» قال سام. «كنتُ أحاول العثور على أصدقائي. كانوا في طريقهم إلى لندن إلى قصر باكينغهام.»

«لِمَ يذهبون إلى هناك؟»

«المكان آمن هناك.»

«حقاً؟» قال نيك. «سمعت بأمر المكان في البداية. لكنني لم أذهب إلى تلك المنطقة منذ بدء كل شيء.»

«إذاً أصدقاؤك أولئك؟» قالت رايتشل. «هل هناك الكثير منهم؟»

«حوالى خمسين، على ما أظن.»

«خمسون؟» قال نيك. «أنت تمزح، أليس كذلك؟» لم نعثر أبداً على هذا العدد من الأولاد معاً من قبل.»

«عثرتم على أولاد آخرين إذاً؟» قال سام. «أحياء؟»

«نعم، فعلنا،» قالت رايتشل وهي تحضر طبقاً من الحساء إلى سام. «نعتني بهم، نمنحهم الطعام، نتأكد من أنهم بخير.»

«وأين هم الآن؟»

«بأمان،» قالت رايتشل. «كل الآن.»

«لِمَ تبقيان هنا في الأسفل؟»

«لا سبب. اختبأنا هنا من البداية وبقينا. كفى أسئلة الآن، تحتاج معدتك إلى بعض الطعام.»

غرف سام ملعقة كبيرة من الحساء ونفخ عليها. كان الحساء سائلاً جداً ولونه بنياً لكنّ رائحته لذيذة.

«أخشى أنه حساء خضار فقط،» قالت رايتشل وهي تُبعد شعرها. «أي شيء وجدناها في العلب.»

تذوق سام الحساء الذي كان سائلاً جداً لكنّه لذيذ. ارتجف جسمه كلها من لذته وأحس مباشرة بالدفء في معدته.

«لا تبدو حالتك سيئة،» قال نيك وهو يراقبه يأكل. «هل كنت تتدبر أمورك جيداً للنجاة؟»

بينما تناول طعامه، أخبرهما سام بكل ما حصل معه منذ قبض عليه الراشدون.

«من المؤسف أنك افترقت عن أصدقائك،» قالت رايتشل وهي تجلس بالقرب من نيك وتُمسك بيده.

«هل المكان بعيد جداً عن هنا؟» سأل سام وهو يغرف الملعقة الأخيرة من الحساء.

«مسافة لا بأس بها،» قالت رايتشل. «عبر لندن مباشرة.»

«بعد أن أحظى بالراحة،» قال سام، «هل تدلانني على الطريق؟»

ضحكت رايتشل. «عمّ تتكلم؟ لا يمكن لفتى صغير مثلك أن يتجول عبر لندن وحده.»

«هلا تأتيان معي إذاً؟» سأل سام. «إلى القصر؟»

«لا أعرف بهذا الشأن،» قال نيك. «نحن مستقران هنا.»

«لكنهم ينتجون طعامهم وكل شيء،» قال سام. «وراشدان مثلكما سيكونان مفيدين جداً.»

«إنها رحلة خطرة. أظن أن من الأفضل لك أن تبقى هنا.»

«أوه،» قال سام، «لكنني لا أستطيع البقاء. أقصد، شكراً لكما على الطعام، كان لذيذاً جداً، لكن لا أستطيع البقاء هنا. أختي...»

«سنرى.» قاطعته رايتشل. «لا تقلق بهذا الشأن الآن. تناول حساءك، ويبدو أنك تحتاج أيضاً إلى بعض النوم. ألستُ محقة؟»

«نعم،» قال سام. «لكن يجب أن أعثر على أختي.»

«كل شيء في وقته،» قال نيك ثم نهض ليلتقط طبق الحساء الفارغ الذي تناوله سام حتى آخر رشفة منه.

جلس سام هناك، معدته تقرقر بسعادة. أسدل جفنيه ثم فتحهما مجدداً.

«أشعر بالنعاس الشديد.» قال.

«لمَ لا تتمدّد على السرير؟»

«نعم، أودّ ذلك.»

أخذته رايتشل إلى السرير حيث ساعدته كي يتمدد، جلست إلى جانبه تملس على شعره. وقف نيك إلى جانبها مبتسماً. الهر، أوريون، جلس بالقرب يراقبه أيضاً، بعينين سوداوين مشعتين.

«عندما تستيقظ،» قال نيك، «سنتحدث لوقت طويل، اتفقنا؟ سنرى ما سنفعله معك.»

«مممم...»

«جنديّي الصغير الشجاع،» قالت رايتشل.

كان سام نائماً.

30

أخافت تماثيل عارضي الأزياء ماكسي كلياً. كانت متوترة الأعصاب بما يكفي وهي تحاول إبقاء الأولاد في المتجر تحت السيطرة. عليهم البقاء معاً مهما حصل. كانت فرقة الاستطلاع قد أكدت أن المكان آمن، لكن كانت لا تزال خائفة. الأيام القليلة الأخيرة ذكّرتها بأن ليس هناك مكان آمن، ولا يمكن أن تعرف ما قد يتربّص بك في أي زاوية، وإن تخليت عن حذرك...

فتشوا الطبقة الأرضية التي تضم قسم الملابس الرجالية، وأخذوا القليل الذي بقي فيه. انتقلوا إلى قسم الملابس النسائية حيث كانت الحصيلة الأكبر. كان بلو على حق. لقد رفع ذلك من معنوياتهم بالفعل، لكن إذا تعرضوا للهجوم على حين غرة، فستُمحى تلك البسمات عن وجوههم بكل تأكيد، وستتلقى هي اللوم لسماحها لهم بالدخول إلى هنا.

رغم أن معظم الملابس كانت كبيرة على الصغار، أخذوا أي شيء يجدونه. كلما اقتربوا من كومة ملابس جديدة، علت الحماسة وتشاجروا عليها وهم يهرولون بين كومة وأخرى. حاولت ماكسي الحفاظ على حذرها لكن انتباهها أيضاً كان يتشتت حينما كانت ترى شيئاً يعجبها. على الأقل، أصبح الصبيان أكثر هدوءاً وحذراً، فلم يكن لديهم أيّ اهتمام بالملابس النسائية. المشكلة الرئيسية كانت في أن معظمهم كانوا يتوارون خلف الخزائن والرفوف لتبديل ملابسهم ورمي القديمة منها. أما الذين وقفوا للمراقبة فلم يتوخوا الحذر أبداً.

عثرت ماكسي على قميص من ماركة أغنس وبنطال بدا أنهما يناسبان

مقاسها. وضعتهما في حقيبتها. ستبدل ملابسها لاحقاً، عندما تتأكد أن الظرف آمن. كانت قلقة جداً. فكرة أن تقع في كمين وهي نصف عارية لا تعجبها أبداً. تخيّلت نفسها تتعرض للمطاردة في سيلفريدجز وبنطالها معلق عند ركبتيها.

رأت سترة جلدية سوداء فلم تستطع مقاومتها أبداً. نظرت إلى لاصقتها ماركة بيلستاف. سترة بدا أنها متينة الصنع، وتحوي عدداً من الجيوب وستفي بالغرض من ناحية الحماية. على الأقل، هذا ما أقنعت نفسها به. في الواقع، أحبّت شكلها كثيراً. ارتدتها وجربت أن تنظر إلى شكلها في مرآة مكسورة. لم تستطع الرؤية جيداً في الضوء الخافت. واسعة قليلاً، لكنها ناسبتها نوعاً ما.

«إنها جميلة. مثل سترتي.»

استدارت ماكسي لترى صوفي تراقبها وقوسها جاهز في يدها.

«أتظنين أنني أرتديها حتى أبدو مثلك؟»

«ليس هذا ما قصدته. قصدتُ فقط أنها أعجبتني.»

«ولِمَ أهتم إن كانت تعجبك أم لا؟»

«آسفة، لم أقصد شيئاً من كلامي.»

«حقاً؟ أعرف ما تفعلينه. تحاولين التواصل. تحاولين تشكيل صداقات. حسناً، لا تزعجي نفسك. لن نكون أصدقاءك أبداً يا صوفي. أتفهمين؟ ليس بعد ما فعلت.»

«حسناً. أعرفَ كيف تشعرين، ماكسي.»

«لا، لا تعرفين.»

«انسي الأمر فحسب. أنا آسفة.»

«تظنين أنك رائعة، أليس كذلك؟» قالت ماكسي. «بسترتك الجلدية وقوسك النشاب. حسناً، أنت لا شيء. الشخص الوحيد الذي قتلته بذلك الشيء هو أران. رائع. أحسنتِ.»

«اسمعي ماكسي،» قالت صوفي، بينما استطاعت ماكسي الشعور

بالعاطفة في صوتها كما لو أنها كانت على شفا الإجهاش بالبكاء. «أعرف أننا لا نستطيع أن نكون صديقتين. لكن علينا أن نجد طريقة للتواصل من خلالها.»

«لماذا؟ لم أردك معنا من البداية.»

«حسناً. تصرفي كما يحلو لك. ظننتك أذكى من هذا.»

«ماذا؟ ماذا قلت؟» اندفعت ماكسي نحو صوفي. «لا تهينيني.»

«لِمَ لا؟» قالت صوفي بغضب. «أنت أهنتِني. أفهم موقفك تجاه أران. كان حبيبك و...»

«لم يكن حبيبي. ربما كان سيكون حبيبي لو بقي على قيد الحياة. لكننا لن نعلم أبداً، أليس كذلك؟»

حاولت صوفي جاهدة أن تقول شيئاً، لكنها استسلمت. أدارت ظهرها لماكسي ومشت.

شعرت ماكسي بلحظة من النصر لكن سرعان ما انقلبت إلى يأس. لِمَ تصرفت بنذالة؟

كانت تعرف السبب.

كانت متعبة وخائفة وبائسة ولا تزال تتألم على أران.

لم تكن غلطة صوفي. كانت تعرف ذلك، لكن عندما رأت وجهها الجميل أرادت أن تنتقدها فحسب.

شتمت بصوت خفيض. احتاجت إلى أن تكون وحيدة لدقيقة. كان المكان أكثر هدوءاً هنا. لم يكن من أحد بالقرب. نظرت من فوق الجدار المنخفض. سلطت ضوء مصباحها إلى أسفل، مستكشفة الطبقات.

حبست أنفاسها.

لقد رأت شيئاً يتحرك.

نادت.

«مرحباً؟ هل من أحد في الأسفل؟ علينا أن نبقى معاً.»

لا شيء. لا صوت. لا حركة. أيُعقل أن تكون مخيلتها؟ كانت متوترة

جداً لدرجة أنها كانت ترى الخطر في كل مكان. لوّحت بضوئها في كل مكان. كان كل شيء هادئاً.

تنهّدت واستدارت لتمشي عبر الشرفة.

كانت صوفي هناك، على بُعد حوالى أربعة أمتار، وقوسها مصوّب نحو وجه ماكسي. كانت قد شدت خطيها استعداداً لإطلاق سهمها الوامض. علا وجه صوفي قناع قاس، واتسعت حدقتا عيناها في الظلام.

بلعت ماكسي ريقها. تدفق الدم في رأسها. يبدو أنها لم تفهم تلك الفتاة على الإطلاق، لم تعرف حقيقة قدراتها.

«لا تتحركي،» قالت صوفي ببرودة، لكن ماكسي لم تستطع التحرك حتى لو أرادت ذلك. كانت مسمّرة في مكانها، أحست أن رجليها مصنوعتان من الرصاص.

لمَ كانت بهذه الحماقة؟ لمَ استفزت صوفي بتلك الطريقة. كانتا تعيشان في عالمين مختلفين بقوانين مختلفة.

ماذا ستفعل الفتاة؟

تنفست ماكسي.

«صوفي،» قالت، «أنا...»

أطلقت صوفي سهمها الذي أزّ عبر الهواء ومر على بعد سنتيمترات من ذراع ماكسي اليمنى.

لم تصب الهدف.

سمعت ماكسي صوتاً مكتوماً خلفها فاستدارت.

كان يقف هناك راشد، والد، والسهم في صدره. ترنح على الجانبين، ضارباً السهم وهو يئن، ثم ارتطم بالجدار وسقط من أعلى الشرفة. أطلت ماكسي لتراه يسقط. سقط من الأعلى حتى الأسفل، وهو يدور في الهواء ببطء، ليرتطم بعنف على طاولة تهشّمت تحته.

تبع الصوت صمت تام. تجمّد جميع الأولاد في أماكنهم، وهم ينصتون السمع. ما الذي كان يحدث؟

هرع أخيليوس إلى ماكسي. بالكاد ميّزته. كان يرتدي سترة رمادية مائلة إلى الفضّي اللماع جديدة فوق قميص أزرق داكن.

«ما الذي يحدث؟»

«راشدون،» قالت ماكسي، والكلمات عالقة في حلقها الجاف.

31

غط سام الصغير في نوم عميق. كان صدره يعلو وينخفض. كانت رايتشل لا تزال تجلس إلى جانبه، تملس على جبهته وتهدهد له.

«أترى كم يبدو هادئاً؟» قالت.

ضحك مستهزئاً، واتجه نحو خزانة وفتح أحد أدراجها. أخرج زوجاً من الأصفاد ومشى عائداً نحو السرير. رفع يد سام اليسرى بلطف وكبّلها بالأصفاد.

«كم هذا مؤسف،» قالت رايتشل. «إنه فتى لطيف.»

«لا تصبحي عاطفية حبيبتي رايتشل. أتذكرين ما حصل مع الخنازير؟ لم يجدر بك منحهم ألقاباً أبداً. حين تمنحينهم ألقاباً، يصبحون حيوانات أليفة.»

«لا بأس،» قالت رايتشل وهي ترفع خصلة شعر سام عن وجهه. «لن أصبح عاطفية أبداً.»

32

أُمر الأولاد بالتجمع وشُكلت سريعاً فرقة مقاتلة حول أخيليوس، لكنهم لم يروا أي أثر لراشدين آخرين.

«ربما كان هناك واحد منهم فحسب،» قال لويس، الذي كان يرتدي سترة من الكشمير زرقاء فاتحة.

«لا،» قال فريك وهو يشير بإصبعه. «انظروا.»

«أوه، يا للهول!»

حوالى خمسة عشر راشداً مشوا بتثاقل عبر السلم المتحرك المعطل الممتد من الطبقة الأرضية، في صمت كامل. جميعهم ارتدوا ملابس جديدة، تزيّنوا بالقبعات والمجوهرات والأحزمة والأوشحة، وحملوا حقائب جديدة باهظة الثمن. لكن كانوا في حالة فوضى، مثل موكب بشع من الملابس التنكرية. بدوا مثل أولاد سطوا على خزائن أهاليهم. ملابسهم لم تكن متناسقة، أو كانت من القياسات الخاطئة، أو ببساطة ارتدوها بطريقة غير صحيحة. رجل ارتدى سترتين معاً لكن من دون بنطال، وآخر ارتدى فستاناً، بعض النساء لبسن قمصان من الأمام إلى الخلف، وطمسن وجوههم بمساحيق التجميل. إحداهن ارتدت ملابس داخلية فوق الملابس الخارجية، مثل بطلة خارقة غريبة الأطوار، ووضعت شيئاً يشبه مصباحاً فوق رأسها. عجوز نحيفة جداً ارتدت بذلة رياضية مزركشة من ماركة نايكي، ومعطفاً من الفرو، وشعراً مستعاراً أشقر طويلاً وعدداً من الأقراط المتدلية. علقت على كتفها آلة تصوير مع حزام وانتعلت فردة حذاء واحدة بكعب عال.

جعلتها تعرج. كان مشهداً غريباً بينما تحركوا متلاصقين مثل مجموعة غريبة من السياح.

«اقتلوهم،» قال أخيليوس ورفع رمحه.

«لا، انتظر،» قالت ماكسي. «لا أظن أنهم سيهاجمون.

«من يأبه؟» قال أخيليوس. «إنهم راشدون. اقتلوهم.»

«انظروا إليهم. إنهم غير مؤذين.»

«سنرى بهذا الشأن.» مشى أخيليوس نحو المجموعة التي توقفت عند أسفل السلم، ووقفت بعيداً عنه. راشد، ربط حول عنقه العاري عدداً من ربطات العنق، رفع يده مدافعاً عن نفسه. لكن أخيليوس غرز رمحه في صدر الراشد فوقع أرضاً. تراجع الراشدون الآخرون أكثر خوفاً. لكن أخيليوس تقدم أكثر وأخذ يدفعهم إلى الأرض. تكوّموا بعضهم إلى جانب بعض مثل فراخ بط خائفة. حائرة في أمرها. بدأ أخيليوس يضحك.

«انظروا إلى الحمقى السخفاء،» قال. «إنهم مثيرون للشفقة.» أمسك بالراشدة العجوز وهزها حتى وقع الشعر المستعار عن رأسها.

«ما هو شكلكِ؟ ها؟» قال وهو يرميها نحو الآخرين. «يا لكم من مجموعة أنذال غريبي الأطوار.» انتزع قبعة عن رأس والد ووضعها على رأسه.

«هيا أيتها الخراف،» قال أخيليوس وهو يدفع مجموعة صغيرة بين صفين من الركائز. «أرونا ما لديكم.»

كان الصغار الآخرون قد بدأوا يضحكوا، بينما انضم أربعة من الأكبر سناً إلى أخيليوس مشاركين إياه في تعذيب الراشدين، مطاردين إياهم في أرجاء المكان، منتزعين منهم أشياءهم حتى حشروهم في إحدى الزوايا وهم يرتجفون ويتمتمون خوفاً.

لكزهم الأولاد الكبار بأسلحتهم، ودفعوهم بعضهم فوق بعض. ثم أمسك أخيليوس وميك الكبير بأحد الآباء وجره عبر الأرض.

ضحك أخيليوس. «هيا،» قال. «لنر إن كنت تحب المرتفعات.»

ضاحكين، حملوه إلى الشرفة، وقبل أن تتمكن ماكسي من إيقافهم، كانوا قد أمسكوا به من كاحليه ورفعوه عن الجانب. علقوه هناك، يداه تتأرجحان في الهواء.

«انظروا إليه،» قال أخيليوس. «إنه يحاول الطيران.»

«توقفوا!» صرخت ماكسي.

«نتوقف؟ لماذا؟ هؤلاء الأنذال جعلوا حياتنا جحيماً. قتلونا، أكلونا... حسناً، حان دورنا الآن.»

«ليس هذه الزمرة،» قالت ماكسي. «لم يفعلوا شيئاً لك. إنهم غير مؤذين. انظر إليهم.»

«جميعهم متشابهون،» قال أخيليوس. «جميعهم مذنبون. لولا الراشدون، لما كنا في حالة الفوضى هذه. لقد أفسدوا عالمنا. لقد سببوا الكارثة. يقع اللوم على كل واحد منهم. يجب أن نمسحهم عن وجه الأرض.»

«لا نعرف ما الذي سبّب الكارثة،» قال ماكسي.

«أوه نعم، لقد نسيت، لقد كان الله، صحيح؟»

«أو رجال الفضاء،» قال ميك الكبير، وضحك.

«لا نعرف،» قال ماكسي. «لكن لا يمكن أن نصبح حيوانات. سنصبح مثلهم.»

«لا، لن نفعل. سنكون كلاباً صيادة، سنطاردهم وسنذبحهم.»

«أخيليوس، هذا خطأ.»

نظرت ماكسي حولها بحثاً عن المساندة. نصف الأولاد كانوا يضحكون، بعضهم بدا قلقاً، وآخرون كانوا يبكون. رأت بلو، يحدق في أخيليوس، مسحوراً.

«بلو،» قالت ماكسي. «اطلب منه.»

«أفلته،» قال بلو.

«حسناً.»

ترك أخيليوس وميك الكبير الراشد الذي لهث بدوره عندما وطئت قدماه الأرض.

«يبدو أنه لم يستطع الطيران،» قال أخيليوس.

«يا لك من أحمق،» قالت ماكسي بلهجة احتقار قوية. حاول أخيليوس أن يبدو غير مكترث، لكنها رأت في عينيه أنه عرف أنه بالغ في عمله ذاك.

«من التالي؟» قال وهو يتقدّم بخطى كبيرة نحو الراشدين الباقين، لكن بلو وقف بينه وبينهم.

«هيا يا رجل،» قال بهدوء، وأومأ نحو الأطفال. «أظن أننا شهدنا موتاً كافياً أخيراً. لا أظن أن الأطفال يريدون رؤية المزيد، اتفقنا؟»

«هل ندعهم يفلتون فحسب؟»

«ليسوا من شأننا،» قال بلو. «إنهم غير خطرين بكل تأكيد. لقد أتوا إلى هنا مثلنا تماماً. للعثور على ملابس جديدة. أظن أن العادات لا تزول بسهولة. لنخرج الآن من هذا المكان. إنهم في انتظارنا في القصر.»

ربت بعض الأولاد كتفي أخيليوس وميك الكبير، لكن تجنّبهما معظمهم وشعرت ماكسي بالاشمئزاز. التقت عيناها بعيني صوفي التي أشاحت بنظرها عنها.

لم يكن الآن الوقت المناسب لشكرها.

أحدهم وضع يداً على كتفها. كان بلو.

«أحسنت فعلاً يا فتاة،» قال. «أصبحت مسؤولة عن نفسك، نحتاج إلى أشخاص مثلك.»

«شكراً. وشكراً لمساندتك إياي.»

33

راقبهم كالوم بمنظاره من أعلى عش الغراب. كانوا يصلون ذلك الصباح بأعداد قليلة من جميع اتجاهات كامدن. في البداية، وقفوا على غير هدى، ثم بدأوا يتقدمون من المتجر ويستكشفونه. بعد فترة من الوقت، أصبحوا أكثر شجاعة. ضربوا من دون جدوى على البوابات والنوافذ قبل أن يعودوا ليهيموا على وجوههم ويتشاجروا.

حمقى.

كان قد حظي بصباح جميل. لم تكن لديه فكرة أيّ ساعة استيقظ. كل ما كان يعرفه هو أنه كان نهاراً. من الآن وصاعداً، سيستيقظ متى أراد، ويأكل متى جاع. لكن لم يسمح بأن تغزوه القذارة. رتب سريره، وحافظ على نظافة المكان وترتيبه. عندما كان يذهب إلى المرحاض، أخذ معه الدلو إلى طرف موقف سيارات ويتروز، تسلق السلم وأفرغه فوق الجدار نحو الحديقة. كانت الرائحة كريهة نوعاً ما، لكن كان سيتحلل مع الوقت. قد تنمو أشياء هناك.

كان سيعتني بنفسه. يتخلص من كل وجبة انتهى منها، يستحم بانتظام، يغيّر ملابسه ويغسلها. لم يكن بربرياً. هكذا كانت تقول أمه دائماً. «كالوم، استحم فنحن لسنا برابرة.»

فكر بنفسه على أنه شخص عالق على جزيرة مهجورة. مثل روبنسون كروزو. أو كما في Lost (الضائعون). إن نظم حياته، فسينجو. حسب أن مؤونته من الغذاء ستكفيه على الأقل مدة عام إن توخى الحذر. لقد توخى

الحذر بالفعل. بعد الفطور، كان ينجز تمارينه. تمارين الضغط، والبطن، والوثب، والتمدد، والقليل من رفع الأثقال بواسطة بضعة أوزان كان قد عثر عليها أخيليوس ذات يوم وأحضرها إلى المتجر. بعدها، كان يهرول عشرين لفة حول المسار الذي بناه في المتجر. ستكون لياقته البدنية أفضل من أيّ وقت مضى.

خطط أن يقضي معظم وقته هنا على السطح حيث شعر بأنه في منزله. بالطبع ستختلف الظروف عندما يكون الجو بارداً وماطراً، لكن الآن كانت لحظات جلوسه في عش الغراب مطلاً على هولوواي أمراً مذهلاً. استطاع اليوم قضاء الوقت الذي يريده هنا. كانت السماء زرقاء وصافية. لكن لاحت في أفق كامدن سحب خفيفة من الدخان، لكن بدا لاحقاً أنها توقفت عن الانتشار.

نعمة. كان لديه كل ما احتاج إليه. الراشدون الأغبياء في الأسفل قدموا له بعض التسلية. أحب مراقبتهم يتشاجرون وكان يضع رهانات خيالية على من سيربح.

تساءل إلى أين وصل أران والآخرون. لقد أصبحوا في القصر بكل تأكيد.

ابتسم. آخر مكان أراد أن يكون فيه هو قصر باكينغهام. يعيش هناك في ازدحام مع أولاد آخرين. لا هدوء. دائماً هناك من يملي التصرفات. الانتظار من أجل تناول الطعام. الوقوف في الصف لدخول المرحاض. الشجار طوال الوقت. مستحيل. يمكنهم الاحتفاظ بقصرهم. كان ملك على كل ما وصل إليه مرآه، وهدفه أن يبقى كذلك.

أحس بشيء يدغدغ خدّه. ذبابة، ربما. رفع يده ليبعدها فتبللت.

كانت دمعة. كان يبكي.

لَم كان يبكي؟ لم يكن لديه سبب للبكاء. في تلك اللحظات، شعر بجسمه يتشنج وإذا به يشعر بالدموع تنهمر على وجهه وكان ينوح مثل طفل صغير.

لم يجدر به التفكير بالآخرين. لم يجدر به التفكير بهم. كان وحيداً جداً. وحيداً كما لم يكن أبداً.

34

أعاد الأولاد التجمّع عند الرصيف. فكرت ماكسي أنهم يبدون مثل أولئك الراشدين الحزينين الذين عثروا عليهم في الداخل يرتدون ملابس لم تناسبهم. لكن كان عليها الاعتراف بأنهم على الأقل يبدون أنظف من ذي قبل. لن يكون شكلهم مثل جيش من المتشردين. البعض، مثلها، اختاروا حزم ملابسهم لوقت لاحق وصمّمت أن لا تشعر بالحرج أو الخجل من رائحتها. كما أن أجسادهم تلك التي تحت الملابس هي التي فاحت رائحتها. ولا أي ملابس نظيفة ستُخفي تلك الحقيقة. فأنت تعتاد عليها عندما تُحيط بك طوال الوقت، لكن إن توقفت في وقت ما وفكرت بها – مقرف. لكن إن كان ما يخبرهم به جستر صحيحاً، فسيتمكنون جميعاً من الاستحمام في القصر.

القصر؟ بدت الفكرة سخيفة جداً. لم تكن قد صدقتها بعد. كانت تأخذ كل خطوة على حدة، محاولة ألا تفكر كثيراً في ما يأتي لاحقاً. محاولة ألا تعلق آمالاً.

كان بلو يعيد تشكيل مجموعته، متأكداً مع ويتني من وجود الجميع. عثرت ماكسي على أولي، الذي كان يحصي عدد الأولاد. أكد لها أن الجميع حاضرون.

«حسناً،» نادت ماكسي أولاد مجموعتها وهي تقفز لتقف على مقعد في الشارع. «نحن جاهزون الآن. لن نتوقف مجدداً حتى نصل إلى القصر. ليس بعيداً، حوالى نصف ساعة على الأكثر. هل أنتم جاهزون؟»

هلل الجميع، ثم استدارت ماكسي نحو بلو.

«نحن جاهزون،» قالت. «هل ننطلق؟»

«نعم.» رفع بلو يده، تماماً كما فعل أران سابقاً، ثم أنزلها ومشوا عبر شارع أوكسفورد نزولاً نحو ساحة غروفينور في تشكيلة قتالية متقنة.

اهتمت مجموعة من الصغار بالجرو غودزيلا. الفتى القرد، إيلا، وبيل مقولب المعجون. جعلهم ذلك يفكرون بشيء غير أنفسهم وعدم القلق كثيراً. تناوبوا الأدوار في حمله ودللوه مثل طفل صغير. كانوا يحملون علباً من طعام الكلاب تشاركوها معه. أطعموه بواسطة ملعقة.

كان دور بيل في حمل غودزيلا، وفي قرارة نفسه، تحدث إليه، وتخيّل أن الكلب يجيبه بكل وضوح، فكانا كأنهما يتشاركان محادثة حقيقية.

أنت مثلي، غودزيلا. لا تستطيع الكلام.

هذا لا يعني أنني غبي.

ولا أنا. التكلم لا يحسن من أي شيء. ربما يجدر بي النباح مثل كلب.

لا أظن أنه يجدر بك ذلك، سيظن الناس أنك غريب الأطوار.

إنهم يظنون ذلك مسبقاً. لكنني لا أبالي. لن أتكلم مجدداً أبداً.

لم يعد الراشدون يتكلمون أبداً.

لا. لكن أتعرف شيئاً غودزيلا، إنهم أغبياء.

ألن تتكلم مجدداً أبداً حقاً؟

أظن ذلك. أنا سعيد هكذا. أنا بأمان. إذا لم يسمع أحد أفكارك، فلن يستطيعوا أذيتك. أنت الوحيد الذي تفهمني غودزيلا. وأنا الوحيد الذي أفهمك. سنكون دائماً صديقين، أليس كذلك؟

نعم. هل تحب أياً من الأولاد الجدد؟

أحب ماكسي، إنها لطيفة. مايف لطيفة أيضاً. لكن أخيليوس يخيفني.

هل أنت متشوّق للوصول إلى القصر؟

نعم. لم أزر قصراً أبداً من قبل. في الواقع، لم أغادر هولوواي أبداً. أتمنى لو أني أتيت إلى هنا قبل حصول الكارثة.

«أيمكنني حمله؟»

رفع بيل نظره. كانت إيلا تتحدث إليه. شد على غودزيلا أكثر. لم يكن دورها بعد. لقد حمله لوقت قصير فقط.

«دعها تحمله،» قال الفتى القرد. «إنه منزعجة لتفكيرها بأخيها مجدداً.»

شد بيل على غودزيلا أكثر. تلوّى الكلب بين ذراعيه وأنّ. خفف بيل من قبضته قليلاً.

لا تقلق. ما زلت تستطيع التحدث إلّي حتى وهي تحملني.

هز بيل برأسه.

أتت ويتني. كانت في الثالثة عشرة من العمر فقط لكن بالنسبة للصغار، بدت كبيرة وينبغي احترامها.

«ما المشكلة؟» سألت.

«تريد إيلا أن تحمل الجرو،» قال الفتى القرد، «لأنها حزينة للتفكير بأخيها، لكنه دور بيل.»

«ماذا عن بيل؟ هل يمانع؟ هل تمانع، بيل؟»

هز بيل رأسه. لم يكن سيترك الكلب. رغم أنه كان خائفاً نوعاً ما من ويتني.

«تعالي،» حملت ويتني إيلا ووضعتها على كتفيها. «عندما ينتهي دور بيل، يمكنك حمل الكلب. سيكون أمراً تنتظرينه بفارغ الصبر، صحيح؟»

أومأت إيلا إيجاباً، وهي تقاوم دموعها. لن تعارض ويتني أبداً. نظرت إلى غودزيلا بحزن، كان سام سيحبه. أحب سام الكلاب. أراد دائماً كلباً خاصاً به.

تساءلت إن كان هناك كلاب أخرى في القصر. قال جستر إن المكان مرتب جداً. مثل مزرعة. ربما سيكون هناك دجاج وخراف. تود أن ترى بعض الخراف.

ربما سيجرب غودزيلا أن يطاردها.

لا. سيبقونه بعيداً عنها.

«هل أنت بخير؟» نظرت ويتني إلى أعلى وقرصت إيلا بتودّد من ركبتها.

«أظن ذلك.»

تركت ماكسي فريقها عند الجناح ومشت عبر الصغار لتتأكد من أنهم بخير. مازحة بشأن ملابسهم. رأت إيلا على كتفي ويتني. كانت ويتني ترتدي بذلة رياضية بيضاء جديدة ضيقة قليلاً عليها. كانت ملتصقة بجسمها. بدت إيلا وكأنها كانت تبكي. سألت ماكسي إن كات بخير.

«إنها بخير،» قالت ويتني. «إنها تفكر بأخيها سام فحسب. قلتُ لها إنه ذهب إلى الجنة حيث سيكون سعيداً.»

«نعم.» قرصت ماكسي ركبة إيلا. «لا تقلقي عليه. لقد ذهب إلى مكان لا يمكن أن يؤذيه أحد بعد الآن.»

«أشتاق إليه.»

«جميعنا مشتاقون إليه. لكن عندما نصل إلى القصر، سيصبح لدينا أصدقاء جدد، سنلتقي بأشخاص جدد. أعرف أنهم لن يكونوا بديلاً لسام أبداً، لكن ستكون بداية جديدة لنا.»

«هل ستكون هناك أميرات في القصر؟؟»

ضحكت ماكسي. «لا أظن ذلك يا عزيزتي. فقط أولاد عاديون مثلنا. لذا كفي عن البكاء، اتفقنا؟ فكري أفكاراً سعيدة فقط.»

«ماذا عنك؟» قالت ويتني وهي تحدّق ملياً بماكسي. «أتفكرين أفكاراً سعيدة؟»

«أحاول ذلك. أحاول أن أبقى مشغولة.»

«إذاً، هل أنت بخير؟»

«أنا بخير،» قالت ماكسي.

درست ويتني ملامح وجهها. «لو كنت تكذبين لعرفت.»

«أنا بأفضل حال تتوقعينها،» قالت ماكسي.

«هذا جيد،» قالت ويتني. «أظن أن هذا أفضل ما نستطيع قوله. هل ذلك الفتى، بلو، يتصرف جيداً معك؟»

أومأت ماكسي إيجاباً. «أظن ذلك. نحن نسوّي الأمور بيننا.»

«إنه طيب،» قالت ويتني. «لقد ساعدنا جميعاً في موريسون خلال الأوقات العصيبة، أوقات عصيبة بحق، صدقيني. لهذا هو المسؤول.»

«كنتُ أتساءل بهذا الشأن،» قالت ماكسي. «خلال الاجتماع في ويتروز، بدوتِ الشخص الذي ينصت إليه الجميع.»

«بلو يجولَ ويصول ويصرخ ويلوّح برمحه، لكن نحن الفتيات اللواتي نتولى زمام الأمور فعلياً. لكن الصغار يشعرون بأمان أكبر مع رجل... حسناً، فتى مسؤول. مقاتل. فقد خضنا معارك كثيرة في الفترة الماضية.»

«احتجتم إلى قائد في زمن الحرب،» قالت ماكسي.

«حرب بحق. وبالتحدث عن الحرب، يجدر بك أن تكوني عند الجناح مع فريقك. يمكنني الاهتمام بالأصغر سناً.»

«بالتأكيد.» ابتسمت ماكسي وانضمت مجدداً إلى وحدتها.

لويس، عند الجناح الآخر، كان يسلي فريقه بقصة طويلة عن مباراة في كرة القدم كان قد خاضها حيث كسر ثلاثة أولاد أرجلهم. كانوا جميعهم يضحكون لكن كانوا يقظين في الوقت نفسه.

«مع نهاية المباراة،» قال لويس، «كان الجميع يسيرون مذهولين يرتجفون، خائفين من أن يركضوا. لم يحاول أحد الدفاع، كانوا خائفين جداً حتى أن يركلوا الكرة. كنتُ حارس المرمى، لذا لم أهتم كثيراً، وفي النهاية كان عليهم إلغاء المباراة. أتتخيلون ذلك؟ ثلاثة لاعبين! كانت مجزرة يا رجل.»

هذا الجزء من لندن كان مختلفاً كل الاختلاف عن هولوواي، حيث بدأوا رحلتهم. كانت هناك شقق ومنازل فخمة، محال التحف القديمة، معارض فنية، معرض لسيارات بورش بقي في صالته عدد من السيارات.

«هل تظنين أن فئة أرقى من الزومبي ستكون هنا؟» سأل أولي.

كانت صوفي تسير إلى جانبه. كان أولي أكثر أولاد هولوواي الذين أظهروا لها لطفاً. لاحظت أنه كان كتوماً نوعاً ما. كان هادئاً وكثير التفكير، يشبه الدخلاء. ربما هذا ما رآه فيها. كانت دخيلة أيضاً.

«ليسوا وحوش زومبي تقنياً، صحيح؟» قالت صوفي.

«لا،» قال أولي. ليسوا الأموات الأحياء. حمداً لله أنهم لا يعودون إلى الحياة بعد موتهم.»

كان أولي يمشي تقريباً إلى الوراء، فقد كان غالباً ما يستدير ليتأكد مما يحصل خلفه. كانت صوفي ترى خلفية رأسه الأحمر أكثر من وجهه.

«أنت توترني،» قالت.

«من الجيد أن تصابي بالتوتر،» قال أولي. «لا نريد أن ينتهي بنا الأمر جثثاً هامدة بملابس جديدة.»

«رأيتَ الراشدين في سيلفريدجز،» قالت صوفي. «أظن أنك على حق. الراشدون هنا مختلفون.»

«حسناً، أراهن على أن معركة أخرى ستنشب قبل وصولنا إلى القصر.»

«أقبل الرهان،» قالت صوفي. «بكم تريد أن تراهن؟»

«مليون.»

«مليون؟» ليس معك مليون جنيه.»

«ماذا إن كنتُ أملكه؟» قال أولي. «ما فائدته؟ ليس هناك ما أنفقه عليه. لم يعد المال يعني شيئاً. لنفترض أننا فتحنا خزنة وأخذنا كل المال الذي فيها. بمَ سنستخدمه؟ إشعال النار؟»

«في الواقع، لا أظن أن العملات الورقية تحترق جيداً،» قالت صوفي. «لكنني أفهم وجهة نظرك. إذاً ما الذي سنتراهن عليه؟ ما رأيك بقوسي مقابل مقلاعك؟»

«هل أنت جادة؟»

«لا،» قالت صوفي. «قوسي هو الشيء الأهم في العالم بالنسبة لي حالياً.»

«ينطبق الأمر على مقلاعي.»

«إذاً، لا رهان.»

«لديّ علبة من البسكويت،» قال أولي. «ألديك أيّ طعام؟»

«علبة جزر.»

«حسناً. سأراهن بعلبة البسكويت مقابل علبتك من الجزر.»

«البسكويت ذاك؟» سألت صوفي. «أهو قديم؟»

«ما رأيك؟»

فكرت صوفي في الأمر. «حسناً، قالت أخيراً. أوافق على الرهان.»

تصافحا اتفاقاً.

35

ربح أولي الرهان أسرع مما توقع. بينما كان الأولاد يعبرون ساحة بيركلي، رأوا أخيليوس وميك الكبير، اللذين كانا يستكشفان المنطقة في الأمام، يركضان بأنفاس مقطوعة.

«هناك راشدون. أمامنا،» لهث أخيليوس.

«أيمكننا الالتفاف من حولهم؟» سألت ماكسي.

«إنهم يهاجمون عدداً من الأولاد،» قال ميك. «لا يبدو الوضع جيداً.»

«كم عددهم؟» سأل بلو.

«حوالى خمسة عشر أو عشرين.»

«أيمكننا التغلب عليهم؟»

«نعم،» قال أخيليوس. «يمكننا ذلك.»

«حسناً،» قالت ماكسي. «سأبقى هنا مع فريقي. سنحرّك الصغار وغير المقاتلين. بلو، اصطحب الباقين. عندما يصبح الطريق آمناً، أرسل أحداً لإعلامنا.»

«لكِ ذلك.»

خلال أقل من دقيقة، كانت ماكسي قد جمعت الصغار في وسط الساحة وكان بلو يغادر مسرعاً بصحبة جستر والمقاتلين. التفوا عند زاوية تؤدي إلى شارع قصير يصل إلى غرين بارك.

«إنهم أمامنا مباشرة،» صاح أخيليوس فأبطأ بلو من سيره.

«لويس، تولَّ الجناح الأيسر، صرخ. «أولي وصوفي، أبقيا مقاتليكما عند

جهة اليمين. أطلقوا ذخيرتكم في أسرع وقت ممكن. لينتظر الباقون منا بدء القتال ثم نندفع بأقصى سرعتنا.»

اتسع الشارع وصولاً إلى بيكاديلي. في الأمام، كان هناك طريق عام بأربعة خطوط، مع أشجار غرين بارك عند الجانب البعيد. يساراً، محطة قطار أنفاق غرين بارك وفندق ريتز.

معركة دامية كانت تنشب في وسط الطريق بين خمسة أولاد ومجموعة من الراشدين الضخام. كانوا مجموعة قاسية المنظر، مختلفة جداً عن تلك في سيلفريدجز. كانوا نصف عراة، أجسامهم مكتنزة صلبة. اثنا عشر والداً من دون قمصان وخمس والدات في سترات واقية. بدوا أنهم جميعاً كانوا مواظبين على ارتياد النوادي الرياضية قبل الكارثة، وبطريقة ما استطاعوا الحفاظ على لياقتهم تلك. لكن ليس صحتهم. كانوا «مرصّعين» بالدمامل والقروح والتقيّحات، والجروح النازة. كانوا يجزرون بالأولاد، ثلاثة منهم كانوا أرضاً، أحدهم ممزّق إلى نصفين. أربعة راشدين كانوا يمزقون آخر، أي كان ميتاً بكل تأكيد. الولدان الباقيان على قيد الحياة كانا فتى وفتاة. كان وجه الفتاة مغطى بالدماء، لكنها كانت تدعم الفتى الذي حمل سيفاً لكن بدا أنه لم يعد يستطيع الصمود أكثر. دائرة من الراشدين أحاطت بهما، مستعدة للقضاء عليهما كلياً.

لم يلاحظا وصول أولاد هولوواي.

«اتركوا أولئك الذين في الدائرة،» قال أولي وهو يضع كرته في مقلاعه. «قد نصيب الصغيرين. لنقض على الآخرين أولاً.»

بالكاد أنهى كلامه ولاحظ الراشدون أن لديهم صحبة، فاستداروا جميعهم في آن واحد، والشهوة للدماء تشع في وجوههم، وشنوا هجومهم عبر الطريق.

ظنوا أنهم سيخوضون قتالاً سهلاً، لكنهم كانوا على خطأ. انتهت المعركة قبل أن تبدأ حتى.

أطلق فريق أولي كرات قاتلة. سقط ستة راشدين في الحال. قاد بلو

وأخيليوس مجموعة الوسط متقدمين بينما تراجع فريق أولي إلى الخلف. هاجم الراشدون الباقون مجدداً، بكل بطش غير آبهين لمجازفتهم. وقفوا في مواجهة المقاتلين الذين اشتبكوا معهم بأسلحتهم. وقع معظم الراشدين على الإسفلت، وهرب ثلاثة منهم إلى الرصيف. قضى فريق لويس على اثنين. أولي وصوفي أجهزا على الآخر. غرز سهماً في ظهرها في نفس الوقت الذي أصابت كرة رأسه.

أجهز أخيليوس وميك الكبير على المصابين منهم.

خلال لحظات، كان الراشدون جميعهم جثثاً هامدة على الأرض.

صفر جستر. «أحسنتم.» قال. «أحسنتم بالفعل.»

استدار أولي نحو صوفي.

«أنت مدينة لي ببعض الجزر،» قال، لكن لم تكن هناك فرحة بالفوز بالرهان. مشهد الأولاد الموتى كان مزعج جداً.

استدعى بلو فريق لويس. «عودوا إلى مايف،» قال. «يبدو أننا نحتاج إليها. أخبر الجميع أن الطريق آمن، لكن لا تتقدموا حتى نتخلص من الجثث. لا أريد أن يرى الصغار هذا المشهد.»

بينما نظم أخيليوس وميك عملية إزالة جثث الراشدين، بسحبهم عبر الطريق ورميهم في قناة قريبة، تفحّص بلو الأولاد.

ثلاثة منهم كانوا موتى. مشوهين. تقريباً لا يمكن تمييزهم كبشر.

«من الأفضل أن نبعد هذه الجثث أيضاً،» قال بلو. «لا وقت لجنازات الآن.»

كانت الفتاة تجلس على الأرض، تحضن الفتى بين ذراعيها. كانت تحدق بعيداً، عيناها خاليتان من أيّ تعبير. تكلم بلو معها، لكنها لم تجب. كان وجهها مجروحاً، تدلت من جبهتها قطعة جلد.

«ستكونين بخير،» قال بلو. «أنت بأمان الآن.»

مجدداً، لم تجب.

رأى بلو ظل جستر إلى جانبه.

نظر إليه بلو معنفاً بهدوء.
«ظننتك قلت أن لا وجود للراشدين هنا.» قال.
هز جستر كتفيه بلا مبالاة. «هذا غير معتاد،» قال.
«إن كنت تكذب علينا...» قال بلو.
«هذا غير معتاد،» كرّر جستر وانحنى ليلتقط السيف الذي أوقعه الفتى.
وصلت مايف تحمل صندوق التمريض. ركعت وتفحصت الفتاة.
«أحتاج إلى تطهير الجرح وتغطيته بضمادة،» قالت وهي تفتح زجاجة.
«ماذا عن الفتى؟»

نظر بلو إلى الفتى. كان ممدداً من دون حراك. تفحص نبضه. هز رأسه. بلطف، رفع أصابع الفتاة التي كانت تقبض على سترة صديقها وحرك الجثة بعيداً.

اقتحم أولي وصوفي متجراً قريباً وأعدوا بسرعة نقالة مؤقتة من بعض القضبان وستارة. وضعا الفتاة المصابة بروية فوقها. عندما وصلت باقي المجموعة أخيراً إلى الطريق الرئيسي، لم تكن هناك أي اشارة على أن معركة نشبت هناك. كان آمناً وهادئاً، باستثناء مشهد الذباب الذي كان يحتشد على درجات محطة قطار الأنفاق.

قادت ماكسي الصغار عبر الطريق الرئيسي نحو غرين بارك. كانت أشعة الشمس تتراقص بين غصون الأشجار، العصافير تغرد، لكن هجوم ريجنت بارك لم يغادر بال الجميع، وكانوا ينظرون حولهم بتوتر، لذا فوجئوا عندما أدركوا أنهم وصلوا إلى طرف المتنزه ومن هناك بدت لهم بوابة كندا التي قبع خلفها الجسم الضخم لقصر باكينغهام.

36

اقتربوا من المبنى ببطء، غير مصدّقين أنهم وصلوا، أنهم قد يمضون حياتهم هنا. كان واحداً من أشهر مباني العالم لكن كانوا يرونه عن قرب للمرة الأولى. لا يصدقون أنه سيكون مكان عيشهم بدلاً من أن يكون مكاناً آخر من مقاصد لندن السياحية. أمامه، امتد دوار واسع جداً زهري اللون، وتربع في الوسط نصب فيكتوريا التذكاري من الرخام الأبيض، حيث تجلس الملكة فكتوريا على العرش وتنظر أسفل إلى الممر. تمثال النصر المجنّح الذهبي اللامع كان شامخاً فوقها.

فصلت القصر عن الطرقات العامة حواجز حديدية سوداء طويلة علاها ما يشبه الرماح الذهبية، وخلف الحواجز كانت ساحة المواكب حيث كان يحصل التبديل الشهير للحراس. خلفها، شمخ المبنى بحد ذاته. لم يكن قصراً من عالم الخيال. كان مبنى رمادياً صلباً. رغم أنه تألف من خمس طبقات، عرضه الهائل جعله يبدو منخفضاً وغير مميّز. بُنيت واجهته من ثلاثة مبان مستطيلة ضخمة متصل بعضها ببعض بجدار طويل مسطح الواجهة. اصطّفت نوافذ من الجانب إلى الجانب بدقة مملة. للمبنى الرئيسي مدخل في الوسط على شكل قنطرة، وفوقه مباشرة كانت الشرفة الشهيرة حيث اعتادت العائلة المالكة الظهور وإلقاء التحية على الجماهير في المناسبات الخاصة. أربعة أعمدة امتدت من الشرفة وصولاً إلى أعلى المبنى، لتدعم مستطيلاً كبيراً كأنه أتى من معبد يوناني.

على السطح، في الوسط، رُفع علم ممزق تدلى هزيلاً في السماء التي

خلت من أيّ ريح.

عند اقتراب الأولاد، رأوا أن هناك حراساً عند مربع الحراسة. لم يتوقعوا رؤية ذلك. افترضوا أنه سيكون هناك أولاد يراقبون المكان، ليس ليس في مربعات الحراسة التي كان يقف فيها في الماضي الحراس ذوو قبعات الفرو. كان الحراس مجرد أولاد، لكنهم ارتدوا الزيّ الرسمي. سترات حمراء مع بناطيل سوداء وقبعات بايسبول سوداء. حملوا بنادق ووقفوا بتصنع لجذب الأنظار. حال رؤيتهم مجموعة الأولاد تتقدم، دبت بهم الحياة. ركض عدد منهم عبر المدخل المقنطر، ومشى الآخرين نحو الحواجز ببنادق مرفوعة. صرخ أحدهم على الشرفة بشيء ما، وخلال ثوان كانت الوجوه تلتصق بالنوافذ. خرج المزيد من الأولاد من تحت القنطرة نحو ساحة المواكب. اتجهوا نحو الحواجز وعبروا من خلالها، تماماً كما كان يفعل السيّاح في الماضي.

راقبوا بصمت. بأيد قابضة على الحواجز الحديدية. بفضول، لكن بحذر. لا بد أن عددهم كان يقارب العشرين، أولاد من جميع الأعمار، نظيفون، مرتبو المظهر.

لوّح جستر ونادى.

«مرحباً، هذا أنا. لقد عاد الرجل الساحر. وانظروا من أحضرت معي!»

أضاءت وجوه عدد من الأولاد وابتسموا. ابتعدوا عن الحواجز وتبعوا المجموعة بينما مشت نحو إحدى البوابات المزخرفة.

«افتحوا!» نادى جستر، وركض فتى صغير عبر بوابة القنطرة يحمل سلسلة من المفاتيح. خشخش صوتها في القفل، وفُتحت البوابة. دخلت المجموعة يحرسها صفان من أولاد القصر الصامتين.

نظر لويس من حوله بالوجوه المحدقة. ذكرته بزيارة مدرسة أخرى لمباراة كرة قدم. الجميع كان يتفحص الجميع. بشك. من كان أولئك الأولاد الغرباء الجدد؟ من أيّ منهم يجب الاحتراس؟ من منهم يمكن تجاهله بسهولة؟ من قد يكون صديقاً؟ من كان عدواً محتملاً؟

الأهم من كل ذلك: هل كان بينهم أيّ فتيات جميلات؟

صدرت صرخة من الشرفة فنظر الجميع إلى أعلى. وقف هناك فتى بدا في سن الخامسة عشرة تقريباً، إلى جانبيه ستة أولاد في الزيّ الرسمي. كان طويلاً وشاحب اللون جداً، غطى النمش وجهه، علا رأسه شعر أسود مجعد نظيف. كان يرتدي بذلة وربطة عنق، كان ينظر إليهم من الأعلى وذراعاه مفتوحتان على وسعهما.

«الرجل الساحر،» صرخ. «أحسنت جستر. لم نظن أننا سنراك مجدداً.»

«لم تشك بقدراتي، هل فعلت دايفيد؟»

«أبداً! لكن أين الآخرون؟»

«لم ينجوا،» قال جستر، فصدرت صيحات وآهات من أولاد القصر المصطفين. «لكن هذه المجموعة،» تابع جستر في محاولة لتغيير الأجواء. «عليك رؤيتهم يقاتلون. إنهم مقاتلون ماهرون، دايفيد. سيُحدثون تغييراً بكل تأكيد.»

ابتسم دايفيد.

«حسناً، تفضلوا!»

عبروا القنطرة إلى باحة أكبر رباعية الزوايا. نظر الأولاد حولهم بخوف، لم يدركوا أبداً مدى كبر القصر. بدا كأنه يمتد إلى ما لا نهاية. قادهم جستر إلى البوابة عند جانب الباحة.

في الداخل، عبروا قاعة فخمة، منها إلى رواق ذي سقف زجاجي زُيّن باللوحات القديمة. من هناك، وصولاً إلى غرفة أوسع أطلت على الحدائق. كان هناك المزيد من الأولاد، يعتنون بالمزروعات. بدا الأمر تماماً كما في صور جستر، لكن على شكل أكبر. لم تكن تلك حديقة كأيّ متنزّه صغير.

تحدثت ماييف إلى جستر الذي تحدث بدوره إلى ولدين آخرين. أخذا بعيداً الحمالة التي تمددت فوقها الفتاة المصابة. تبعتهما ماييف.

خلال دقائق، ظهر دايفيد مع مرافقيه. استعرض القادمين الجدد مصافحاً أيديهم، معرفاً إياهم إلى الجميع. بدا واثقاً، ودوداً لكن متحفظ قليلاً وبدا

واضحاً أنه ارتاد مدرسة خاصة. بعد إلقائه التحية على الجميع، اصطحبهم إلى الخارج ليريهم الحدائق. كانوا يزرعون البطاطا والجزر، الملفوف، الفاصولياء، البصل، والكوسا. زرعوا كل ما قد يخطر في البال. اصطفت المزروعات بصفوف مرتبة. كان هناك أيضاً حظيرتان، واحدة للخنازير وأخرى للدجاج.

مروا بفتاة ذات شكل صارم تضع نظارة، كانت راكعة على ركبتيها تنظف بعض السبانخ من النباتات الضارة.

«هذه فراني،» قال دايفيد. «رئيسية البستانيين لدينا. إنها الشخص المناسب لسؤالها عن أي شيء يتعلق بالمزروعات.»

نهضت فراني. نظفت يديها بمريلتها وألقت التحية. بخجل. بحرج أمام دايفيد.

بينما تحدثت فراني إلى الآخرين، تركت ماكسي المجموعة وضحكت، وهي تدور وتدور فوق العشب في محاولة لاستيعاب كل ما يحصل. كان الصغار يركضون ويلعبون، وقد نسوا كل همومهم. قفز غودزيلا فرحاً على العشب بينما ركضت حوله مجموعة الصغار التي اعتنت به. يصرخون بسعادة.

أغلقت ماكسي عينيها للحظات وأخذت نفساً عميقاً. عندما فتحتهما، رأت دايفيد يعود نحو المنزل، متحدثاً إلى مجموعة من الأولاد.

صُمّمت المطابخ هنا لتقديم الوجبات لأعداد كبيرة من الأشخاص،» كان يشرح. «جعلنا بعض الأفران تعمل بواسطة الحطب. يمكننا طهو طعام ساخن. حتى إننا نخبز خبزنا الخاص. سنعد مأدبة ترحيب. لدينا الوفير من الطعام المخزن.»

ذُهلت ماكسي من مدى تنظيم كل شيء ومدى الارتياح البادي على الجميع. كان شعوراً مختلفاً تماماً عن شعور الاحتجاز في ويتروز المحاصر بالراشدين. فكرت كيف أن هؤلاء الأولاد كانوا يعيشون في سلام طوال كل ذلك الوقت بينما كان عليها قضاء وقتها في القتال للبقاء على قيد الحياة.

لو كان حياً لذُهل أران بكل هذا.

أران...

اجتاح ماكسي شعور مر حلو. تماماً كما غيمة صغيرة تحجب الشمس في يوم صيف حار. عرفت أن مشاهد رهيبة تحدث في أماكن أخرى في لندن. أولاد تائهون في عالم من الألم والبؤس. لم تكن متأكدة من أنها تستحق هذا القدر من السلام والسكينة. جلست على العشب وتركت العنان لنفسها. دموع تنهمر على خديها. نظرت حولها. لم تكن وحيدة. أولاد آخرون جلسوا هناك أيضاً، مذهولين بما حولهم. كل توتر اليومين السابقين وخوفهما خرجا الآن. كان الأولاد يحضن بعضهم بعضاً ويجلسون وحدهم غارقين في أفكارهم. مثلها، كثيرون كانوا يبكون.

رأت أيضاً عدداً من أولاد القصر يحتشدون جانباً يبكون. لقد فقدوا أصدقاء أيضاً، من مجموعة جستر المستكشفة.

خرجت مايف من المبنى. رأت ماكسي فجلست بالقرب منها، ولفت ذراعيها حولها.

«أهذا يحدث بالفعل؟» همست.

«آمل ذلك،» قالت ماكسي وضحكتا عبر دموعهما.

«كنتُ في الأعلى أتحدث إلى فتاة تُدعى روز،» قالت مايف. «لديهم مكان خاص للعلاج، مكان يشبه العيادة. كانت تخبرني عن الأدوية التي لديهم. ترتدي حتى ثوب ممرضة. كان ينبغي أن تري كيف تعاملون مع تلك الفتاة المسكينة التي أنقذناها. أوه، ماكسي. هذا مذهل. لم أظن أنني سأرى شيئاً كهذا مجدداً. للمرة الأولى منذ الكارثة، أشعر حقاً أننا قد نحظى بمستقبل.»

«أعرف،» قالت ماكسي. «وبعد كل ما مررنا به، أظن أننا نستطيع التأقلم مع أي ظرف. سننجو مايف.»

كان أولي يمشي وحيداً بالقرب من البحيرة التي سبح فيها بعض البط، وربما أسماك في أعماقها. لم يشعر بالسعادة أو بالحزن. كانت الأفكار تجتاح رأسه. كل هذا بدا مذهلاً من الخارج.

أعطته فراني خسة صغيرة يتذوقها. طعمها كان لذيذاً، لكن عندما انتزع واحدة من الأوراق، وجد بزاقة صغيرة عليها.

هناك دائماً بزاق على الخس.

كان هذا أروع من أن يكون حقيقياً.

لم يثق بجستر أبداً، و لم يثق بدايفيد.

لم يكن سيتخلى عن حذره بعد.

فالحذر هو ما أبقاه حياً طوال هذا الوقت.

لم يكن هناك سبب يجعله يتخلى عن حذره الآن.

37

وفى دايفيد بوعده. جلس الأولاد في المساء حول وجبة دسمة في غرفة تقديم الطعام. لم يستطع القادمون الجدد تجاهل مدى أناقة الغرفة، وكم كان تناول الطعام غريباً هنا، كما في فيلم خيالي. الغرفة، التي طُليت بالأحمر القاني، أضاءتها شموع لا تُعد ولا تُحصى في شمعدانات. عند أحد الجانبين، أبواب زجاجية طويلة أطلت على الحديقة، وعُلقت على الجدار المقابل لوحات لملوك بريطانيا. جلس الأولاد حول طاولة خشبية كبيرة تكدست بالطعام. ثلاث مرآيا عملاقة عند إحدى زوايا الغرفة عكست المشهد السيريالي.

توقع الأولاد في أي لحظة أن يأتي شخص ناضج غاضب ليخبرهم أنهم لا ينتمون إلى هذا المكان وأن عليهم مغادرته.

كان الطعام بسيطاً لكن لذيذ، والخيارات عديدة. سباغيتي بولونيز، خضار على البخار، بطاطا مشوية، وعجة بيض مع خبز مقرمش دافئ. وتوزعت بينها أباريق من مياه الشرب الباردة. كان الخبز عسير الهضم لكن كان أول خبز يتذوقه أولاد هولوواي منذ ما يزيد على سنة.

كان الجميع قد بدأوا يشعرون بالارتياح والتعرف بعضهم إلى بعض. علت الأحاديث حول المائدة الطويلة.

وجدت ماكسي نفسها تجلس بالقرب من فراني، البستانية. كانت نحيفة جداً، مرحة، ومتحدثة جيدة. تحدّث هذا وذاك.

«يمكنني القول بصدق إنني الآن أسعد من أي وقت مضى في حياتي. أقصد، أشتاق إلى عائلتي بالتأكيد، لكنني كنت في مدرسة داخلية لذا لم

أكن أراهم كثيراً على أي حال، لا، هذا ليس عدلاً بحقهم، أحببتهم كثيراً وأشتاق إليهم فعلاً، لكن دايفيد نظم كل شيء جيداً هنا، إنه عبقري حقيقي، نحن نعبده.»

«تعبدونه؟»

«إنه مجرد تشبيه، لا أقصد أن أقول إننا نرمي بأنفسنا على الأرض أمامه ونشكره، رغم أنني أظن أن بعض الصغار يودون فعل ذلك، لكنه ذكي فعلاً، الأمور تسير الآن أفضل بكثير من السابق.»

«ألست تمزحين فراني؟» قالت ماكسي. «العالم مُدمّر.»

«لا. أنا جادة تماماً،» قالت فراني. «فكري بالأمر ماكسين.»

«اسمي ماكسي.»

«آسفة، نعم.» ضحكت فراني. «كنتُ أعرف ماكسين في المدرسة، وعلق الاسم بذهني نوعاً ما، كانت تحب الخيول كثيراً. على الأرجح الفتاة المسكينة ميتة الآن، لكن ماذا كنتُ أقول؟ أوه نعم. العالم. فكري في الأمر. لم تعد المحيطات ملوّثة، الأسماك لم تعد تنقرض بل تتكاثر بأعداد هائلة، وخلال عدة سنوات ستكون هناك أسماك في البحر أكثر من أي وقت مضى منذ قرون، وليس سمكاً صغيراً فقط، بل حيتان، ودلافين وسلاحف وحيوانات برية في كل مكان. فكري بالغابات التي ستكثف، والأشجار التي لن تُقطع. العالم يعود إلى كما ينبغي أن يكون.

«لكنني لن أرى أياً من تلك الأسماك،» قالت ماكسي. «أو تلك الحيتان، أو أيّ أسود أو نمور. لن تطأ قدمي الغابة المطيرة الآن، صحيح؟ لن أتمكن حتى من مشاهدة أفلام وثائقيه قديمة عنها من دون كهرباء. ما الذي يحمله المستقبل؟ تشبه الحال العودة إلى العصور الوسطى. لا أحد يعرف ما يحدث بعد عتبة بابه. كل ما سأعرفه هو هذا الجزء الصغير من لندن.»

«وإن يكن؟» قالت فراني. «ما دمت سعيدة. وإذا كان العالم سعيداً، يمكننا أن نكون سعداء. سيشفي العالم نفسه بنفسه، والدمار الذي صنعه الإنسان سيُصلح، والأجيال القادمة ستهتم به أفضل.»

«أجيال قادمة؟»

«بالطبع.»

اقترب أولي. «كيف تعرفين أننا عندما نكبر لن نُصاب بالوباء؟»

رسمت فراني على وجهها تعبير لامبالاة. «سيفكر دايفيد بحل ما،» قالت.

«أتظنين ذلك؟»

«دعونا نبتعد عن نقاشات متشائمة كهذه،» قالت فراني. «ليس الليلة.»

«لا يهم.» نظر أولي حوله في الغرفة. لاحظ أن أولاد القصر لم يحضروا جميعهم إلى الطاولة. بعض الفتيان في لباسهم الرسمي وقفوا بالقرب من الأبواب، يحملون بنادقهم. لم يحب الجو العام. كما لو أن دايفيد وأصدقاءه يحاولون إعادة إحياء أيام الملكية. كان العدو في الخارج يجول في الشوارع، ليس هنا. ما الذي كانوا يحاولون إثباته بهذا المشهد؟

كان سيفهم الأمر لو كانوا يجرون دورية على الأرض، وهو متأكد من أنهم كانوا يجرونها نظراً لمستوى التنظيم الذي عمل عليه دايفيد. كان من المنطقي أن تكون هناك دوريات حراسة في الخارج، لكن هذا المشهد بدا مبالغة لا داعي لها بالنسبة له. لو أنهم يراقبون من أعلى السطح لكانوا أكثر فائدة. على أي حال، هم بكل تأكيد لا يحتاجون إلى هؤلاء الممثلين البائسين في لباسهم الرسمي ليقفوا ويراقبوهم يأكلون. تصرّفت الفتيات بأسلوب عسكري. لم يتكلموا. وقفن بثبات. كان الأمر مثيراً للريبة.

نهض أولي عن مائدة الطعام وخرج من الغرفة. كان الأولاد يدخلون ويخرجون طوال الوقت. بعضهم يستخدم المرحاض، بعضهم يحضر الطعام ويأخذ الأطباق الوسخة. لم يلاحظ أحد خروجه.

مشى عبر الرواق كما لو أنه متجه نحو المرحاض، تأكد من أن لا أحد يراقبه وتابع سيره.

كان وقت إلقاء النظرة الخاطفة على المكان.

كان بلو يجلس عند أحد طرفي المائدة إلى جانب جستر ودايفيد. كان

يستجوب دايفيد. لا يحتمل لمعرفة سير كل شيء في القصر. «إذاً، أنت المسؤول في القصر، دايف؟» سأل وهو يزج بالطعام في فمه.

«لا يحب اسم «دايف»،» قال جستر. «يفضل أن يُنادى دايفيد.»

«أعتذر دايفيد.» رشف بلو رشفة مياه. «دايفيد ماذا؟»

«في الواقع اسمي دايفيد كينغ.»

بصق بلو المياه في طبقه.

«لست جاداً يا رجل؟»

«بلى.»

«حسناً، تذكر. مجرد عيشك في قصر لا يجعلك ملكاً حقيقياً.»

«لا؟» ابتسم دايفيد.

«مستحيل يا رجل. كنا جميعاً نعيش في متجر، وذلك لم يجعلني صاحب متجر.»

«على أي حال لم أقل أبداً إنني ملك. إنه مجرد اسم.»

«حسناً، أنت بكل تأكيد تتصرف كالمسؤول الأعلى.»

«عندما وصلنا إلى هنا، كان المكان في حالة فوضى،» قال جستر. «وكنا نحن في حالة فوضى. إذا أردتم النجاة فعليكم أن تكونوا منظمين. زراعة الطعام وشرب المياه النظيفة والدفء والقدرة على الدفاع عن النفس، كل هذه الأمور تحتاج إلى تنظيم. وصل دايفيد بعدنا بوقت قصير. استطاع أن ينهي الفوضى. نظمنا.»

ألقى بلو نظرة خاطفة نحو جستر. «الأمور ستكون مختلفة تماماً من الآن وصاعداً يا رجل. مختلفة كلياً.»

«كيف ذلك؟» سأل دايفيد.

«كيف ذلك؟ حسناً. أولاً، أنت لن تنظمني يا صديقي. صحيح؟ لا أحد سينظمني. وهذا واقع لا محال. أنت لست ملكاً عليّ. لم أصوّت لك أبداً.»

«الملك لا يُصوّت له.»

«اسمع...»

«سنتحدث بهذا الشأن لاحقاً،» قال دايفيد مبتسماً. «ليس أمراً مهماً. نحن نعمل بطريقة نستطيع من خلالها التوافق.»

«لِمَ لا نستطيع التحدث الآن؟»

«لنستمتع بالطعام. أنتم تحتاجون إلى الاستقرار. في الصباح، سيبدو كل شيء أكثر بساطة.»

لحق أولي حاسة الشم لديه نحو المطبخ. متأكداً أنه لم يكن مُلاحق. معظم أرجاء القصر كانت مظلمة وفارغة، لكن ذلك كان أفضل للاختباء. سلّم بالقرب من غرفة الطعام كان يؤدي إلى طبقة الخدم. كانت تصدر ضجة عالية من المطبخ بينما اقترب أولي بحذر. في وسط الرواق، رأى حاويات بلاستيكية ضخمة ذات دواليب. نظر داخلها. علب فارغة من طعام الكلاب.

هذا يشرح أمر تقديم طبق السباغيتي بولونيز.

حسناً، لقد تناول أسوأ من هذا.

تابع سيره فوصل إلى مكان يستطيع منه رؤية ما يحدث في المطبخ من دون أن يروه. كانت الغرفة مكتظة. مجموعة من الأولاد كانت تعمل عند الفرن، آخرون يضعون الأطباق في حوض التنظيف، يحيط بهم عبق الدخان. احتشد أولاد آخرون حول طاولة خشبية. بدا أن هناك عشرين منهم. بعضهم في زيّهم الرسمي، وآخرون ما زالوا متسخين من العمل في الحديقة. لم يكونوا يأكلون طعاماً يشبه ذاك الذي يُقدم في الأعلى. كانوا يتناولون أطباقاً فيها ما يشبه الحساء الرقيق. بينما راقب أولي، وقف فتى وصرخ إلى الطباخين.

«هل من خبز مع هذا الطبق؟»

«أنت تمزح، أليس كذلك؟» صرخ أحد الطباخين. إنهم يتناولون مؤونة الشهر المقبل في الأعلى.»

«إنهم يلتهمون كل شيء في الأعلى. سنتضوّر جوعاً.»

«سنكون على ما يرام.»

رأى أولي ما يكفي. تراجع بحذر. إذاً كان دايفيد يكذب عليهم، مدّعياً أنهم يملكون طعاماً أكثر من الحقيقة. ما الذي كان ينويه؟ التباهي! ربما. من الآن، عليهم أن يراقبوا ما سيحدث بحذر. عرف أولي أنه يجدر به أن يكون غاضباً، لكنه في الواقع كان معجباً بما يحصل. كان دايفيد فتى ذكياً، مراوغاً. عرف القليل من علم النفس، وأيضاً في السياسة. لقد حقق إنجازاً هائلاً هنا بالفعل، واضح أنه ليس بالقدر الذي تحدث عنه، لكنه جدير بالملاحظة. على أولي أن يتوخى الحذر، بل جميعهم، لكن دايفيد كان شخصاً مناسباً للوقوف إلى جانبهم.

كانت إيلا تأكل عشاءها ببطء وهدوء. كان غودزيلا تحت الطاولة يمضغ قطعة جلد. في بعض الأوقات، كانت تشعر به يتحرك بالقرب من قدمها ليعلمها أنه على ما يرام. كانت تفكر بسام. لكان أحب المكان هنا. لأحب اللعب في الحديقة، والركض حول القصر، ومشاهدة كل الأشياء الجميلة. رأت رسماً لرجل يحمل درعاً. لأحب سام ذلك الرسم كثيراً. كان يحب الفرسان. كان يحمل دائماً درعاً خلال اللعب. حاولت أن أن تلعب معه دور الأميرة، لكنه لم يحب الأميرات. أراد فقط فرساناً آخرين يقاتلهم. لم تكن مقاتلة جيدة، ودائماً كان ينتهي الأمر بها مصابة أو باكية.

هل كان حقاً في الجنّة كما قالت ويتني؟ لم تعرف إيلا ما هي الجنة حقاً. لقد تخليتها دائماً كهذا المكان. قصر نظيف فيه صور وحديقة للعب ورجل لطيف يهتم بك. وطعام لذيذ.

لم تحب الخضار أبداً، لكن الآن طعمها لذيذ. لقد تغيرت أمور كثيرة. كثيرة جداً. ظنت دائماً أن سام سيكون حاضراً للاعتناء بها، رغم صغر سنه. كانت في سنّ قريبة من سنه.

والآن رحل.

ردّدت صلاة في نفسها. أرسلتها إلى الجنة.

سام، إن كنت تستطيع سماعي، آمل أن يكون لديك طعام لذيذ حيث

أنت. بعض الخضار كهذه. إنها مفيدة لك. لذا، تناولها كلها، كما أفعل أنا الآن. عندما أموت، سآتي لرؤيتك وسنكون معاً مجدداً. أما الآن، فسأفكر فيك آمناً وسعيداً، تلعب لعبة الفرسان مع صديق.

كل الحب من إيلا. أختك.

ملاحظة. لقد أمضيت وقتاً طويلاً مع غودزيلا بعد وصولنا إلى هنا. غودزيلا سعيد جداً.

ملاحظة أخرى. نسيت، أنت لم تلتق غودزيلا أبداً. إنه جرو وظريف جداً، كان لصبي اسمه جويل قتلته القردة. أظن أن القردة كانت مريضة. القردة عادة تكون لطيفة. على الأقل في القصص.

ملاحظة ثالثة. ربما ستلتقي بجويل حيث أنت. بلغه تحياتي. إنه لطيف.

ملاحظة رابعة. تصبح على خير سام.

مكتبة
t.me/t_pdf

38

«وضعا شيئاً في الحساء ليجعلاك تنام.»

«ماذا تقصدين؟» لَم يفعلان أمراً كهذا؟»

«لَم برأيك؟ أرادا أن يكبّلا يديك. إنهما يحتجزوننا سجناء لديهما.»

استيقظ سام في عربة مختلفة. لم يكن هناك أثاث جميل ولا ستائر ولا سجاد. افترشت الأرض حصيرة، وعند إحدى الزوايا دلو يُستخدم كمرحاض وكانت الأبواب موصدة. ما عدا ذلك، كانت مجرد عربة قطار أنفاق عادية.

كانت الأصفاد تقيّد رسغيه. تدلت منهما سلسلة عُلقت بالسقف وثُبتت على درابزين. كان لديه مساحة صغيرة يتحرك فيها.

كان هناك ثلاثة أولاد آخرين. اثنان يغطان في النوم. توأم. فتى وفتاة، من عمر سام تقريباً. بديا نظيفين ومكتنزين قليلاً، لكن ضعيفين، وبشرتهما شاحبة جداً. ثالثتهما كانت فتاة، أكبر من سام، سمينة لكنّ رجليها نحيفتان وضعيفتان. جلست على أحد المقاعد وبد أنها تعاني من مشكلة في التنفس. أهي مصابة بالربو؟

كان اسمها ريانون. قالت إنها هنا منذ ثلاثة أسابيع. هذا ما استطاعت استنتاجه.

«لَم يبقيان علينا سجناء؟» قال سام. «بدوَا لطيفين.»

«عندما أتيت إلى هنا في البداية،» قالت ريانون. «كان هناك فتى آخر اسمه مارك واتكينز. كان هنا منذ وقت طويل، بالكاد استطاع الوقوف.

كانت عضلاته هزيلة جداً. كانا يطعمانه خضاراً معلبة وطعام الكلاب من البسكويت. وذات صباح لم يكن هنا. لم أره مجدداً. لكنني رأيت رايتشل ونيك. رأيت وجهيهما ملطخين باللحم. رأيتهما يخرجان أكياس حاويات في وقت لاحق. إنهما يحتجزاننا مثل ماشية.

«لا يمكنهما ذلك،» اعترض سام. «ليسا كالراشدين الآخرين. ليسا موبوءين. ليسا مجنونين.»

«لكنهما ما زالا بحاجة للطعام.»

«يمكنهما البحث عنه...»

«يريدان لحماً،» قالت ريانون. «استجوبتهما بهذا الشأن، لكنهما ينكران الأمر. لكن لأيّ غرض آخر سنكون هنا؟ قد يفعل المرء أيّ شيء للبقاء على قيد الحياة. قرأت قصصاً. أناس علقوا في البحر أو وقعوا ضحية سقوط طائرة. انتهى بهم الأمر يلتهم بعضهم بعضاً. فقط للبقاء على قيد الحياة.»

«أنت مخطئة،» قال سام. «ليس لديك أيّ اثبات.»

أشارت ريانون إلى أصفاده. «أليس هذا إثباتاً كافياً بالنسبة لك؟»

«لكن نيك أنقذ حياتي،» قال سام الذي كادت دموعه تنهمر.

«الراعي يقتل الذئب عندما يهاجم ماشيته،» قالت ريانون. «لكنه لا يزال يأكل الماشية عندما يجوع.»

«لست ماشية،» قال سام. «أنا فتى.»

«بالنسبة لهما، أنت ماشية. أو خنزير،» قالت ريانون. «إنهما يطعماننا. يشربوننا الماء. يتأكدان أننا بصحة جيدة. لن يأكلانا إن كنا مرضى. لهذا ما زلتُ على قيد الحياة على ما أظن. ينتظران ليريا إن كان التهابي الصدري خطراً. كان هناك ولد آخر، فتاة، لم يتسنّ لي حتى معرفة اسمها. لم تكفّ عن التقيّؤ. كانت مريضة جداً حتى كي تتكلم. أخذاها، لم أعرف ما فعلا بها. ربما رمياها طعاماً للجرذان أو ربما لهرهما السمين البشع. أسمّيهما الرجل العنكبوت والمرأة العنكبوت. نحن بمثابة حشرات عالقة في شباكهما.

سيتركاننا هنا حتى نصبح جاهزين لأكلنا.»

يجب أن نهرب،» قال سام وهو يقفز ويشد بأصفاده.

شخرت ريانون من أنفها.

«فعلتُ ذلك من قبل،» قال سام. «هربتُ من عش للراشدين في ملعب أرسنال. أنا سام قاتل الراشد الضخم. قطعت كل تلك المسافة من هولوواي إلى هنا وحدي. لن أدع ذينك التافهين يؤذيانني. سنخرج جميعاً من هنا.»

«ألا تظن أنني حاولت؟» قالت ريانون وهي تهز برأسها. «فكرت وفكرت، بحثت وبحثت، لكن لا سبيل للخروج من هنا.»

جلس سام بيأس. أن ينجو من كل ما مرّ به ويؤول به الأمر إلى هنا أمر فظيع، فظيع بكل ما للكلمة من معنى.

لكنه كان سام قاتل الراشد الضخم.

ولم يكن ليستسلم من دون قتال.

39

«هذا سخيف.»

«لنسر مع التيار الآن، اتفقنا؟ نحن ضيوفهم الآن. إذا أردنا العيش هنا دائماً، فعلينا أن نتعلم العيش بوئام.»

كانت الساعة العاشرة صباحاً. أخذ الأولاد الأكبر سناً من هولوواي إلى مكان يُدعى غرفة الرسم الأخضر وكانوا يقفون حول سجادة فخمة، في الانتظار. كانت الغرفة مزخرفة بأسلوب متكلّف جداً، بأوراق الجدران الخضراء، وتدلت من وسط السقف المزخرف بما يفوق الحد ثريا ضخمة من الكريستال. بدا أن أولاد القصر كانوا يعدون من أجلهم شيئاً يشبه التشريفات. لكن كان الأمر يستغرق وقتاً طويلاً.

أمضى القادمون الجدد ليلتهم في أكياسهم للنوم في قاعة الحفلات التي بُنيت كمهجع ضخم. معظمهم نام جيداً، وهم يشعرون بالأمان للمرة الأولى منذ وقت طويل. استيقظوا وهم يشعرون بالحماسة، متلهفين لاستكشاف المزيد في منزلهم الجديد.

أعلن فريك تنظيمه مباراة كرة قدم. عثر على كأس فضية في خزانة الكؤوس وسمّاها «كأس أران التذكارية». كان معظم الأولاد خارجاً يلعبون، لكن ليس هؤلاء الستة. من ويتروز حضرت ماكسي، أولي، وأخيليوس. من موريسون، حضر بلو، ويتني ولويس. كانوا وحدهم ما عدا اثنين من الفتيان بلباسهم الرسمي وقفا حارسين على جانبي الباب المؤدي إلى الغرفة التالية.

كان بلو يشعر بالقلق بشأن الأمر بأكمله، مقتنعاً بأن دايفيد يحاول إبعاده. أراد التحدث إلى جستر عن الأمر منذ العشاء الليلة الماضية، لكن لم يتسنّ له ذلك. تُرك الأولاد الستة واقفين بلا علم أو خبر لمدة ساعة تقريباً. كانت الأمطار قد هطلت في الليلة السابقة لكن النهار كان صافياً، ومجرد فكرة الجلوس في الخارج تحت أشعة الشمس كانت مغرية جداً.

شعر أولاد هولوواي بالملل والقلق ولم تعجبهم فكرة أن يكونوا أقل أهمية هنا، لكن أولي كان يحثهم على توخي الحذر والحفاظ على هدوئهم رغم أنه عرف جيداً أن دايفيد لم يكن يخبرهم الحقيقة كاملة. أراد أولي أن يلعب دايفيد كل أوراقه قبل أن يلعب هو ما لديه. في الماضي، كان يعمل دائماً خلف الكواليس. اقتراح هنا، كلمة مطمئنة هناك، كل ذلك أفضل من الدخول في نقاشات وشجارات القتال. ميّز أن جستر يشبهه في هذا الشأن. وربما هذا هو السبب الذي جعله لا يثق به.

«إن لم يحدث شيء خلال خمس الدقائق، فسأغادر، قال بلو. «إنهم يسخرون منا.»

«بلو على حق،» أعقب لويس. «لا نريدهم أن يظنوا أننا سنفعل كل ما يقولونه. لا نريد أن نبدو مجموعة من الجبناء.»

«دعونا لا نتعجل،» قال أولي. «ألا تريدون أن تعرفوا ما القصة؟»

«سأخبرك ما قصة كل هذا،» قال بلو. «الاحترام.»

«بلو على حق،» قالت ماكسي. «لقد اكتفيت من الانتظار. هيا بنا.»

«تذكروا أننا ضيوف هنا، يمكنهم طردنا جميعاً إن أرادوا.»

« لِمَ يتكبّدون عناء إرسال جستر للعثور على أولاد آخرين إن أرادوا طردنا فحسب؟» قال أخيليوس. «يريدون شيئاً منا. هذا مؤكد.»

هناك عدد من الفتيات الجميلات اللواتي يردن جسدي،» قال لويس نعساً.

«من تراها تريد جسدك النحيل؟» قالت ويتني. «يوجد هنا عدد من الشبان الوسيمين بحق. شبان لا تفوح منهم رائحة عفنة.»

تمكن بعض الأولاد من الاستحمام الليلة الماضية لكن لم تكن هناك مياه ساخنة كافية للجميع، لذا كانوا يستخدمون الحمام تبعاً بالدور. أعدوا جدولاً زمنياً والفتيات كن أول من أخذن الدور.

«هيا،» قال أخيليوس. «لا شيء يحدث هنا. لنغادر.»

«هيا بنا.»

بينما كانوا يستديرون للمغادرة، فُتح باب الغرفة القريبة وظهر منه فتى.

«أعتذر جداً يا شباب،» قال. «لم نقصد جعلكم تنتظرون كل هذا الوقت. أنا بود، على فكرة.»

كان بود فتى ضخماً ووسيماً له شعر كثيف مخطط بالخصلات الذهبية. ارتدى الجينز مع قميص روكبي. بدا أنه من النوع الذي كان يذهب للتزلج ولعب الروكبي ولقاء الأصدقاء في كورنوول كل عام للاحتفال وركوب الأمواج.

همهم الآخرون بكلمات الترحيب بطريقة تجعله يلاحظ مدى امتعاضهم.

«أردنا أن يكون كل شيء جاهزاً من أجلكم،» قال بود. «استغرقنا وقتاً أكثر مما توقعنا. إنه خطأنا. نعتذر يا رفاق. حسناً، لم أحظ بفرصة الترحيب بكم ليلة البارحة فقد كنتُ في دورية مع الفتيان. فأنا المسؤول نوعاً ما عن الأمن هنا. لكنني عرفت من صديقي جستر أنكم تستطيعون أن تروني حركة قتالية أو اثنتين. أنا أتطلع قدماً للعمل معكم حقاً.»

«ما الذي تعدّونه في الداخل؟» سألت ويتني. «أتخبزون كعكة أو شيئاً من هذا القبيل؟»

«سترين. أردنا أن تكون مفاجأة.»

«لا أحب المفاجآت،» قال بلو.

«الأمر يستحق المفاجأة،» قال بود. «ثق بي.»

«لا أعرفك،» قال بلو. «لذا لا أثق بك.»

«هذا عدل،» قال بود. «فلسفلة جيدة، تعجبني. حسناً، اسمعوني، أعرف أنكم جميعاً مررتم بأوقات عصيبة. لكن تذكروا، نحن الطيبون، اتفقنا؟»

فُتح الباب مجدداً. هذه المرة كان جستر.

«هل تريدون المجيء؟» قال وهو يتنحّى جانباً لإفساح الطريق.

«لِمَ لا؟» قال أخيليوس.

لم يعرف أحد منهم ما عليه توقعه، وبكل تأكيد لم يكن ما رأوه.

كانت الغرفة التالية طويلة وحمراء، زُيّنت بثريات ضخمة عدة، لكن الضوء الوحيد كان ينسل عبر نوافذ في جوانب السقف. في طرف الغرفة، رأوا صفاً من كراسي العرش على منصة أمام ستارة حمراء طويلة عُلقت في قبة ذهبية.

جلس على العرش سبعة أشخاص في مراحل مختلفة من العمر. بدا الأصغر في سن السادسة عشرة والأكبر في عمر الستين على الأقل. كانوا يرتدون ملابس رسمية من أرْوِبة وأحزمة، تيجان وميداليات. لمعت الماسات عند السيدات بينما حمل الرجال بوهن سيوفاً رسمية. بدا أنهم لا يفقهون ما الذي يحصل حولهم، كانوا مرضى بالفعل. تهدلت ملابسهم عليهم. كانت رقابهم رفيعة مثل النسور، خدودهم غارقة في وجوههم، وجلدهم متعرقاً شوّهته الدمامل والقروح. لكنهم كانوا هادئين جداً. يجلسون فحسب، يحدّقون في الفراغ الواسع بعيون تائهة.

وقف أربعة أولاد بالزيّ الرسمي جانب العروش، يحملون البنادق. كان دايفيد يقف عند أحد الجانبين برفقة فراني وفتاة أخرى في زيّ ممرضة. خمّنت ماكسي أن تكون الفتاة روز التي أخبرتها مايف عنها. ممرضتان أخريان وقفتا خلفها. مشى جستر وبود للانضمام إليهم.

«أهلاً بكم في غرفة العرش،» قال دايفيد.

كانت ماكسي تحدّق بالراشدين. «من هم؟» سألتي بصوت بالكاد أعلى من الهمس.

«إنهم كل من بقي من العائلة الملكية،» قال جستر. «عثرنا عليهم هنا عند وصولنا. مختبئين. ليسوا من مشاهير العائلة. ليس من بينهم الملكة، لكنهم من العائلة الملكية.»

«إنهم في حالة فوضى،» قال لويس.

«حسناً، إنهم مرضى، لكن حالتهم غير متدهورة،» قال دايفيد. «من يعرف، ربما السبب هو الدم الملكي، دم النبلاء. ربما حماهم من الأسوأ.»

رفعت سيدة عجوز يدها بقفازها الأبيض المتسخ، بدت أنها تحاول أن تقول شيئاً. لكنها استسلمت.

«في البداية، لم تكن حالهم سيئة،» قال جستر. «استطاعوا الكلام والتحرك. يجب أن أعترف بأن حالتهم ساءت. الآن، يجلسون هناك فحسب، يتعفنون ببطء. مات اثنان منهم. أظن أن هذه المجموعة لن تعيش وقتاً أطول.»

«لهذا علينا أن نتحرك بسرعة،» قال دايفِيد. «علينا أن نثبت أنفسنا في لندن قبل فوات الأوان. يمكنني القول إنني سأعيد العائلة الملكية إلى العرش، حينها سيكون كل شيء أسهل.»

«واو، مهلاً،» قالت ماكسي. «ما الذي تتحدث عنه؟»

«أنا أتحدث عن تنظيم لندن. إعادة النظام إلى حاله. يجب أن نتولى القيادة، سينظر الناس إلينا بعين الاحترام، سيتبعوننا إن كان لدينا شيء من النفوذ.»

«أيّ ناس؟» قالت ماكسي. «ما زلت لا أفهم ما الذي تتحدث عنه.»

«أناس عاديون. يحتاجون إلى أشياء كهذه. أشياء من الماضي، لطمأنتهم.

«هذه المجموعة لن تطمئن أحداً،» قالت ويتني.

«هذه العائلة الملكية،» قال دايفيد مشدداً. «الحكام الشرعيون لإنكلترا.»

«مستحيل يا رجل،» قال بلو. «هذه مزحة.»

«لا داعي ليعرف الأولاد في الخارج عن مدى سوء حالتهم.»

«إنهم راشدون،» قال لويس. «الجميع يعرفون سوء حال الراشدين.»

«سنكذب. سنقول إنهم مميزون. سنُطل بهم من الشرفة بين الحين والآخر. سيبدون بخير من على مسافة جيدة.»

سقط رجل على الأرض وبدأ يزحف من المنصة نحو الأولاد، واللعاب

يسيل من فمه المفتوح. رفعه اثنان من الحراس وأعاداه إلى كرسي العرش.

«لا داعي للقلق، إنهم غير مؤذين على الاطلاق،» قال دايفيد. «لكن يمكن أن يكونوا سلاحاً قوياً في الأيدي المناسبة. أولاد آخرون هناك سوف...»

«انتظر لحظة،» قال أخيليوس. «لا تكفّ عن التحدث عن أولاد آخرين. أيّ أولاد آخرين؟ ظننت أن الحال تبقى كما هي عليه.»

«هناك أولاد في كل مكان،» قال دايفيد. «أولاد مثلكم. علينا أن نعثر عليهم فحسب. هذا ما كان جستر يحاول فعله. خطتنا هي تنظيم لندن بأكملها.»

«بكلمة تنظيم، تعني تحكم؟» قال بلو.

«سمّها مثلما تريد،» قال دايفيد. «لكن إذا كانت أمامنا أيّ فرصة لتشكيل عالم جديد آمن وزاهر نعيش فيه، فعلينا جميعاً التعاون. وبالتالي نحتاج إلى حكام صوريين.»

«هذه الزمرة من الزومبي؟» قال بلو باحتقار وهو يشير إلى الراشدين على المنصة. «سيبدون رائعين على الطوابع.»

«إنهم رموز،» قال دايفيد. «هذا كل ما في الأمر. في السابق، عندما كانت لدينا ملكة على العرش، لم تمتلك أيّ سلطة حقيقية.»

«على الأقل كانت تستطيع التحرك أو التكلم،» قال بلو.

«كما كنت أقول،» تابع دايفيد. «لا داعي ليعرف أحد عن سوء حالتهم.»

«إن كانوا هم العائلة الملكية، فماذا يجعلك ذلك؟» سألت ويتني. «رئيس الوزراء؟»

«أنا بمثابة حاجب الملك،» قال دايفيد.

«اللورد ماذا؟»

«الشخص الذي ينفذ إرادة الملك. عندما يكون الملك ضعيفاً، يملك الحاجب السلطة. خلال الأزمات، تحتاج إلى شخص في القيادة. لكن يمكن للعائلة الملكية أن توحّد الجميع وتُعيد صلتنا بالماضي.»

«لا نريد أيّ صلة بالماضي،» قالت ويتني. «لا نريد عائلة ملكية جديدة.

أتظن أن هذا سيُسهل الأحوال أكثر؟ هذه المجموعة الغبية على العرش؟ أنت مجنون.»

تقدم دايفيد غاضباً نحو ويتني وصرخ في وجهها.

«لست مجنوناً! أنا الشخص الوحيد القادر على لمّ شمل البلاد. أنا الأمل الوحيد لمستقبل آمن.»

أمسكت ويتني بدايفيد من حلقه وقربت وجهها منه.

«إياك أن تصرخ بي مجدداً أيها الفتى،» قالت بصوت بارد وهادئ. احمرّ وجه دايفيد.

صوّب الحرّاس الأربعة أسلحتهم نحو ويتني. نظرت إليهم نظرة ازدراء.

«هل تعرفون حتى كيف تستخدمون تلك الأشياء؟»

«أتودين المجازفة لتعرفي؟» قال دايفيد بصوت ثابت ومرتفع.

تركته ويتني.

«ماذا ستفعلِ بنا إن لم نرد أن نشاركك في خطتك؟» قالت. «تعدمنا؟»

«مهلاً، مهلاً، مهلاً،» قال جستر وهو يرفع يديه. «ليهدأ الجميع. لم تكن البداية جيدة. لم نتوقع أن تغضبوا بشأن كل هذا.»

«إذاً لَم لم تخبرنا عن الأمر سابقاً؟» قال بلو.

«لم يكن الوقت مناسباً. أردنا أن نريكم القصر أولاً. كل ما حققناه.»

«هذا غريب حقاً،» همهمت ماكسي.

«اسمعوا،» قال دايفيد وهو يفرك حلقه. «كل هذه النقاشات لا تؤدي بنا إلى أيّ نتيجة.»

«لا أحتاج إلى أحد يملي عليّ تصرفاتي،» قال بلو.

«حسناً،» قال دايفيد. «لن يملي أحد عليك تصرفاتك إن أصغيت فحسب.»

«كلي آذان صاغية.»

«جيد. حسناً. إليكم سير الأمور. أنا لا أملي الأوامر على أحد. أنا أنظم الأشياء. لكل شخص مهمّته. فراني مسؤولة عن الزراعة، على سبيل المثال،

روز مسؤولة عن المرافق الطبية، وهكذا دواليك. ما أتقدم به إليك، بلو، هو أن تكون القائد العام، جنرالنا. ستدرّب العساكر وتقودهم. سيحتفظ الجميع بالمهام الموكلة إليهم حالياً. ستبقى المسؤول عن مجموعتك، لن تتغير الظروف كثيراً.»

ابتسم بلو.

«الجنرال بلو؟» قال. «يعجبني وقع هذا.»

«سؤال واحد؟» قال أولي، الذي لم يتفوّه حتى الآن بكلمة واحدة.

«ماذا؟»

«هذا الجيش؟» لمَ وجوده؟»

«لمقاتلة الراشدين، بالطبع،» قال بلو.

«أخبرنا جستر أن الراشدين أبعدوا عن هذه المنطقة.»

«هذا صحيح،» قال دايفيد. «لكن هناك مشاكل أخرى.»

«مثل ماذا؟» قال أولي.

«مثل سان جايمس بارك،» قال دايفيد.

«أين يقع؟» سأل أخيليوس.

«على بعد شارع واحد،» قالت ماكسي. «يمتد وصولاً إلى ساحة ترافلغار.»

«ماذا عنه إذاً؟»

«نريد أن نوسّع نشاطنا الزراعي،» قال جستر، «ونحوّل كل سان جايمس إلى حقول. لكن هناك مجموعة من العشوائيين الذين نصبوا مخيّماً هناك ولا يريدون التعاون معنا. لذا علينا أن نضع حداً لهم.»

«إنهم أولاد، صحيح؟» استوضحت ماكسي. «مثلنا؟»

«أولاد، نعم، لكن ليسوا مثلنا. إنهم غير منظمين. إنهم يتنقلون على غير هدى وهم خطر حقيقي. إذا استطعنا وضع حد لهم...»

«وضع حد لهم؟» قاطعت ماكسي. «ما معنى هذا؟ أتريدنا أن نهاجمهم؟»

«لا أظن أن الأمور ستتطوّر إلى هذا الحد. أظن أن إبراز بعض القوة سيكون كافياً.»

«لا نريد أن نقاتل أولاداً آخرين،» قالت ويتني.

«قد نضطر إلى ذلك،» قال دايفيد. «إذا أردنا أن نسيطر على كل لندن.»

«مستحيل،» قالت ويتني.

«يجب أن تروهم،» قالت فراني بغضب. «زرعنا نباتات رائعة هناك، لكنهم اقتلعوها من أرضها ثم هاجمونا عندما ذهبنا لحل المشكلة. نحن عالقون الآن في حدائق القصر. وبوجود كل تلك الأفواه التي يجب إطعامها...»

«أتيتم بنا إلى هنا كمرتزقة، صحيح؟» قالت ماكسي، وهي تنظر إلى دايفيد نظرة غاضبة.

«أخبرني جستر أنكم مقاتلون أشداء.»

«نعم، ما المشكلة في ذلك؟» قال أخيليوس. «يجب أن نقاتل كي نبقى على قيد الحياة. إذا كان أولئك الأولاد يسبّبون مشاكل، فلنضع لهم حداً. هذا ما نفعله. أنا معك يا دايفيد.»

«ماذا عن الباقين منكم؟» سأل دايفيد.

«أحتاج إلى التفكير،» قال بلو. «ربما سأقابل أولئك الأولاد بنفسي. فما استجد يصعب تقبله يا رجل.»

«نحن لن نقاتل أولاداً آخرين،» قالت ويتني.

«أنا من سيقرر،» غضب بلو. قمع جستر ابتسامة.

استدارت ماكسي نحو أولي.

«ما رأيك؟»

«يجب أن نتكلم.»

40

مر سام بوقت عصيب، يغفو حيناً ويصحو حيناً آخر، تقلقه أحلام بين النوم واليقظة. يداه المكبلتان زادتا الحال سوءاً. رغم أنه تمكن من التمدد على المقاعد، شدّت الأصفاد على يديه وحفت بجلده.

استيقظ بفعل صوت من الخارج. شيء يحف على طول سطح العربة. تحرك، وتوقف ثم انتظر، ثم تحرك مجدداً. حركات حذرة خفيفة كتلك التي قد يصدرها حيوان صغير. سمع صوت صرير خفيف. حدّق سام بعينين واسعتين. كانتا تخدعانه في ضوء خفيف ولم يكفّ عن التفكير أنه قد يرى شيئاً ينزل من السقف. حيوان أسود يخرج متلوياً من الظلال. ثم يرف بعينيه ليجد أنه قد اختفى.

شعر بالدوار والارتباك. بالبرد. بالضعف.

بعد لحظات، سمع صوتاً آخر. كأن حيواناً صغيراً يئن. لكنه أدرك أنه كان صوت أحد التوأمين يبكي.

كان الفتى. تحدث سام إليه محاولاً طمأنته. كان اسمه جايسون. كان ضعيفاً جداً وأراد أبويه. لم يعرف سام كيف يواسيه. تمنى لو أن هناك أحداً يواسيه هو، لكن على الأقل أبعد هذا الوضع ذهنه عن مشكلته.

دوّى فجأة زئير وهدير فكاد قلب سام أن يتوقف عن النبض حين انفتح الباب. دخل نيك يحمل حوضاً بلاستيكياً. في عالم محطة قطار الأنفاق الدائم الظلمة، لم تكن لدى سام أي فكرة عن الوقت.

نظر نيك حوله إلى الأطفال الأربعة.

«من يحتاج إلى المرحاض؟» سأل. أجاب جايسون بصوت خافت أنه يحتاج إليه. فك نيك طرف سلسلته من الدرابزين فوقه وقاده نحو الدلو في طرف الغرفة. بالكاد استطاع جايسون السير، كانت رجلاه هزيلتين وضعيفتين. اضطر نيك تقريباً إلى حمله.

وقف نيك فوق جايسون وهو يتغوط. سام لم يظن نفسه أبداً قادراً على التغوّط وأحدهم يراقبه، وكان مصمّماً على السيطرة على نفسه بقدر ما يستطيع.

بعد ذلك، سكب نيك بعض الطعام من قدر واسعة إلى أربع زبديات بلاستيكية. كان الطعام عصيدة مصنوعة مع الملح والماء. وضع سام طبقه جانباً ليتناوله لاحقاً.

«من الأفضل أن تأكل الآن يا فتى،» أمر نيك. «أريد أخذ الزبديات معي.»

نفّذ سام على مضض ما أُمر به، غرف ملاعق العصيدة مباشرة إلى فمه الجاف. لاحقاً، مرر نيك قنينة من المياه ونظف مجلس قش متسخاً كان أحد التوأمين قد تغوّط عليه سابقاً.

تحلى سام بالشجاعة ليتكلم.

«لِمَ تسجناننا؟» سأل.

«سجناء؟ نحن لا نسجنكم أيها الصغير،» قال نيك بنبرة تتصنّع اللطف.

«إذاً لِمَ نحن مكبلون بالسلاسل هنا؟»

«لحمايتكم. لا نريدكم أن تتجولوا في الخارج وتضيعوا، أو يقبض عليكم بعض الراشدين.»

«أنت تكذب.»

«اسمع،» قال نيك وهو يرفع شعر سام. «نريدكم أن تصبحوا بصحة جيدة وأن تأكلوا جيداً، ثم سنرى ما يمكننا أن نفعل معكم. لا تقلق على نفسك. تحتاج إلى الراحة.»

رتّب العربة، وتأكد من متانة كل السلاسل وخرج. أقفل الباب خلفه وأوصده جيداً بسرعة. كانت هناك شموع لا تزال تحترق عند الرصيف، لكن داخل العربة كان مظلماً. جلس سام هناك بيأس، محاولاً إبعاد الأفكار السوداء عن رأسه.

مجدداً، سمع ذلك الصوت على سطح العربة. يحف، يخدش، يزحف.

«ما تلك الضجة؟» سأل.

«جرذان، على الأرجح،» قالت ريانون. «أو الهر يبحث عن جرذان.»

«هل تدخل الجرذان إلى هنا؟»

«لا. لا شيء يدخل إلى هنا ما عدا نيك ورايتشل.»

بدأ صوت الحفيف ينتقل إلى جانب السقف.

«لا أظن أنها جرذان،» قال سام.

«انس الأمر،» قالت ريانون. «نسمع أصواتاً مختلفة في هذا المكان.»

حدّق سام بالنافذة الجانبية لوقت طويل. كانت عيناه تسبحان وتريان نقاطاً ضبابية صنعت من نفسها أشكالاً عشوائية ثم تكسّرت.

رمش ورأى وجهاً في النافذة يحدق به.

كان يطفو هناك، بدا من دون رقبة أو جسم. لم يكن سام متأكداً حتى أنه كان بشراً. كان متسخاً. مغطىً بالقذارات. جمجمة صلعاء مستدقة ولحية مبعثّرة نبتت من ذقنه. في وسط وجهه كانت عينان واسعتان، بياضهما واسع حول البؤبؤين.

أدرك سام مذعوراً أن المخلوق لم يكن له فم أو أنف. حاول أن يصرخ، لكن حلقه تجمّد، كأنما كان في حلم.

نعم. حلم. لا بد أن يكون حلماً. شيء كهذا لا يُعقل أن يكون حقيقياً.

كان لا يزال هناك.

حدّق سام به لنصف ثانية، ثم غمز واختفى.

«هل رأيتِ ذلك؟» همس سام.

«ماذا؟»

فكر سام لبرهة. صورة الوجه اللابشري كانت مطبوعة في ذاكرته. لم يستطع طردها من دماغه. تلك البشرة الناعمة في المكان الذي يفترض أن يكون فماً أزعجته بطريقة لم يستطع فهمها.

«لا شيء،» قال.

41

كان بن وبيرني يجلسان على سريري تخييم في وسط قاعة الحفلات التي استُخدمت مهجعاً، يراقبان شجار الأولاد الآخرين. هزت بيرني رأسها وأمسكت بيد بن. لَمِ ينفعل المقاتلون سريعاً دائماً لأي شيء؟ كانت سعيدة أن بن ليس مقاتلاً. كان ذكياً ورقيقاً ومضحكاً. لم تحب أبداً الشبان المفتولي العضلات. تعرّض كلاهما للازعاج في البداية، لكن عندما أصبح واضحاً أنهما يملكان مواهب مفيدة، تقبلهما الجميع. لم تكن بيرني متأكدة من موضوع الشجار، وحتى إن كان لديها رأي كانت تشك أنهم قد يستمعون إليها الآن. كان نقاش حرب.»

إلى جانب كان بلو، أخيليوس، ميك الكبير ومعظم أفضل المقاتلين. في الجانب الآخر كانت ويتني، فريك وماكسي، مع صوفي ورماتها. في الوسط كان أولي ولويس يحاولان الحفاظ على الهدوء. الصغار والأولاد الآخرون غير المقاتلين، مثل بن وبيرني كانوا يراقبون بصمت. لم يحضر أيّ من أولاد القصر.

في أوقات كهذه، افتقدت بيرني أران كثيراً. كان سيحل كل هذه الفوضى منذ وقت طويل. كان الشجار يدور بينهم في دوائر.

«اسمعوا، ليس هناك ما يُناقش،» قال فريك، ليس للمرة الأولى. «الواقع هو، لا يجدر بنا مقاتلة أولاد آخرين. نهاية المسألة.»

«بالضبط،» قالت ماكسي.

«اعترف فريكي - ديكي،» قال أخيليوس. «أنت تشعر بالكبت.»

شتم فريك أخيليوس.

«ألا يمكنكما أيها الحبيبان إبقاء شجاراتكما الشخصية بعيداً عن هذا النقاش؟» قالت ويتني. «المسألة جادة.»

«هذا ممل،» قال أخيليوس. «أنتم مجرد مجموعة من المخنثين.

«بالنسبة لي،» قال ميك الكبير،» أولئك الأولاد الآخرون، العشوائيون، لا يعنون شيئاً لي. مجموعتنا هنا هي كل ما يهم.»

«وماذا عن أولاد القصر؟» قالت ماكسي.

«ماذا عنهم؟» قال ميك. «أحب المكان هنا.»

انتفض فريك من مكانه ليعطي رأياً. كان عاطفياً جداً، لذا أملت بيرني أن لا يجعل من نفسه أضحوكة. «قال أران شيئاً في الليلة التي عثرنا فيها على جستر، قال إن كل فتى في لندن هو واحد منا.»

هذا صحيح،» قال بن.

«لا أحد طلب رأيك أيها الايمو،» قال أخيليوس.

كان قد حان دور صوفي لتتكلم. فقد التزمت الصمت حتى الآن، لكن بيرني كانت متأكدة من أنها كانت تنصت بانتباه وتنتظر اللحظة المناسبة.

«أيمكنني قول شيء؟»

تنهّدت ماكسي. «ليس لهذا الأمر علاقة بك.»

«إنها واحدة منا الآن،» قال أولي.

«حقاً؟»

«هلا تسمحين لي رجاءً بالتحدث ماكسي،» قالت صوفي بصوت يكنّ الاحترام. بدت ماكسي محرجة وحدقت بالأرض.

«تابعي،» قال أولي.

«إلى حد علمي، أنا الوحيدة هنا التي تعرف حقيقة شعور قتل ولد آخر. أتمنى لو لم أختبر ذلك الشعور. لكنني فعلت. شعور فظيع. لا تمر دقيقة في أيّ يوم من دون الندم عليه. رغم أنني لم أقصد ذلك. لن أضع نفسي في موقف يجعلني أرتكب ذلك الفعل مجددا. مهما كان قراركم، فلن أذهب إلى هناك.»

«الفتاة على حق،» قالت ويتني. «لن نقتل أولاداً آخرين.»
«لا أصدق أنكم تناقشون الأمر حقاً،» قالت ماييف.
«حسناً، حسناً، ليهدأ الجميع،» قال أولي. «دعونا لا نبالغ في نقاشنا. لا أحد يقترح أن نذهب إلى المخيم العشوائي ونقتلهم جميعاً. يريد دايفيد أن يُريهم بعض القوة.»
«سنذهب ونتلاعب بأعصابهم قليلاً،» قال ميك.
«لكن لماذا؟» قالت ماكسي. «ما الذي فعلوه لنا؟»
«أتعرفون شيئاً؟» قال لويس، فوجئت بيرني التي ظنت أنه غفا. فقد كان يتكئ على الحائط وعيناه مغمضتان وشعره مشعث أكثر من أي وقت مضى. «أظن، من ناحية ما، قد يكون دايفيد على حق. إذا أردنا أن نعيش حياة طبيعية كما في السابق، فعلينا أن نجعل المكان برمّته آمناً. ليس فقط هذه المنطقة الصغيرة.»
«حسناً، نجعل من لندن آمنة بمهاجمة الناس، أهذا ما تقوله؟» قال فريك بسخرية. «لا يبدو هذا آمناً بالنسبة لي، بل حرب.»
«إنها حرب فقط إن أرادوها حرباً، يا أخي،» قال لويس.
«أوه، إنها غلطتهم...»
«أوافق لويس الرأي،» قال أولي. «إذا اقتنع أولئك العشوائيون منا، إذا عملوا معنا، فسيكون لنا حلفاء. سنتوسع، سنسيطر على هذه المنطقة بالطريقة المناسبة، ثم نستطيع التوسع إلى أماكن أبعد...»
«ماذا تقصد بنستطيع؟» قاطعته ماكسي. «تقصد دايفيد. هو من يريد السيطرة على لندن.»
«ماكسي، لمَ لا يمكنك أن تتقبلي،» قال أولي، «أن دايفيد أنجز شيئاً هنا؟ ويمكننا أن نساعده في التقدم. إذا تواصلنا مع جميع مجموعات الأولاد المشتتة في لندن، فقبل أن ندرك سنكون قد كوّنا حضارة جديدة.»
«إذاً نصنع السلام بالحرب؟» قال فريك.
«أظن هذا،» قال أولي. «إذا كان هذا ما يتطلبه الهدف. انظر إلى اليونانيين

القدامى، الرومانيين القدامى...»

«لا أعرف شيئاً عن كل ذلك،» قال فريك. «أعرف فقط أن العدو الحقيقي هو الراشدون.»

«وعلينا أن نتوحد إن أردنا هزمهم،» قال أولي. «إن لم نستطع التوحد، فسينتصرون. الأمر بهذه البساطة. أنا متأكد أن أولئك الأولاد العشوائيين سيستمعون إلى صوت العقل. أنا متأكد من أننا لن نضطر إلى مقاتلتهم.»

«أتصدّق ذلك حقاً؟» قالت ماكسي. «أنت لا تعرفهم.»

«لقد اتخذت قراري،» قال بلو. «لقد استمعت إلى ما يكفي من الترّهات لهذه الليلة. سأذهب إلى هناك يوم غد وأستطلع الأجواء. سأتفقد أولئك العشوائيين. سأصطحب كل من يريد مرافقتي. ولا بأس في كل من يريد البقاء هنا. لن أجبر أحداً. لكن دعونا نرَ ما لدى أولئك الأولاد ليقولوه عن أنفسهم.»

«وماذا برأيك ستكون رد فعلهم عندما يرونك متجهاً نحوهم مدججاً بالسلاح؟» سألت ويتني.

«سنترك السلاح الثقيل هنا،» قال بلو. «لن نأخذ رماحاً أو سيوفاً أو سكاكين. فقط مضارب خشبية، تعرفين، مثل مقابض معاول وما إلى ذلك. فقط من باب الحيطة. نريد أن نخيفهم، لا أن نقتلهم.»

«تبدو هذه خطة مناسبة بالنسبة لي،» قال أولي. «أنا معك.»

«ما زلت لا يعجبني الأمر،» قال ماكسي. «لكن حسناً. لنستطلع أمرهم على الأقل.»

42

كان كالوم يمارس رياضة الركض على مساره. مسار في الطبقة الأرضية من المتجر، يمر عبر الحجرات. كان قد ركض ست عشرة لفة وأراد إكمال عشرين منها. لم يكن قد نام جيداً، وحتى الآن كان الضوء بالكاد قد انبلج. عاش يوماً جيداً البارحة، فقد وجد كومة من المجلات القديمة التي كان قد نسي أمرها، وتصفحها ساعده على إبقاء تفكيره بعيداً عن شعوره بالوحدة. قبل الخلود إلى النوم، صعد إلى عش الغراب لمراقبة غروب الشمس وليرى إن كان الراشدون لا يزالون يتسكعون في المكان.

كانوا هناك.

أغبياء حمقى.

ثم رأى راشداً جديداً يصل، فتغيّر كل شيء.

كان والداً سميناً انتشرت في جسمه الدمامل. ارتدى بنطالاً قصيراً وصديرية إنكليزية عليها صليب سان جورج، وبرزت رقع من الشعر من رأسه الأصلع الكبير. كبير لدرجة أنه بدا متورماً. كان يضع نظارة من دون عدستين وبدا أذكى من الراشدين الآخرين، ويمارس نوعاً من السيطرة عليهم. كالوم لم ير الراشدين مع قائد من قبل، اعتادوا الصيد في مجموعات مشتتة. بدا أن هذا الوالد يحشدهم، ينظمهم. بل كان يحمل سلاحاً. مجرد مضرب، لكن كان شيئاً لم يعتد كالوم رؤيته أيضاً.

أحيط الراشد الزعيم بعصابة صغيرة من الراشدين الذين حملوا أسلحة أيضاً. كانت مجموعة غير متناغمة على الإطلاق لكنهم بقوا معاً. أحدهم

حمل قوساً معدنياً على كتفه، وآخر ارتدى قميص مانشستر يونايتد، آخر لم يرتد قميصاً على الإطلاق، غطى ذراعاً واحدة فقط وباقي جسمه كان مغطى بالبثور. آخرهم ارتدى بذلة رسمية وسخة وبدا أنه يضع في أذنه سماعة جهاز بلوتوث.

اللحظة الأسوأ كانت عندما نظر الأصلع السمين في عيني كالوم مباشرة. بدا أنه ابتسم.

قلق كالوم بشأنهم طوال الليل. بدوا خطرين. حالما انبثق ضوء النهار، زحف إلى الشرفة ليرى إن كانوا لا يزالون هناك.

كانوا هناك.

كان لا يزال بحوزته قنبلتان وعدد من الصواريخ المختلفة. إذا حاول الراشدون الجدد اقتحام المكان، فعليه استخدام كل ذخيرته النارية. أما في الوقت الحالي، فكل ما يستطيع فعله هو المراقبة والانتظار.

أقنع نفسه بأنه متعب فحسب. هذا ما كانت والدته تقوله دائماً عندما يقلق حيال أمر ما «أنت متعب فحسب» أو «هل شربت كوباً من الماء؟» أو «تناول بعض الفاكهة، مستوى السكر في دمك منخفض على الأرجح...»

الراشد الحقير في صديرية سان جورج سيملّ عاجلاً أو آجلاً ويغادر المكان. لقد فعلوا ذلك دائماً. لم يكن هناك داعٍ للقلق حيال الأمر.

سيركض وقتاً أطول. ذلك سيساعد.

ربما ثلاثين لفة.

ربما أربعين.

ربما سيركض إلى الأبد.

43

تثاءب بلو ونظر عالياً نحو السماء. كان صباحاً رمادياً بغيوم متلبّدة. رغم أن الساعة لم تكن قد دقت الساعة السابعة بعد، بدا يوماً من تلك الأيام التي تُنبئ بالخير. كان صوت الرعد يتردّد من بعيد، فارتجف بلو. كان يفضّل أن يكون في سريره الآن، لكن كان هناك عمل يجب إنجازه.

كانوا قد قرروا أن التوقيت الأفضل للذهاب إلى سان جايمس بارك لاستطلاع أمر العشوائيين هو بينما لا يزالون نائمين. معظم المقاتلين كانوا ذاهبين. لكن فريك وفريق صوفي ومقاتلين آخرين اختاروا البقاء. انضم إلى الذاهبين بود وجستر مع فريق من المقاتلين من القصر.

«ما قصة دايفيد إذاً؟» قال بلو. «لَم لم يرافقنا؟»

«ليس مقاتلاً،» قال بود. «إنه يصلح قائداً أكثر.»

سار أخيليوس بحماسة ملوّحاً بمقبض مطرقته. «وماذا عن أولئك الحمقى في الزيّ الرسمي؟» قال. «الذين يحملون البنادق؟ لَم ليسوا معنا أيضاً؟»

«ما دام دايفيد يريد إبراز بعض القوة، فلمَ لم يرسلهم؟»

«بست بنادق وفقط عشرين رصاصة موزعة بينها؟» قال بود. «إنها للمظهر فقط. كما عليهم البقاء هناك لحراسة القصر. إذا هاجم أحدهم خلال وجودنا في الخارج، فستحدث كارثة.»

«أخبرنا عن الحمقى بالزيّ الرسمي،» قال أخيليوس. «ما قصتهم؟»

«جميع الفتيان الذين يرتدون زياً رسمياً من المدرسة الداخلية نفسها،» قال دستر. «في مكان ما في كولومبيا البريطانية. عندما بدأت الأحوال

تسوء، قادهم دايفيد عبر المدينة. كنا قد استقررنا هنا في القصر، لكن كان في حالة من الفوضى. نظمنا دايفيد جميعاً. كان مسؤولاً في المدرسة في السابق.»

«كنا نلعب الكريكيت ضدهم،» قال بود. «ليس أنا، فقد كنتُ من محبي الروكبي. لكن مدرستنا.»

«أفترض لأنه كان في مدرسة داخلية، يعرف كيفية تنظيم الأولاد،» قال جستر. « بعض الأولاد الذين حضروا معه يعملون في المطبخ أو الحدائق، لكن معظمهم بقوا حراساً للقصر. أظن أنهم قاموا بتدريبات عسكرية في المدرسة.»

«ما زلت أرى أنهم ليسوا مقاتلي شوارع بارعين بقدركم،» قال بود. «أنا أتطلع قدماً لرؤيتكم تقاتلون. قد أتعلم منكم بعض الحركات.»

«آمل أن لا نضطر إلى القتال،» قال بلو.

«لا، بالطبع لا، ليس اليوم على الأقل،» قال بود.

«كنا نأمل أن القتال انتهى.»

«بربك،» قال جستر. «ستشعرون بالملل من رؤوسكم حتى أخمص أقدامكم. أنتم تحبون القتال.»

ابتسم بلو. قد تكون دليل نعم أو لا.

«هل سننطلق أم لا؟» سأل أخيليوس المتحمس للذهاب.

«أظن هذا،» قال جستر.

«لنتحرك!» صرخ بلو ثم عبروا خارج البوابات.

بينما مروا بالقرب من نصب فيكتوريا التذكاري، نادى أحدهم.

«انظروا إلى هذا.»

تعرّض النصب لعمل تخريبي. كان وجه الملكة مرشوشاً باللون الأصفر مع نقطتين سوداوين كبيرتين للعينين وابتسامة واسعة. وهناك، على قاعدة التمثال، خُطت بجمال رسالة. كلمتان كبيرتان، متعدّدتا الألوان الزاهية. كُتب ببساطة:

«يعيش أران»

وتحتهما الشعار «فريكي - ديكي».

ضحكت ماكسي عندما رأتها.

«كيف يُعقل أن يكون أران حياً يا رجل؟» قال أخيليوس. «لقد شاهدته يحترق.»

«إنها رسالة من فريك،» قالت ماكسي. «كي لا ننسى ما صدّقه أران.»

وهناك كان فريك، يقف أعلى الدرجات التي تقود نزولاً إلى النصب، يراقب فرقة الأولاد تمر.

«فريك أحمق،» قال أخيليوس.

«ألا يرضيك أيّ شيء في هذا العالم، آخي؟»

«أبحث عن الرقم واحد.»

هزت ماكسي برأسها وابتعدت عن المجموعة. صعدت السلالم إلى حيث كان فريك ينتظر.

«عمل فني جميل.»

هز فريك بكتفيه.

«لست مضطرة للذهاب كما تعلمين،» قال.

«أعرف. لكن على أحدهم أن يتأكد من أن المقاتلين لا ينجرفون في تصرفاتهم. قد يرتكبون عملاً أحمق بكل سهولة.»

«حسناً، حظاً طيباً، وانتبهي لنفسك.» حضنها فريك.

«أنت أيضاً،» قالت.

«أتمنى لو كان أران هنا،» همس فريك في أذنها.

«نعم،» قالت ماكسي. «من الأفضل أن أذهب الآن وإلا فسيتركونني.»

راقبها فريك تهرول نحو الآخرين الذين انطلقوا نحو سان جايمس بارك.

صلى أن يعودوا جميعاً.

ربت جستر ظهر بلو. «أترى؟» قال. «هذا هو الموقع الذي تنتمي إليه، في قيادة الجيش. ليس في القصر تقوم بأعمال سخيفة مملة. تراقب الخضار

تنمو. لقد وُلدت جنرالاً.»

«ربما.»

كانت هناك بحيرة تمتد على طول المتنزّه. انخفض مستوى المياه قليلاً لكن كانت لا تزال تحتوي على كمية معقولة.

«مثالية لريّ المحاصيل،» شرح جستر. «هل تعرف؟ خلال الحرب العالمية الثانية، حُوّلت معظم حدائق لندن إلى أراضٍ زراعية صغيرة. كانت هناك مساحات شاسعة للزراعة، مساحات تفكيٍ لتدعم الأولاد الباقين. لكن يجب ضمان ذلك وإلا فلن يتحقق هذا أبداً. من دون أمن، تضطر للبحث عن الطعام، مثلما اعتدتم أن تفعلوا، وتماماً كما كان يفعل أولئك العشوائيون.

«من هم تحديداً؟» سأل أخيليوس.

«ظهروا منذ عدة أشهر،» قال جستر. «إلى حد علمنا، كانوا يجولون في لندن، يأخذون كل ما يعثرون عليه. أول ما فعلوه عند وصولهم إلى هنا كان اقتلاع جميع المحاصيل التي زرعناها وأكلها. إذا حاولنا الاقتراب من المكان للزراعة مجدداً، يهاجموننا. لا يريدون التعاون معنا إطلاقاً. أقصد، حاولوا الزراعة، لكنهم لا يعرفون ما يفعلون.»

«هل لديهم قائد؟» سأل بلو.

«اسمه جون.»

«جون ماذا؟»

« فقط جون.»

«فقط جون؟»

«نعم.»

«حسناً، ذلك الشخص، فقط جون، كيف هو؟»

«يصعب النقاش معه،» قال جستر. «يمكنني القول إنه عنيد أكثر منك بلو.»

«سيناقش مع هذا،» قال أخيليوس وهو يضرب بمضربه على راحة يده.

«لا قتال إن استطعنا تجنبه،» قال بلو.

«حسناً.»

بدأت أولى قطرات المطر تهطل.

«شرطة الطبيعة،» قال جستر.

«ماذا؟»

«كانت الشرطة تأمل هطول الأمطار دائماً قبل أي تظاهرة كبيرة، لأنه حينها سيقل عدد المتظاهرين. فلا أحد يريد أن يخلّ بالأمن في الشوراع إن كانت تُمطر بغزارة. من يريد القتال في طقس كهذا؟»

«لنأمل ذلك،» قال بلو.

عند الجناح الأيمن. رفعت ماكسي قبعتها الواقية من الأمطار. ستقيها الأمطار قليلاً، وسترتها الجلدية الجديدة كانت مضادة للماء بشكل معقول. ألقت نظرة سريعة على القسم الرئيسي من الأولاد. ترك أولي موقعه في الخلف وكان يشق طريقه نحو المقدمة. تساءلت إن كان كل شيء على ما يرام. راقبت بينما اقترب أولي من أخيليوس وقال شيئاً. ثم ابتعد كلاهما جانباً لحديث خاص.

أعجبت ماكسي بأولي، لكنها لم تعرف أبداً بما كان يفكر، ما كان يدور في عقله الذكي والماكر ذاك. الهدف الذي وضعوه نصب أعينهم بالوصول إلى القصر حثهم على التقدم. جعلهم متكاتفين دائماً. لكن منذ وصولهم، لم تعد متأكدة من شيء.

انفتح المتنزّه على يسارهم على بقعة أرض خضراء واسعة. بدت آثار حراثة المزروعات واضحة، أثر تخريبي، لكن كان واضحاً أن أحدهم حاول زارعة نباتات جديدة.

بعض النباتات كانت تنحني تحت الأمطار الغزيرة. نباتات أخرى تسطحت وقد ماتت في الوحل.

كان مشهداً مُحزناً.

«عمل شهور طويلة ذهب سدى،» قال جستر. «هذه المجموعة لا تعرف شيئاً.»

نظر بلو حوله فرأى مجموعة متعبة من الأولاد يحتمون تحت سطح مقهى قديم. مبنى حديث من الزجاج والخشب. بدوا مسلحين، وسرعان ما انقسم بعض منهم وركض في الاتجاه الآخر.»

«أظن أنهم رأونا،» قال بلو.

«لنواصل سيرنا،» قال جستر. «لننه الأمر.»

«نعم.» نظر أخيليوس أعلى نحو المطر المنهمر.

وصلوا إلى خيام العشوائيين الممتدة. أكياس من جميع الأنواع، منها الصغير والكبير، الغالي والرخيص، الرديء الصنع والمانع للمياه. تجمعت عند نهاية المتنزه، من دون أي ترتيب. نُصبت أجزاء من حواجز آيلة للسقوط وكان هناك حارسان يجلسان تحت قطعة من الغطاء البلاستيكي.

مشت الفرقة من القصر نحو المخيّم. كانت النفايات في كل مكان، متناثرة على الأرض الموحلة، متدلية من الأشجار، مكوّمة في الزوايا. كانت هناك عربة أطفال قديمة مليئة ببقايا الخشب. باستثناء الحراس القلة الذين رأوهم، لم يكن هناك أحد في المكان.

كانوا جميعهم إما نائمين أو يحتمون داخل خيامهم.

عبر الطريق عند طرف المتنزه، كانت منطقة موكب حرس الأحصنة، وهي عبارة عن أرض كبيرة تسدّها الأبنية من ثلاثة اتجاهات. خلف الأبنية، كانت العجلة الكبرى المعروفة بعين لندن، تنتصب تحت السماء الماطرة.

بنى العشوائيون أبنية دائمة هنا: أكواخ وحظائر بُنيت من مواد عثروا عليها. المزيد من الأغطية البلاستيكية غطت معظم الأبنية، لكن كانت معظمها تتعرّض لزخم العاصفة وتصب المياه من أعلاها صبّاً على الحصى المنتشرة على الأرض. بدا مخيّماً للاجئين.

شقت فرقة القصر طريقها عبر برك الوحل نحو وسط المتنزّه حيث

خرجت فرقة للقائهم. كانت مجموعة رثة الثياب، نحيفة، اكتسبت لوناً أسمرَ من العيش خارجاً.

في قيادتهم كان مراهق مسلح بعصا لُصق في طرفها ثلاثة سكاكين. كان يرتدي بنطالاً فضفاضاً فقط. وُشم صدره العاري، وحُلق شعره في أشكال تقريباً مثل أخيليوس. فقد عدداً من أسنانه وكان له وجه قاسٍ بارز العظام.

«جون، على ما أفترض،» قال بلو. «لا يبدو خطراً.»

«لا تثق به،» قال جستر.

«يا رجل،» قال بلو. «أنا لم أعد أثق بأحد.»

وقف جون مع ولد كبير آخر يشبه القراصنة، لفّ منديلاً حول رأسه وارتدى قميصاً من دون أكمام، وبنطالاً كبنطال جون من دون جوارب. كان يطرق بمنجل على رجله.

خلفهما وقف أربعة أولاد ضخام يحملون مضارب بايسبول.

«أهذا أنت، جستر؟» نادى جون، وهو ينظر بعينين نصف مغمضتين عبر المطر المنهمر بسرعة وغزارة، مرتطماً بالأرض، مُصدراً رذاذاً ضبابياً.

«نعم،» قال جستر. «أتينا للتحدث.»

«انتقيتم يوماً مناسباً لهذا،» قال القرصان.

«متى ستتعلمون الدرس؟» قال جون. «لا نريد أن نتكلم.»

«ولن نغادر أبداً،» أضاف القرصان.

«لا نريدكم أن تغادروا،» قال جستر. «نريدكم أن تتعاونوا معنا.»

«أو ماذا؟» قال جون.

«وإلا فسندمر كل هذا. سنجبركم على المغادرة.»

«لقد جرّبتم سابقاً.»

«اختلفت الأمور الآن. لدينا مساعدة.»

نظر جون نحو صف القادمين الجدد نظرة شفقة وازدراء.

«أووه. أيفترض بي أن أخاف؟» قال.

«اسمع،» قال جستر. «ما يحصل حماقة. علينا نحن الأولاد أن نتعاون.

أنتم ونحن، يمكننا أن نجعل هذه المنطقة بأكملها آمنة. يمكنكم أن تعيشوا عيشة لائقة، وتأكلوا أكلاً صحياً.»

«نحن سعداء بحالنا هذه،» قال جون. «نعيش كما نريد.»

نظرت ماكسي نحو المخيّم. كان تحليل الوضع صعباً في ظل هذا المطر القوي، لكن بدا مخيّماً بائساً. هل هناك من يختار حقاً العيش بهذه الطريقة؟

«ما مشكلتك تحديداً مع دايفيد؟» نادت.

«ماذا؟» قال جون بسخرية. «هل قالت الساقطة شيئاً؟»

حاولت ماكسي ألا تغضب. عرفت أن ذلك لا يجدي نفعاً.

«سألتك ما هي مشكلتك تحديداً مع دايفيد.»

«وما شأنك أنت؟ من تكونين على أي حال؟»

«أتينا لمساعدة دايفيد.»

«هل يأتي بفتيات للقتال بدلاً منه الآن؟ لا بد أنه يائس.»

«أجب عن سؤالي،» قالت ماكسي.

«أجبريني.»

لم تعرف ماكسي ما تقول. لم يكن النقاش معقولاً مع شخص مماثل. فهمت لما دايفيد أراد إظهار بعض القوة.

تحدّث القرصان. «مشكلتنا مع دايفيد هي أنه مُتحكم،» قال. «لا نحبّه. لا نريده أن يملي علينا أفعالنا. ويتصرّف كما لو أنه يملك لندن.»

«حسناً، ألا يمكنكم تركهم على الأقل يزرعون محصولهم هنا في المتنزه؟» سألت ماكسي.

«لِمَ نفعل ذلك؟» قال القرصان. «ليس متنزّهه. برم بمنجله بحركة سريعة، متباهياً.

«والآن، أيها الفاشلون المثيرون للشفقة هلا تغادرون المكان وتدعوننا وشأننا؟» قال جون.

«يجب أن ننهي هذا الأمر كلياً،» قال جستر.

«هيا إذاً،» قال جون وضحك.

«حسناً،» قال أخيليوس، متقدماً.

قبل أن يعرف جون ما يحدث، لوّح أخيليوس بمضربه نحو رأسه فأصابته إصابة مباشرة ليرتطم بعدها جون بقوة على الأرض.

لم ينهض.

نظر الجميع إلى الفتى الهامد بذهول.

«لم فعلت هذا؟» قال القرصان.

«لم يعجبني،» قال أخيليوس. «كان يوتّرني. والآن، أنت أيها القبطان سبارو، ما اسمك؟»

«كارل،» قال القرصان.

«حسناً، كارل، تبدو أكثر عقلانية. هل ستتحدث إلينا أم نخرب مخيّمكم؟»

ارتفعت ضحكة من أحد أفراد طاقم القصر. نظر كارل حوله، غير واثق من نفسه. وسرعان ما انضم إليه عدد من الأصدقاء، جميعهم مدجّجون بالسلاح ويتطلعون للقتال.

«ماذا هناك لتتحدثوا عنه؟» قال وهو يرفع منجله.

«حسناً إذاً،» قال أخيليوس.

«توقفا،» قالت ماكسي. «لا نريد القتال.»

«لم يجدر بكم البدء إذاً، صحيح؟» قال كارل. «لأن عليكم الآن إنهاء الأمر.»

بدأ بود وفريقه يصرخون. «قتال، قتال، قتال...»

حينها شعرت ماكسي بالموقف يخرج عن سيطرتها.

برقت بقوة وبعد بضع ثوان هدر رعدٌ قوي. لم تظنّ ماكسي أن المطر يمكن أن يكون بهذه القوة، لكنه كان كذلك. هطل المطر بقوة لا مثيل لها. جعلت التفكير أكثر صعوبة.

تواصل الصراخ بطلب القتال. ظهر المزيد من العشوائيين يحملون تشكيلة منوّعة من السلاح. بدوا مرتبكين والمطر يسيل عبر وجوههم.

«ابتعدوا،» قال كارل، بعدما رأى أن المساندة قد أتت. «سيتأذى أحد.»

قتال، قتال، قتال، قتال، قتال، قتال، قتال...

وقف أخيليوس هناك، فوق جون، مطرقته جاهزة في يده.

«أرني ما لديك أيها القرصان...»

اندفع كارل نحو جون، آملاً مساعدته على النهوض.

«أظن أنك لا تريد التحدث،» قال أخيليوس. «هذا جيد، لأنني لا أريد ذلك أيضاً.»

«توقفا،» صرخت ماكسي. «توقفا فحسب!»

قتال، قتال، قتال، قتال، قتال، قتال، قتال...

44

كان فريك يجلس على درجات نصب فيكتوريا التذكاري، وذقنه متكئ على ركبتيه، متبللاً بمياه الأمطار.

كان يساوره شعور سيّئ جداً.

ماذا إن تأذى أحدهم؟

لقد مروا بالكثير معاً. يجدر به أن يكون مع أصدقائه. احتاجت ماكسي إلى المساندة. بوجود حمقى مثل أخيليوس وميك الكبير، قد يحصل أي شيء.

وجستر، أيضاً. ما الذي كان يخبّئه أيضاً؟

وقف فريك على قدميه.

لمعت السماء ببرق أبيض. ثم دوّى رعد طويل. وكأنها كانت الحرب العالمية الثالثة.

بدأ يمشي.

بدأ يركض.

قتال، قتال، قتال، قتال، قتال، قتال، قتال...

نشب القتال.

اندفع أخيليوس نحو كارل الذي تمايل بدوره ضارباً بمنجله. اصطدم كارل بأخيليوس وضربه على ركبته فتلاقى وجهاهما. وقع كارل. واصل أخيليوس هجومه وسرعان ما ارتمى عدد من أصدقاء كارل أرضاً.

منح ذلك بود الثقة فهاجم وعصابته والصرخات تعلو. أمسكوا بعمود دعم سقف أحد الأكواخ وسحبوه. احتاجوا فقط إلى عدة ضربات ليترنح

العمود ويتهاوى الكوخ، وتنساب المياه في كل مكان.

هلّل فريق بود.

«توقفوا!» صرخت ماكسي لكن صوتها ضاع في الفوضى.

دبّت الحياة في المخيم، اندفع الأولاد خارج الأكواخ مثل دبابير غاضبة. انضم فريق القصر بأكمله الآن إلى القتال وعلى الضجيج في الساحة. قبضات وعصيّ تطايرت. كان الأولاد يركلون، يلكمون، ويصارعون.

لم يكن معظم العشوائيين مسلحين، وأخيليوس ومقاتلوه ركزوا على المسلحين منهم، محاولين نزع أسلحتهم من دون أن أذيّتهم. كان فريك يعدو على طول طريق البحيرة. كان يستطيع سماع أصوات القتال البعيدة.

«تباً!»

فتح عينيه جيداً للعثور على شيء يمكن استخدامه كسلاح. لم يكن يحمل شيئاً معه.

«غبي!»

خرج أحد الأولاد الذي لم يعرفه من المقهى.

«أوه، ماذا...»

اندفع فريك نحوه لاكماً فسقط الفتى أرضاً.

ركض أسرع.

كان بلو يقف هناك، يراقب، ليس متأكداً مما يفعل.

«علينا أن نوقف ما يحدث،» قالت ماكسي وهي تهزه.

«كيف؟» قال بلو.

«تولّ القيادة،» قالت ماكسي. «افعل شيئاً.»

قبل أن ينطقا بكلمة أخرى، هاجمتهما مجموعة من العشوائيين فاضطر بلو إلى الدفاع بمقبض فاسه. وابل من الكرات والحصى انهمر من فريق أولي على أرجل العشوائيين فتراجعوا وهم يعرجون ويشتمون.

كان بود وفتيانه يهدمون كوخاً تلو الآخر. خرجت فتاة سمينة من أحدها وهي تصيح.

«ماذا تفعلون؟ ماذا تفعلون؟» صرخت. «هناك أطفال في الداخل.»

ارتعش بود، ودوّت صرخة طفل متألم من داخل المبنى الذي كان يهتز بخطر، متهيّئاً للانهيار. حاول فريق بود تثبيته.

«حمقى!» ركض بلو واندفع داخل المبنى. خرج بعد ثوان حاملاً بين ذراعيه طفلاً، وسلمه مباشرة إلى الفتاة. عاد إلى الداخل على الفور وخرج ومعه طفل آخر. استدار وعاد بينما صرخت الفتاة أنه لم يعد هناك أحد.

لم يسمع، وخلال لحظات انهار الكوخ مصدراً صوت صرير وتكسير. بدأ بود وفريقه يزيلون بتوتر ألواح الخشب والحديد، وأخرى من البلاستيك.

بينما تشتّت انتباه الجميع، ذهبت ماكسي للبحث عن جون. كان يحاول الجلوس، رمحه المسنن يترنح في يده. لو تستطيع القضاء عليه، فقد تتمكن من وضع حد لما يحدث. كانت تحمل مضرب أران في حقيبتها. أملت ألا تستخدمه لكنها في حاجة إليه الآن. مدّت يدها لتسحبه فشعرت بضربة قوية على جانبها. شعرت بأنفاسها تتوقف وكأن ضلوعها قد تكسّرت. ترنّحت إلى الجانبين، وشعرت بألم يغشي عينيها. من طرف عينها، لمحت حركة، استدارت لتتصدّى لهجوم آخر. أتت الضربة الثانية على أعلى ذراعها ففقدت الإحساس فيها كلياً.

كان ولداً عشوائياً يحمل مضرب بايسبول. لم يكن ضخماً لكن كان برفقته اثنان آخران. لوّح أحدهم بمضربه نحوها فانخفضت لكن الحركة بحد ذاتها كانت تؤلم ألماً لا يمكن وصفه وشعرت أنها قد تفقد الوعي. كان من المستحيل أن تتفادى الضربة التالية.

فجأة، سقط العشوائيون الثلاثة مثل قناني البولينغ.

كان فريك. كان قد اصطدم بهم بقوة وسرعة لا مثيل لهما. بينما حاولوا الوقوف بجهد، أمسك بمضرب على الأرض وهاجمهم مثل مجنون.

قلبت ماكسي نفسها، مقاومة الألم في محاولة لتنشق بعض الأوكسجين إلى رئتيها.

كان فريك يضرب ضربات قاضية. هرب أحد العشوائيين بينما سقط آخر

و لم يبد أنه قد ينهض مجدداً. كان فريك على وشك القضاء على آخر الثلاثة عندما صرخ وجلس على الحصى. بدا مرتبكاً. فقاعة من اللعاب تكونت على شفتيه. كانت هناك بقعة من الدم تنتشر على ظهره.

جون. من على الأرض، طعن فريك برمحه ذي السكاكين الثلاثة.

«لا.» دوّى بكاء ماكسي كزمجرة حيوان برّي. نسيت كل ألمها، تحركت بسرعة بقوى غير بشرية، مشحونة بالغضب واليأس. تأرجح مضرب أران عبر الهواء، وارتطم برمحٍ جون الذي سقط من يده.

نظر نحوها مندهشاً. رفعت المضرب فوق رأسها.

«مرهم بالتوقف! صرخت. «الآن!»

«أجبريني على ذلك أيتها الساقطة.»

صوّبت ماكسي مضربها على وجه جون. انكسر أنفه وارتطم وجهه بالأرض. صرخ متألماً. ركلته ماكسي على معدته والتقطت رمحه.

«مرهم الآن!» صرخت وهي تضغط بشفرات السكاكين على جلد رقبته. «وإياك أن تنعتني بالساقطة مرة أخرى أيها الحثالة البشع.»

تمتم جون كلمات غير مفهومة، والدم يسيل من أنفه المكسور على الحصى.

رفعت ماكسي نظرها فرأت كارل مع مجموعة من العشوائيين الأشداء يتعاركون مع أخيليوس وأفضل مقاتليه.

«ليتوقف الجميع الآن!» صرخت بصوت يسمعه الجميع. توقف الأولاد عما كانوا يفعلونه. بدا كارل غاضباً. كل ما كان يستطيع رؤيته هو الدم يسيل من جون وماكسي تقف هناك حاملة رمحه.

«ماذا فعلتِ به؟»

«سأقتله!» صرخت ماكسي. «أقسم أنني سأفعل! توقفوا الآن! ارموا أسلحتكم.»

«من الأفضل أن تفعلوا ما تقوله،» قال أخيليوس.

«ألقوا أسلحتكم،» أمر كارل فاستسلم العشوائيون.

45

وصل بود أخيراً إلى بلو وكان يسحبه من تحت أنقاض الكوخ. كان جسمه مرتخياً، فاقداً للوعي. كانت قد وقعت عليه عارضة كبيرة. لكنه كان لا يزال على قيد الحياة. أمر بود فريقه بصنع حمّالة من قطع الخشب.

راقبهم لويس، بينما انسدل شعره المبعثر بفعل المطر، بدا رأسه أصغر حجماً بمرتين. «سنحتاج إلى واحدة أخرى من هذه،» قال.

نظر بود نحوه نظرة مستفهمة.

«فريك مُصاب.»

بدت الوجوه واجمة في المخيم بينما استطلع العشوائيون الأضرار. عدد كبير من أكواخهم دُمرت كلياً. نصف خيامهم دُهست. كانوا مبللين من رؤوسهم حتى أخمص أقدامهم. الأطفال يبكون.

كان أخيليوس والمقاتلون يقفون في حلقة حول جون، الذي لم يكن قد استعاد وعيه الكامل بعد. كان متمدداً على الحصى مرتبكاً ومتعباً.

تجمّع عدد آخر حول فريك، الذي كان يجلس حيث سقط. كان أولي يضغط بقطعة من القماش الممزق على الجرح في ظهره. كانت ماكسي تمسك به بين ذراعيها.

«لا أريد أن أموت،» همس فريك.

«إذاً لا تمت،» قالت ماكسي محاولة ألا تبكي. نظرت إلى أولي، الذي بدت على وجهه نظرة فاقد الأمل.

«لا أشعر أنني بخير،» قال فريك. «أتمنى لو كانت أمي هنا. كيف كانت

قبل أن تمرض. أتمنى لو أن كل شيء يعود إلى سابق عهده. لم أتمنَّ شيئاً من هذا من قبل. كنت أنا وديكي فقط. نرشّ شعارنا على الجدران.»

«فريكي – ديكي،» قالت ماكسي.

«نعم... هل ديكي هنا؟ أين ديكي؟»

«ليس هنا.»

«ولا أنا،»قال فريك وأغمض عينيه.

«توقف النزف،» قال أولي.

«لقد فارق الحياة،» قالت ماكسي.

46

غطوا فريك بملاءة وحملوه بلطف على إحدى حمالات بود. رفعوا جون على قدميه وربطوا يديه خلف ظهره.

نظرت ماكسي نحو السماء، ثم مشت في الاتجاه الذي كان يقف فيه العشوائيون يراقبون. نظرت إلى كارل، القرصان، الذي بدا الذراع اليمنى لجون.

«إليك الاتفاق،» قالت بصوت بارد وقاس وواضح. «سنعود إلى القصر وسنأخذ جون معنا. سيكون لديكم حتى المساء لتقرروا ما تريدون فعله. لكن قبل حلول الظلام، ترسلون أحدهم إلى القصر ليتحدث إلينا وسنقرر ما سيحصل تالياً.»

«ماذا تقصدين بما سيحصل...»

«اخرس كارل. أنا أتحدث. قد يحدث أمران. واحد. تستسلمون وتعقدون سلاماً، ونجد طريقة نتفاهم بها جميعاً وتستعيدون جون. نهاية سعيدة. أو اثنان. لا يأتي أيّ منكم فنعود إلى هنا بقوة أكبر، بجميع أسلحتنا، ولا نتراجع حتى نمسح المكان عن بكرة أبيه. نقتلكم إن اضطررنا إلى ذلك. أتفهم ما أقول؟ إنه خياركم.»

47

«ليالي الجمعة والسبت، كنا نطلب البيتزا ونشاهد الأفلام.»

«أنا أيضاً.. لكن كنا نطلب طعاماً هندياً.»

كان سام وريانون يجلسان في عتمة العربة. شموع الليل التي تركها نيك ورايتشل تحترق على مدى أربع وعشرين ساعة على الرصيف خارج العربة لم يتسلّل أيّ من أشعتها إلى هنا. كل ما استطاع سام رؤيته هو وهج أصفر غير واضح عند النافذة التي ظهر ظل وجه ريانون عليها. كانا يجلسان متعاكسين، يبعدان الخوف بالتحدث عن أشياء قديمة مألوفة.

«كنتُ أحب الدجاج بالتيكا،» قالت ريانون.

«أنا أيضاً،» قال سام. «لكننا لم نأكل الطعام الهندي كثيراً. كان حاراً جداً على أختي الصغيرة إيلا.»

«ألا تحب الدجاج بالتيكا؟ الجميع يحب الدجاج بالتيكا.»

«تحبّه قليلاً، لكنها ليست من محبّي الطعام عموماً. إنها نيقة. كل ما تحبّه فعلاً هو بيتزا المارغريتا.»

«ممل،» قالت ريانون.

«أراهن أنك لن ترفضي واحدة الآن،» قال سام.

«ربما يمكننا الاتصال لطلب الطعام الآن،» قالت ريانون وضحكت.

«دومينو،» قال سام. «ماذا ستتناولين؟»

«بيتزا المواسم الأربعة.»

«لا أظن أنني تذوّقتها من قبل.»

«سنطلب فيلماً ونتناول البيتزا،» قالت ريانون. «ماذا سنشاهد؟»

«كنا غالباً ما نشاهد المسلسلات التلفزيونية،» قال سام. «أحياناً، ثلاث حلقات في ليلة واحدة.»

«نعم،» قالت ريانون. «أحب المسلسلات.»

«Doctor Who (دكتور مَن)،» قال سام. «و Heroes (الأبطال). لكن كان عنيفاً بعض الشيء.

«كنا قد شاهدنا نصف Lost (الضائعون)،» قالت ريانون.

«كانت إيلا تخاف منه كثيراً،» قال سام. «أحببت Ugly Betty (بيتي البشعة). لكنها لم تفهمه فعلاً.»

«هل كان لديكم نينتاندو؟ كان لدينا نينتاندو.»

«لا،» قال سام. «كنتُ ألعب على حاسوبي. ورلد أوف ار كرافت.»

«كانت لعبتي المفضلة ذا سيمز.»

«نعم، أحببتها. لكنني كنتُ أفضل ورلد أوف وركرافت. كان لديّ شخصية محارب التوران شامان واسمه دوركرولر، أردت أن أسمّيه داركرولر لكن كان ذلك الاسم مأخوذاً. كان لديّ أيضاً محارب نايت إيلف واسمه ديث بلوووود، بأربع واو، وعفريت اسمه شورتيبوتم. كان من المستوى اثنين وستين.»

«أكنت تلعب على فايسبوك أو ماي سبيس؟»

«لا. لم تكن والدتي تسمح لي،» قال سام. «كنت أستخدم موقع إم إس إن أحياناً، لكنني لعبت ورلد أوف وركرافت معظم الأوقات. رغم أنني كنتُ قد بدأت أشعر بالملل منها. كان لدى صديقي لعبة سرقة السيارات الكبرى. أردت الحصول عليها لكن والدتي قالت مستحيل.»

علا صوت ضجة غريبة في مكان ما تحت القطار. صمت سام وريانون. كانا يطرحان على نفسيهما السؤال نفسه.

ما كان ذلك؟

كان صوتاً لم يسمعاه من قبل. قد يعني ذلك أن نيك ورايتشل ينويان

أمراً في عربة أخرى. يقطعان اللحم. يؤذيان شيئاً. يقتلان شيئاً. قد يكون هجوماً آخر للراشدين. قد تكون حجارة تنهار من السقف.

وقد يكون لذلك علاقة بالوجه البشع عند النافذة، ذلك الوجه الذي جعل الأسئلة تدور في رأسه من دون توقف.

من بين كل الأشياء التي حدثت له، ذلك الوجه كان أكثر ما أخاف سام. واقع أن ليس له فم.

أكان المخلوق الذي ليس له فم هو الذي سبّب ذلك الصوت؟ الحقيقة كانت، يمكن أن يكون أيّ شيء. بينما عاش الولدان مللاً مجبولاً بالخوف، كانت مخيّلتاهما تعملان بجد وسرعة.

لم تكن هناك أدلة أخرى. تلت الضجة فترة صمت طويلة.

جلس سام وريانون هناك في الظلام. من دون حراك. للحظة قصيرة، عادا إلى المنزل، مع عائلتيهما، يجلسان مرتاحين على المقعد الوثير ليلة سبت.

لكنهما عادا إلى العربة الباردة غير المريحة. كانا يسمعان صوت التوأم نائمين، تنفّسهما ضعيف جداً. شعر سام شيء يلمس ركبته. أدرك أنها كانت أصابع ريانون. كانت تحاول الوصول إليه. أمسك بيدها وشدّ عليها. كانت ترتجف. بعد وقت طويل، بدا كأنه ساعات، دوّى صوت آخر، كان أقرب هذه المرة. مجدداً، لم يتبعه شيء سوى صمت طويل.

لم يعد سام يحتمل أكثر. مشى نحو النافذة. نظر نحو الرصيف. لم يكن هناك ما يتحرك. لم يصدر الصوت من اتجاه عربة نوم نيك ورايتشل، و لم يسمعهما أو يرهما، لكن كان من المحتمل أنهما نزلا تحت إحدى العربات الأخرى.

أخيراً، صدرت طرقة أخرى، أقرب. ثم ظهر ضوء على زجاج الباب المؤدي للعربة التالية. شعلة صغيرة. فرك سام عينيه، محدقاً ليرى ما هو. لم يستطع الاقتراب أكثر، فسلسلته منعته من التحرك بعيداً.

ظهرت قطعة من الكرتون على النافذة. مُزقت من صندوق حاسوب وكُتب عليها شيء. سبع كلمات مكتوبة بقلم تخطيط. أياً كان هناك، فقد

عدّل قطعة الكرتون بطريقة يمكن قراءة ما كُتب عليها بواسطة الشعلة التي أُضيئت إلى جانبها.

قرأ سام:

التزموا الصمت أنا هونا للمساعدة.

احتاج إلى بضع ثوان ليدرك أن المقصود قول «التزموا الصمت، أنا هنا للمساعدة». لم يكدْ يفهم ما كُتب تماماً حتى اختفت قطعة الكرتون واستُبدلت بوجه.

قفز سام.

ابتسم.

يا له من أحمق.

عندما رأى الوجه من قبل كان مقلوباً. متعلقاً من سطح العربة.

كانت الجمجمة الصلعاء هي ذقنه. كان سام يبحث عن فم حيث مكان الجبهة.

بما أن الوجه كان في الاتجاه الصحيح، رأى سام أنه وجه ولد. أسود من الوسخ، عينان واسعتان، أسنان صغيرة حادة ناصعة البياض. كان شعره داكناً متدلياً من أعلى راسه. الشعر الذي ظن سام أنه لحية عندما رآه رأساً على عقب خارج العربة.

ابتسم الوجه ثم رفع الفتى قبضته ورفع إبهام يده علامة على أن كل شيء على ما يرام. انطفأت الشعلة. بعد بضع ثوان دوّى صوت مألوف وصوت تكسّر زجاج على الأرض المعدنية.

«إذا سمعت صوت الجزّارين، اصرخ.» كانت الهمسة الأكثر همساً في العالم.

ثم صمت.

عدّ سام الثواني في رأسه. كان كل ما يستطيع التفكير فيه ليمر الوقت

ويخفف من التوتر الذي كان يزداد في داخله ليكاد يصبح بالوناً ضخماً.

وصل إلى خمسة وستين قبل أن تُضيء الشعلة مرة أخرى. كانت قريبة جداً. تراجع سام إلى الخلف بخوف. تسلق الفتى عبر النافذة ودخل العربة من دون أن يسمعوا أو يروا شيئاً. أُضيئت الشعلة كفاية ليتمكن الولدان من رؤية ملامح وجهه. كان بحجم سام تقريباً، نحيف لكن قوي الشكل، يرتدي بنطالاً قصيراً وحذاءً رياضياً وسترة جلدية نسائية بنصف كمين. تدلت من أحد كتفيه حقيبة حقيبة جلدية وكان يحمل ولاعة سجائر وملاءة.

أغلق غطاء ولاعته فانطفأت الشعلة.

«المكان غير آمن،» همس. «إذا رأى الجزاران الضوء فسيأتيان سريعاً، صدقاني.»

«من أنت؟» سأل سام.

«التزم الصمت،» أسكته الفتى. «ستخرجون من هنا يا أصدقاء.»

أحس سام بيدي الفتى تصلان إلى الأصفاد حول قبضتيه.

«أصفاد قوية،» همس في أذن سام. «سأنزعها سريعاً. في لمح البصر.»

سمع سام أزيزاً خفيفاً بينما عمل الفتى على فك القفل بنوع من الأدوات. ثم، أخيراً، جلجل صوت الأصفاد التي نُزعت عن يديه.

أحس سام بالفتى يضع الولاعة بين يديه.

«أضئها من أجلي أيها الربان،» قال. «يحتاج الفتى لأن يرى ما حوله.»

ضغط سام على الولاعة فالتهبت شعلة قوية. كان الفتى عند نهاية العربة يحمل ملاءة عريضة.

«هناك لاصق في حزام العدة لديّ،» قال، وهو يشير إلى أسفل.

رأى سام لفافة من اللاصق الأسود القوي معلقة بقطعة سلك عند خصر الفتى. أعطى الولاعة لريانون واستطاع خلال دقيقة لصق الملاءة على النافذة. الآن، إن حدث ونظر نيك ورايتشل خارج النافذة من داخل عربتهما، فستخفف الملاءة من وهج الضوء.

ابتسم الفتى لسام.

«أحسنت،» قال ودفع سام نحو الملاءة.

«اضغط بأذنك نحو الملاءة. أعلمني إن سمعت شيئاً يتحرك، شيئاً يتكلم، صريراً أو طقطقة، حتى ضرطة فأر إذا جاز التعبير. فهمت؟ جيد.»

تقدّم الفتى نحو ريانون وتفقد معصميها.

بدلاً من الأصفاد، كانت مكبلة بربطات بلاستيكية.

«شرير،» قال. «سأحتاج إلى القطع. وصلت يده إلى جيبه وأخرجت سكيناً مطوياً صغيراً ذا شفرة كبيرة. فتحها بأسنانه وابتسم لسام.

«هذه ستفي بالغرض.» قال. «إنه سكين لا يردّني خائباً أبداً.»

أخذ الولاعة من ريانون وأعادها إلى سام وبدأ العمل. كانت شفرة السكين حادة جداً فقطعت البلاستيك سريعاً. حالما أصبحت يدا ريانون حرتين، أطفأ الشعلة.

«لنطفئ الضوء يا صبيان ويا بنات.»

رفع ريانون لتقف بالقرب من سام.

«علينا التحرك بحذر وهدوء مثل الجواسيس. لا يمكننا المجازفة بضوء كثير. إليكما الأمر. لو كنتُ حاولت صعود القطار عبر الرصيف لرآني ذانك الجزاران بكل تأكيد. لذا تحرّكت يميناً حتى طرف الرصيف وشققت طريقي أسفل العربات، لأن السيد لطيف والسيدة لطيفة أوصدا جميع الأبواب والنوافذ. لذا سنخرج بالطريقة نفسها. حالما نصل إلى الطرف، ننخفض على مسار السكة ونزحف تحت القطار حتى نصل إلى الرصيف ومن ثم نحو سلالم الحرية. إنها الطريقة الأفضل. آمنة مثل طعام مغذ. أتفهمانني؟»

«لستُ متأكدة من أنني أستطيع السير،» قالت ريانون.

«يمكنك السير. رجلاك ستنفذان ما تأمرينه بهما. فقط مريهما بحزم.»

«لا أستطيع.»

«ليس هناك كلمة مثل لا أستطيع. كما ليس هناك كلمة مثل باباغوزل!»

ضحكت ريانون، محاولة خنق صوتها.

«تتحدّث بطريقة غريبة،» قالت.

«هذه هي الحال إذاً،» قالت الفتى. «الآن لنوقظ هذين النائمين ونخرجهما من هنا. أشعلها يا صديقي!»

فهم سام ما عليه فعله وأشعل الولاعة بسرعة مجدداً.

قفز الفتى فوق التوأم النائمين، فك قيدهما وهزهما ليستيقظا. كانا ضعيفين جداً و لم يكن لديهما أيّ فكرة عما يحصل.

«ستكون مهمة صعبة أيها القبطان،» همس الفتى. «هذان الصغيران ضعيفان مثل هررة صغيرة.» نظر إلى أعلى نحو سام. «هل أنت قويّ كفاية لتحمل أحدهما يا صديقي؟»

«لا أعرف،» قال سام. «سأحاول. لا أشعر أنني بخير أصلاً.»

«لا تبدو ضعيفاً يا فتى.»

نظر جايسون إلى الفتى والخوف يعلو وجهه.

«من أنت؟»

«أنا الفتى المعجزة،» قال الفتى. «الفتى العظاءة، مثل الدودة ومثل الهر. ملك الأنفاق. سأخرجكم من هنا في رمشة عين، خذها كلمة مني.»

فتح جايسون فمه واسعاً ليقول شيئاً فوضع الفتى إصبعه على شفتيه ليسكته. غمز له.

«أنا بطاقة خروجك من هنا أيها المغفل. لملم نفسك وعظامك ولنخرج من هنا.»

«لن أغادر،» قال جايسون.

«هل تمزح؟»

«لا أستطيع المغادرة،» قال جايسون بقلق. «إلى أين سأذهب؟»

«نيك ورايتشل يعتنيان بي حتى أشفى.»

نظر الفتى نحو سام وريانون. «أيصدق هذا فعلاً؟»

هزّ سام بكتفيه. «جميعنا مرتبكون،» قال.

رأيت باقي القطار يا صديقي،» قال الفتى. «أعرف ما ينويان فعله. فأنا أراقبهما منذ وقت طويل. وجدتُ طريقي إلى هنا بحثاً عن الطعام، أتسلل

مثل فأر أعمى يتفحص طريقه. أتفهم قصدي؟»

«لا، ليس فعلاً،» قال سام.

«نصف ما قلته ليس مهماً،» قال الفتى. «لكن اسمع هذا. أستطيع شم رائحة طعام، أتفهم قصدي؟ يم يم طعام قد تلتهم أصابعك من بعده. لكن لا أريد أن آكل ما يعده ذانك الغولان. لذا عليكم أن تأملوا التمكن من الهرب من هنا قبل أن تصبحوا وجبة طعام لهما أيضاً. ثق بي أيها الشاب، لا تريد أن تبقى من أجل العشاء.»

«لن أغادر،» قال جايسون. «لا أعرفك. نيك ورايتشل يعتنيان بي. لا أستطيع السير. أنا مريض.»

رفع الفتى جايسون إلى كتفه وحاول السير. مشى خمس خطوات قبل أن يتعثر فأمسك بهما سام وهم يقعان. أيقظت الضجة كلير، التوأم الأخرى. كانت أوهن من أخيها، وقضت معظم الوقت نائمة.

«ما الذي يحدث؟» سألت.

«لا بأس،» قال ريانون. «سنخرج من هنا.»

«لا أريد الذهاب،» تذمّرت كلير. «أنا متعبة.»

«لا تستطيع الوقوف،» قال جايسون. «دعونا وشأننا.»

نظر الفتى إلى سام. «الأمر خارج عن السيطرة،» قال. «أنا سريع وأتعامل مع الظروف بسرعة، لكنني لست قوياً كفاية لأحمال أوزاناً ميتة.»

«لن ننجو أبداً،» قال سام. «لن نتمكن من إخراجهما من النافذة.»

«سنضطر إلى تركهما،» قالت ريانون وهي تقاوم للوقوف على رجليها. «ليس لدينا خيار.»

جلس الفتى متربّعاً على الأرض وبدا كئيباً.

«كنتُ آمل إنقاذهما أيضاً،» قال. «أردت اخراجكم جميعاً من هنا. كنتُ سأصبح بطلاً للمرة الأولى.»

«أنت بطل،» قال سام. «لكنك لست هرقل. لا يمكنك فعل المستحيل.»

«أتريد أن تتركهما أيضاً؟»

«إذا لم يريدا الذهاب، فلا يمكننا إجبارهما.»

وقف الفتى وأمسك بكتف سام. «أقنعهما أيها الصغير، رغم صعوبة الأمر، يبدو أنك قادر على ذلك. لكن لا يمكننا تضييع وقت طويل هنا. إذا علت الضجة وأشعلنا الضوء أكثر فسيحظى الجزاران بفرصة أكبر للحاق بنا والبحث عنا.»

ركع سام بالقرب من التوأم اللذين جلسا متكوّرين أحدهما على الآخر بوجهيهما الخائفين.

«لقد اعتدنا على المكان هنا،» قال جايسون. «إنه آمن من الغرباء. نحصل على طعام. لا نُضطر إلى القلق حيال شيء.»

«لكنهما سيقتلانكما،» قال سام.

«أنت لا تعرف هذا.»

«ماذا حصل لمارك؟» قالت ريانون. «والفتاة الأخرى؟»

«لقد شُفيا،» قالت كلير. «ساعدهما نيك في الخروج إلى الضوء. عندما نُشفى، عندما نصبح قويين، سيساعداننا أيضاً.»

«أنتما أحمقان،» همست ريانون، وبدأت كلير تبكي.

«التزما الصمت فحسب،» همست ريانون، ثم أنّت في ألم حين حاولت السير، تعضّ على شفتها لتمنع نفسها من البكاء.

«رجلاي ضعيفتان جداً،» قالت.

«اجعليهما قويتين،» قال الفتى. «لدينا مسافة طويلة نقطعها قبل الوصول إلى المنزل أحراراً.»

«حسناً. سأحاول.

«إذاً،» قال الفتى. «هل نتركهما أم نأخذهما معنا؟»

«هيا بنا،» قال سام.

«نحن ذاهبون.»

48

انخفض الفتى تحت العربة وحبا على طولها. تبعه سام. كان الفتى قد كسر نافذة الباب عند الطرف. زجاج باب العربة التالية كان مكسوراً أيضاً. نظر سام إلى الفتحة بين العربات، فكر أنه قد يتمكن من حشر نفسه عبرها. نظر إلى الفتى. نظر الفتى إلى ريانون وهز برأسه.

من المستحيل أن تمر.

بدلاً من ذلك، مدّد الفتى قطعة الكرتون على إحدى الحافات المنخفضة للنافذة ومر عبرها.

استدار نحو الفتحة وأومأ للولدين الآخرين للحاق به.

ساعد سام ريانون في السير، تاركين خالفهم جايسون وكلير يبكيان. كانت ريانون تعاني لالتقاط أنفاسها وتلهث بصفير. وصلوا إلى النافذة، فتسلقت ريانون فوق قطعة الكرتون.

احتاجت إلى وقت طويل للعبور. بشجاعة، لم تصدر أيّ صوت لكن سام شعر أن ذلك كان بمثابة عذاب لها بسبب رئتيها الملتهبتين ورجليها الهزيلتين. لكنها قاومت، مع الفتى يسحب وسام يدفع، وأخيراً عبرت النافذتين إلى العربة التالية.

قفز سام خلفها متسلقاً من دون أي مشكلة. كان عازماً على مساعدة ريانون لدرجة أنه بالكاد شعر بآلامه وأوجاعه.

حالما وضع سام قدميه على الأرض، تحرك الفتى مجدداً.

هذه العربة، التي لمحها سام عندما كان نيك يسمح له بدخول المرحاض،

كانت تُستخدم كمخزن. كل القطع والفضلات التي جمعها نيك ورايتشل من تحت الأرض كانت هنا. كراسيّ وطاولات تحمل شعار المحطة، بعض المعدات، صناديق مليئة بخردة المعدن والخشب، لفائف من الأسلاك، أكوام من الصحف والمجلات.

أسرع الولدان نحو الممر الرئيسي، يجرّان ريانون تقريباً، حتى وصلوا إلى الأبواب عند الطرف حيث كان الزجاج المكسور متناثراً على الأرض. أبعده الفتى جانباً بحذائه الرياضي ومجدداً وضع قطعة الكرتون على طرف حافات النافذة الحادة.

كرروا المناورة نفسها كالسابق، لكن كانت أصعب هذه المرة. بدت ريانون أكثر ضعفاً وأقل تنفساً. تذكر سام مساعدة أمه في وضع اللحاف في غطائه بعد غسله، كيف كان اللحاف كبيراً و لم يدخل بسلاسة كما تريده أن يدخل. كان الأمر مماثلاً في حالة ريانون، وهو يحاول بطريقة ما إدخالها عبر الفتحة الضيقة.

كان سام يتصبّب عرقاً ومتعباً عندما تمكنا أخيراً من إدخالها عبر النافذة فسقطت على الأرض بقوة. قفز بسرعة وتسلق خلفها.

أجلسا ريانون على مقعد لترتاح. نظر سام حوله. كانت هذه العربة المكان الذي خزنّ نيك ورايتشل فيه طعامهما الاضافي. كانت هناك بعض الأكياس وأكثرها كانت معلبات من الفواكه، والخضار، واللحم، والحلوى، وعصير الفواكه، والحساء. كان هناك أيضاً رف كامل من طعام الكلاب والقطط.

«من أين حصلا على كل هذا؟» سأل سام.

«هناك متاجر في بعض محطات قطارات الأنفاق، ونواد وما إلى ذلك، عندما تتفقد المكان تُذهل يا عزيزي مما قد تجده. صدّق كلامي.»

«أشياء كثيرة،» قال سام. «بالتأكيد لا يحتاجون إلى أكثر من هذا. ربما كنتما مخطئين. ربما لم ينويا أكلنا.»

«إنهما يقومان بما يبرعان فيه،» قال الفتى. «لديهما خطة دائمة وهي

جعلكم أسمن بتغذيتكم على الطعام الذي لا يريدان تناوله، ثم يأكلانكم عندما تصبحون ممتلئين جيداً.»

«أشعر بالمرض،» قالت ريانون.

«لا تجلسي على الأرض بكسل تشعرين بالأسف على نفسك،» قال الفتى بينما رفعها على رجليها. «لدينا عمل ننجزه.»

مشى بها سريعاً عبر العربة، وريانون تتعثر في كل خطوة.

«المرحلة التالية لن تكون سهلة،» قال الفتى بينما اقتربوا من النافذة.

استطاع سام شم رائحة قبل الوصول إلى هناك. رائحة عفن مختلطة برائحة الملح وعفن اللحم.

«نكاد نصل إلى الخارج،» قال الفتى. «العربة التالية هي الأخيرة. لقد فتحت الأبواب عند النهاية. يمكننا النزول من القطار.»

هذه المرة لم يظن سام أنهم حقاً سينجون. كان متأكداً أن ريانون ستنهار في منتصف الطريق وسيعلقون هنا. كانت الفتاة المسكينة تبكي وتلهث تعباً مع كل خطوة خطتها. لكنهم عبروا النافذة بسلام. لقد دخلوا العربة الأخيرة. واجه سام صعوبة في التسلق خلفها. كان أبطأ هذه المرة مع إحساسه بالتعب في عظامه وعضلاته.

طار الذباب في المكان وكانت الرائحة أقوى.

«احبسا أنفاسكما، قال الفتى وهو يشعل ولاعته. «حاولا ألا تنظرا.»

لكن بالطبع كان ذلك أسوأ ما يمكن قوله. لم يستطع سام مقاومة إلقاء نظرة على الجانبين بينما مشوا نحو باب العربة.

ألقى نظرات سريعة.

شيء معلق في خطاف تدلى من الدرابزين. دلو تقطر منه قطرات الدهن. قدم، مملحة، وتُركت لتجف. يد مقطعة. صندوق فيه ثلاث جماجم بنية اللون. كومة من العظام على الأرض المغطاة بالنشارة.

أحسّ بالقيء يرتفع إلى حلقه فحاول السيطرة على نفسه. لم تكن ريانون محظوظة جداً، فسقطت على الأرض تتقيّأ وتنتحب.

«يجب أن نعود من أجل التوأم،» قالت. «نخبرهما بما رأينا.»

«مستحيل،» قال الفتى. «علينا مواصلة التحرك لإنقاذ أنفسنا وإلا فسينتهي بنا الأمر معلقين في خطاف مثل هذا المسكين هنا.»

«لا أستطيع التحمّل،» بكت ريانون.

ركع سام بالقرب منها ووضع يده بلطف تحت ذراعها.

«لا بأس ريانون،» قال. «ستكونين بخير. سنخرج قريباً من هنا. ربما يمكنني إيجاد مساعدة والعودة إلى هنا لإنقاذهما.»

«نعم،» مسحت ريانون أنفها. «حسناً. نعم. سأكون على ما يرام.»

ساعدها سام على النهوض. في وسط العربة كانت قطعة خشب كبيرة، لوح للتقطيع علته الندوب من كثرة الاستخدام، ملطخ بالأسود والقرمزي. وضع عليه ساطور لتقطيع اللحم. حمله سام.

«اتركه أيها القريدس،» قال الفتى. «فكرت في هذا مسبقاً. إنه ثقيل جداً. لا فائدة من استخدامه.»

«سأستخدمته إذا اضطررت، قال سام. «سأقتلهما كليهما.»

«لن تتمكن من ذلك بواسطة هذا. إنه لرجل راشد، وليس لتافه مثلك. تحتاج إلى أداة مثل أداتي. بحثت، لا شيء هنا مناسباً لمجرم متهوّر. هذا الساطور الضخم سيبطئ من سيرك فحسب.»

حاول سام رفعه، لكن كان الفتى على حق. بالكاد استطاع تحريكه. ألقى به على الأرض فهوى ثقيلاً.

ثم رأى شيئاً آخر. في صندوق الأسياخ.

مشبك على شكل الفراشة.

أمسك به سريعاً. شعر بالقوة مجدداً.

«لديّ أداتي المناسبة الآن،» قال. «هيا بنا.»

«أرجوكما،» قالت ريانون. «أحتاج إلى الراحة. لا يمكننا المتابعة.»

«هنا؟» سأل الفتى. «لا بد أنك تسخرين مني. هي انهضي أيتها القوية.»

قادهما الفتى إلى الباب، فتحه ونزل إلى مسار السكة. زفرت ريانون

وتذمّرت لكنها تبعته بينما وقف سام خلفها وضربات قلبه تتسارع.

«لِمَ نحتاج للعودة إلى الرصيف؟» قال.

«لا يمكننا مواصلة السير في هذا الاتجاه،» قال الفتى. «النفق مسدود. كل ما علينا فعله هو الزحف تحت القطار. هناك فتحة واسعة يمكن الخروج منها.

«أعرف،» قال سام. «لقد جربت ذلك سابقاً.»

«لنفعلها إذاً،» قال الفتاة وأمسكها ريانون من كتفيها. «هل تشعرين بأنك قادرة على لعبة تسلل أولمبية يا فتاة؟»

ابتلعت ريانون ريقها. كانت تتنفس بصعوبة وبالكاد استطاعت أن تومئ برأسها.

تقدموا على طول مسار السكة تحت القطار. لم يجرؤ الفتى على استخدام الولاعة بعد الآن، لذا كان عليهم استشعار طريقهم، تماماً كما فعل سام عندما هرب من الراشدين في كامدن تاون.

منذ متى حدث ذلك؟

لم يكن لديه أيّ فكرة.

لم يستغرقوا وقتاً طويلاً للوصول إلى الفتحة، أطل منها سام.

كانت الشموع لا تزال تشع في المنطقة بوهجها الأصفر.

نظر عبر الرصيف إلى اليمين. لم تكن المسافة إلى نهاية الرصيف بعيدة. طول عربة واحدة. لكن سيكونون ظاهرين للعيان، عليهما عبورها للوصول إلى المخرج.

«هذا هو الجزء الأصعب،» همس الفتى وهو يحرّك برأسه في اتجاه سام. «مساحة مفتوحة. لا طريق أخرى لتفاديها.»

نزل الولدان مجدداً تحت القطار.

«علينا عبور المساحة سريعاً مثل ضفادع قافزة، «قال الفتى لريانون. إذا عبرناها من دون أن يرانا أحد، فسنصبح أحراراً طلقاء. سنتسلق حتى الأعلى ونغادر. إذا رأيانا، فستكون قصة مختلفة. لن يطلع علينا صباح آخر.

قد نُسجن بين جدران وأبواب موصدة تغطيها الستائر، وربما السجاد أيضاً. ما رأيك يا فتاة؟»

«اسمها ريانون،» قال سام. «وأنا اسمي سام.»

«اسم جميل. فتاة جميلة. يسرّني التعرف إليكما. كان يجدر بي إحضار الزهور أو الشوكولاته أو فأرة ميتة.»

ضحكت ريانون ووضعت يدها على كتف سام. «انطلق أنت أولاً،» قالت. «إذا رأيتك تنجح، فسأشعر بشجاعة أكبر.»

«هل أنت متأكدة؟»

«اذهب. حظاً طيباً.»

نظر سام أمامه. مما يستطيع رؤيته، كان المكان آمناً. حشر نفسه عبر الفتحة الضيقة زاحفاً على بطنه فوق الرصيف. نظرة سريعة إلى اليسار واليمين، ثم زاد من سرعة زحفه حتى الطرف. كان المخرج مقفلاً بسلسلة وقفل. سيحتاج إلى مساعدة الفتى.

كانت دقات قلبه تتسارع بجنون، والدم يتدفق في رأسه، شعر بالإعياء مجدداً. نظر خلفه. كان القطار ثابتاً مكانه. لم تكن هناك أيّ حركة في عربة نيك ورايتشل. كانت الأبواب موصدة.

كانت ريانون تشق طريقها ببطء وصعوبة عبر الرصيف، والفتى يدفعها من الخلف. عرف سام مدى صعوبة الأمر. خرجت من الفتحة وتمدّدت على بطنها تحاول التقاط أنفاسها. همس الفتى كلمات سريعة في أذنها، ولوّح له سام.

بطريقة ما، بدا أن الفتى يختلط بمحيطه وبالكاد اختفى، متحركاً مثل جرذ زاحفاً في الظلال ليصل إلى سام.

«لا شيء صعب،» همس فظهرت أسنانه البيضاء في عتمة الليل. «أسهل من أكل كعكة.»

أرى سام القفل للفتى الذي عمل عليه سريعاً بأدواته الخفيفة حتى فتحه. كان بمثابة كابوس أن يحاول نزع السلسلة من القفل من دون إصدار

ضجة، لكنهما تعاونا ليفتحا الباب لمسافة تكفي لمرورهم من خلاله.

«لنجلب الفاتنة يا رجليْ الدجاجة.» أشار الفتى إلى ريانون.

«لا تنعتني بهذا الاسم،» قال سام بابتسامة. «ليس لديّ رجلا دجاجة.»

«إنهما نحيلتان بالتأكيد.»

«لست سميناً.»

«ليس تماماً، لا...»

«اششش.» وضع سام يداً فوق فم الفتى.

وقفت ريانون على قدميها وبدأت العبور. كانت تعرج، تحاول التقاط أنفاسها. تتحرّك ببطء وألم.

«هيا،» قال سام. «هيا، يمكنك أن تنجحي.»

«استطاع رؤية التعبير على وجهها. يائسة، خائفة، لكن مصمّمة. لم يكن هناك ما سيوقفها.

«ستنجح،» قال الفتى. «هيا يا فتاة. هيا يا عزيزتي ريانون.»

ترنحت ريانون ووقعت على ركبتيها. لم تستطع كبت صرخة ألم فحبس سام أنفاسه.

«انهضي يا فتاة،» قال الفتى، لكنها لم تستطع.

«هيا،» قال سام. اضطر كلاهما إلى الوقوف والذهاب لمساعدتها. وضع كل منهما يداً تحت ذراعيها ورفعاها.

لم يكادوا يخطون ثلاث خطوات حتى سمعوا حركة. شيء اندفع من الظلال ووقف مستنفراً أمامهم. كان أوريون، هر نيك ورايتشل. رفع جسمه إلى أعلى، وأطلق مواءً يشبه زعيق غراب بشع.

قفز سام من المفاجأة، ثم ابتلع ريقه بصعوبة عندما رأى باب عربة نيك ورايتشل يُفتح مع صرير قوي، وهناك وقف نيك بوجه غاضب.

«هاي!» نادى. «إلى أين تظن نفسك ذاهباً؟»

49

«هل هذا يؤلم؟»

«نعم!»

«هذا؟»

«نعم، كل شيء يؤلم!»

أسندت ماييف ظهرها إلى كرسيها وحاولت أن تبتسم لماكسي ابتسامة مطمئنة.

«حسناً، لا أظن أن ذراعك مسكورة،» قالت. «قد يكون هناك كسر صغير خفيف، لكن ليس بتقديري. إنها مصابة إصابة قوية.»

«لا أحتاج إليك لتخبريني هذا.»

«أنت مريضة فظيعة.»

«لا أريد أن أكون مريضة. ماذا عن أضلعي؟»

«قد تكون مكسورة أيضاً. لكن ليس هناك عظام بارزة. لا يمكن فعل الكثير للأضلع المكسورة. عليك توخي الحذر ببساطة. حاولي ألا تضحكي.»

«سيكون هذا سهلاً.»

حدّقت ماكسي بسقف قاعة الاحتفالات المزخرف. جبس على شكل كعكات زفاف مع أوراق ذهبية وزخارف فخمة. ثريات علاها الغبار تدلت في جميع أرجاء المكان. من الغريب كيف يعتاد الشخص كل هذا سريعاً.

«ربما عليك الذهاب إلى قسم التمريض حيث بلو،» قالت ماييف. «دعي

روز وممرضاتها يعتنين بك. إنهن منظمات جيداً.»

«لا،» قالت ماكسي. «لن أضع نفسي بين أيديهن. سأكون على ما يرام.»

لم تشعر بحال جيدة. كانت هناك إصابة بالغة في جنبها وبالكاد استطاعت تحريك ذراعها.

لم تكفّ عن التفكير بفريك.

دفنوه في حدائق القصر ذلك الصباح فور عودتهم من المعركة. وقف الجميع تحت المطر، بصمت وتعاسة. أرادت ماكسي قول كلمات قليلة، تماماً مثلما فعل فريك عند دفن أران، لكن لم يكن لديها ما تقوله.

«سأحضر لك بعض المسكنات،» قالت مايف.

«شكراً.»

«حاولي التفكير بأفكار إيجابية. ستشفين أسرع.»

«أفكار إيجابية...؟ بربك.»

«أعرف أن هذا صعب.»

«المسألة هي مايف، أننا عندما وصلنا إلى هنا كان كل شيء على ما يرام. لكن هذا غير صحيح. كان كل شيء في حالة فوضى.»

«هيا،» قالت مايف. «لا تنسي سريعاً كيف كانت الحال في ويتروز. كان جحيماً. كان عددنا ينقص في كل أسبوع.»

«حينها، كنا نعرف على الأقل أين نحن. كنا أصدقاء. كنا معاً في السراء والضراء. أصبح عددنا كبيراً. نحن نتداعى. نخسر التواصل بعضنا مع بعض. الأمر معقد جداً.»

قبل أن تنطق مايف بكلمة، فتح الباب وظهر أولي.

«ذهبت لرؤية بلو،» قال. «إنه في قسم التمريض مع تلك الفتاة التي أنقذناها بالقرب من غرين بارك.»

«كنتُ قد نسيت أمرها،» قالت ماكسي. «كيف حالها؟»

«سيئة، على ما أظن.»

«وبلو؟»

«إنه واع على الأقل، لكنه تقيأ في أنحاء المكان. تقيّأ تلك المادة التي تشبه صفار البيض.

«الصفراء،» قالت مايف. «غالباً ما تحدث عند التعرّض لارتجاج في المخ.»

«هل هناك أحد برفقته؟» سألت ماكسي.

«كانت ويتني هناك لكن طلبت روز منا الخروج متذرعة بأنه يحتاج إلى الراحة. كيف حالك أنت؟»

«أنا بخير.»

جلس أولي. «يريد دايفيد التحدث إليك بشأن ما حدث هذا الصباح.»

«ليس لديّ ما أقوله له.»

«نحن مدينون له بـ...»

«نحن غير مدينين له بشيء!» صرخت ماكسي، ثم أجفلت وأمسكت بأضلاعها المتألمة.

«بلى،» قال أولي. «لقد منحونا طعامهم. سمحوا لنا بالبقاء هنا. قد يكون دايفيد أحمق متباهياً لكنه ذكي ويتقن التنظيم. لا نريد أن نفسد الأمور.»

«لن أمضي بقية حياتي أقاتل مكانه،» قالت ماكسي. «أي نوع من الحياة هذه؟»

«حالياً هي الحياة الوحيدة أمامنا،» قال أولي. «أينما ذهبنا، فستكون لندن كما هي في كل مكان. سنخوض معارك. هكذا هو العالم الآن. من الأفضل أن نقاتل من أجل شيء يستحق القتال. من الأفضل أن نتعاون مع المجموعة الأقوى في المكان، مع من يبدو أنهم سيكونون في القمة.»

«حسناً، ماذا إن كان أولئك الذين قاتلناهم اليوم وصلوا إلى القمة؟ هل تنضم إليهم؟»

تنهّد أولي ومرّر أصابع يديه الاثنتين عبر شعره الأحمر.

فكر للحظات، لكن لم ينبس ببنت شفة.

50

أمسك سام والفتى ريانون من ذراعيها وكانا يجرانها عبر المحطة بكل ما أوتيا من جرأة. كان الظلام دامساً و لم يخاطرا باستخدام الولاعة. لم يكن أحدهما متأكداً من طريق الخروج، كل ما كانا يعرفانه هو أن عليهما مواصلة طريقهما. لكن القول أسهل من الفعل. كانت المحطة عبارة عن متاهة من الأنفاق والممرات وفتحات في جميع الاتجاهات وصولاً إلى أرصفة وخطوط أخرى. كانت المحطة مربكة حتى عندما كانت الأضواء مشعلة في الماضي، لم يفهم سام أبداً نظام محطات قطارات الأنفاق. لكن في الظلام، كانت كابوساً.

عندما رآهم، عاد نيك إلى العربة ليحضر شيئاً، فركض الأولاد. كانت مجرد مسألة وقت حتى يلحق بهم. كان يعرف الطريق جيداً وكان أسرع.

«يجب أن نختبئ،» قال الفتى.

«أين؟» قالت ريانون.

«لنبحث عن مكان.» قال الفتى.

سمعوا صوت خطوات فنظروا خلفهم ليروا شعاع مصباح يضيء ظلمة الليل، يتأرجح على الجدران. أخرج الفتى الولاعة من جيبه وأشعلها بيد واحدة. رأوا إشارة مخرج فتبعوها. ركضوا عبر نفق قصير، التفوا يميناً فرأوا سلماً متحركاً. سلمان متحركان بينما واحد ثابت.

«من هنا،» همس الفتى فاتجهوا إلى الوسط. كان الصعود على السلم العادي أسهل من السلم المتحرك المعطل والذي كانت درجاته أكثر. عندما

وصلوا إلى الأعلى، كانت ريانون تلهث وتصفر من الألم. كان مؤكداً أنهم سيضطرون إلى التوقف قريباً. لكن عندما أشعل الفتى الولاعة، أدركوا أن أمامهم المزيد من السلالم وإشارة خروج تشير نحو اليمين.

«يجب أن نواصل سيرنا،» قال سام لريانون التي لم تقوَ على التكلم.

«يجب أن نفعل،» قال سام وهو يهزها.

بلعت ريانون ريقها. أومأت إيجاباً. أمسك بها الولدان من تحت ذراعيها وجرّاها مجدّداً.

نفق آخر. سلم متحرك آخر. ضوء خافت يظهر من الأعلى.

«لا بد أننا نكاد نصل،» قال سام. «سيكون الهرب أسهل عندما نصبح خارجاً.»

«لن أصل إلى أعلى...» قالت ريانون وكل كلمة تؤلمها.

نظر سام حوله. كانت هناك سلالم قد تُركت قيد التصليح. أكوام نفايات عند أسفل السلم المعطل. قطع من الخشب والأسلاك وألواح كرتون كبيرة.

كانت أصوات الخطوات تعلو أكثر. وكان ضوء المصباح يشع أكثر عبر النفق الذي خرجوا منه.

أومأ سام في اتجاه كومة النفايات من دون أن يجرؤ على التكلم.

تسلق ثلاثتهم خلف لوح من الكرتون واختبأوا خلفه، تكوّم بعضهم على بعض، في محاولة ليصبحوا أصغر حجماً. كانت ريانون لا تزال تحاول التنفس بصعوبة.

«لا أستطيع الاستمرار،» قالت لاهثة. «أحس أنني سأنفجر. أحس بالدوار الشديد. لا تجبراني على الاستمرار، أرجوكما...»

«اششش،» قال الفتى. «اهدئي الآن.»

تأكد سام من أنه يستطيع رؤية ما يحصل، متلصصاً من خلف لوح الكرتون. رأى نيك يندفع خارجاً من النفق ومصباحه في يده وبندقية في الأخرى. خلفه، كانت رايتشل تحمل مصباحاً أيضاً. سلط كلاهما الضوء سريعاً نحو السلم المعطل.

أطلقت رايتشل الشتائم. «هل صعدوا السلالم؟»
«لا أعرف. لم أسمع شيئاً،» قال نيك.
«هل هربوا؟»
«لا يُعقل ذلك،» قال نيك. «كانوا أمامنا مباشرة.
«أيُعقل أنهم سلكوا الاتجاه الآخر؟»
«ربما فعلوا. قد يكونون في أيّ مكان.»
نظرت رايتشل مجدداً نحو السلم المعطل. كان هناك ما يجعلها تشعر بالتوتر.
«ربما علينا أن ندعهم وشأنهم يا عزيزي.»
«ندعهم وشأنهم؟» قال نيك. «بعدما كل ذلك الطعام الذي أهدرناه عليهم؟»
«لا أريد أن أصعد إلى الأعلى.»
«ربما لم يصلوا إلى أعلى بعد،» قال نيك. «ربما لم يقطعوا كل تلك المسافة.»
«أتظن أنهم لا يزالون في الأنفاق؟» قالت رايتشل.
«لا بد من ذلك. سأعود وأبحث.»
«سأتجه نحو قاعة بيع البطاقات،» قالت رايتشل. «سأصرخ إن سمعتُ شيئاً.»
«حسناً،» قال نيك. «لكن توخي الحذر.»
«آه، إنهم مجرد أطفال،» قالت رايتشل وصعدت السلم المعطل.
عاد نيك أدراجه إلى الأنفاق.
كانت ريانون تحاول كتم أنفاسها، حتى لا تصدر أيّ صوت، لكن كان ذلك صعباً عليها. تنشقت نفساً طويلاً إلى حلقها المتألم بينما تحرك ضوء رايتشل في المكان.
عادت ونزلت السلالم.
«ما هذا الصوت الذي أسمعه؟» قالت بنعومة. «أهو أنتم يا صغار؟ هل

أنتم هنا؟ لا تخافوا، هذه أنا. رايتشل. أعرف انكم خائفون جداً وحدكم هنا في الظلام. لا تقلقوا، سأعتني بكم.»

بينما تكلمت، اتجهت إلى أسفل السلالم بالقرب من كومة النفايات. كان صوتها ناعماً ومطمئناً، مثل شخص يتكلم مع هر صغير أو عصفور خائف دخل إلى المنزل.

وقع ضوء المصباح على ثلاثتهم فابتسمت وأمالت رأسها إلى الجانب.

«ها أنتم يا حملاني، لا تخافوا. انظروا لشكلكم. لا يجدر بكم أن تكونوا خارجاً، أليس كذلك؟»

شعر سام بريانون ترتجف إلى جانبه، واستطاع سماع نفسها يصفر بين رئتيه. أمسك بمقبض الفراشة جيداً.

«تعالوا، تعالوا إلى ماما. سأعتني بكم. ألم نبقكم دافئين ونطعمكم طعاماً لذيذاً؟ ها؟ ألم نحمكم من الخطر وبعيداً عن طريق الأشرار؟ ها؟ أنتم لا تريدون الخروج إلى ذلك العالم الكبير، أليس كذلك؟ ما الذي ستفعلونه هناك بوجود كل أولئك المجانين. أنتم بأمان أكبر مع رايتشل ونيك، صحيح؟»

وقفت في طريقهم الوحيد للهرب. وقفت بصلابة وصرخت بأعلى صوتها.

«نيك! لقد عثرت عليهم. إنهم هنا يا حبيبي!»

«نل منها!» صرخ سام واندفع نحوها ناطحاً بطنها برأسه. صرخت وتراجعت إلى الخلف، لكنها كانت قوية وسام صغير جداً. ذكّره ذلك باللعب مع والده. عندما كان والده يدّعي أنه أصيب، أنه تأذى، بينما عرف سام طوال الوقت أنه كان باستطاعته رفعه ورميه عبر الغرفة.

«حسناً، حسناً،» قالت رايتشل وهي تحاول ألا تغضب. «هذا يكفي.»

دفعت بسام على الأرض فارتطم بقوة. لكن الفتى نهض وانطلق نحو رايتشل لاكماً إياها بقوة. حتى ريانون انضمت إليه. لقد رأوا اعربة اللحم. كانوا يعرفون ما تقدر رايتشل على فعله. هاجمها الثلاثة وجعلوها تتعثر وترتطم بالأرض. اندفع سام نحوها بسلاحه المشبك، لكنه تمكن من خدش رقبتها فقط.

«من أين حصلت على هذا،» صرخت رايتشل بغضب وقد أطلقته أخيراً بينما قاومت للوقوف على قدميها. «أعد هذا لي.»

«إنه ملكي،» قال سام. «لم يجدر بك أخذه أبداً.»

«أعطني إياه!» صرخت ومدّت يدها لتنزعه بالقوة، لكن سام غرز المشبك في راحة يدها. صرخت وسحبت يدها. كادت تضربه وتوقعه أرضاً بواسطة مصباحها الذي كانت تحمله في يدها الأخرى، محطمة إياه. حاولت أن تركل سام لكنه تدحرج بعيداً عن طريقها وغرز المشبك في رجلها. كانت صرختها هذه المرة فظيعة. عالية وقوية، تردّد صداها عبر الأنفاق. نهض سام سريعاً، أمسك بريانون والفتى وانطلقوا صاعدين السلالم.

كان الألم لا يوصف بالنسبة لريانون، وعند منتصف السلالم، عرف سام أنهم لن يصلوا أبداً إلى الأعلى. كان على وشك أن يقول شيئاً للفتى عندما دوت فرقعة قوية ووميض، فصرخت ريانون.

تعثّر ثلاثتهم وسقطوا من الصدمة. كان سام مدهوشاً، الضجة والضوء أفقداه تركيزه. مضت بضع ثوان قبل أن يدرك أنه لم يتأذّ، لكن ريانون كانت تبكي. كانت على مسافة ثلاث درجات منه. جلس ومد يده لها. كان قميصها رطباً. استطاع أن يرى عليه بقعاً سوداء عبر الضوء الخافت. كانت تنزف. لقد أصابها طلق ناري.

كان واضحاً أنها لن تستطيع إكمال الطريق.

«تابعا طريقكما،» قالت بوهن. «لن تصلا أبداً معي.»

«لا،» قال سام، لكن صوت سام دوّى عبر الأجواء.

«لا يتحرك أيّ منكم. سأصوّب بندقيتي نحوكم مباشرة.»

«انخفض،» قال الفتى، «واركض بأقصى سرعة ممكنة. لن يتمكن من إطلاق النار عليك وتوجيه مصباحه في الوقت نفسه.»

«لا يمكننا ترك ريانون،» انتحب سام.

«اذهبا فحسب!» قالت ريانون.

لم يعرف سام ما يفعل لكن الفتى اتخذ القرار. شد سام من قميصه

وانطلق كلاهما عبر السلالم.

كان نيك يركض خلفهما، لكن عندما وصل إلى ريانون أمسكته من رجليه فتدحرجا كلاهما إلى الأسفل. كان ذلك كل ما احتاج إليه الولدان للهرب.

كانا في قاعة بيع البطاقات أخيراً، دلّهما ضوء خافت على طريقة الخروج إلى الشارع. علا الصراخ والصيحات خلفهما. حاول سام ألا يتخيّل ما الذي كان يحدث، لكنه شكر ريانون بصمت. سيبقى مديناً لها حتى آخر يوم في حياته.

وثبا من فوق حاجز مقصورة بيع البطاقات واتجها نحو السلالم. تسلقاها ثلاث درجات في كل خطوة.

أحس سام بضوء النهار يغشي عينيه. ترنّح في سيره، غطى عينيه من الوهج. أحس بالألم جسدياً وأصيب مباشرة بصداع. رأى بعينين غير واضحتين كنيسة، ومبنى قديماً طويلاً.

أحس بالفتى يمسك به.

«تحرّك أيها السلحفاة،» قال. حدّق به سام بعينين نصف مغمضتين. أخرج الفتى نظارة شمسية من مكان ما، نظارة زهرية اللون كبيرة على شكل قلبين. قاوم سام ألا يضحك. يجدر أن يكون الفتى من يضحك. شدّ سام عبر الرصيف الرطب. استطاع سام أن يستنتج مكانه عبر جفنيه شبه المغمضين. هذه مدينة لندن، حيث تداخلت لندن القديمة والجديدة، ناطحات سحاب حديثة اصطفت بالقرب من أبنية فيكتورية عبر شارع من القرون الوسطى.

«يجب أن نُسرع،» قال الفتى.

تعثر سام خلال مشيه، وهو يشعر بالفتى يجره عبر الطريق. وصلا إلى منطقة معبّدة أمام مبنى ضخم بدا مثل معبد يوناني. كانت عينا سام تتحسنان. لم تعودا تؤلمانه كثيراً. نظر إلى الأعلى، إلى تمثال رجل يمتطي حصاناً. ثم أحس بهزة عنيفة ورُمي على مقعد خشبي.

كان نيك.

«سأذبحكما أيها الخنزيران الصغيران،» زمجر. كانت جديلاته تهتز بقوة على رأسه مثل أشعة الشمس في رسم طفل. لكن وجهه كان عبارة عن صورة غضب بحتة. لم يكن هناك أثر لرايتشل.

حمل بندقيته في يد واحدة، لكن قبل أن يتمكن من تصويبها نحو سام، رمى الفتى نفسه على يده فترنح نيك وارتطم جانب البندقية بحجارة التمثال. انطلقت رصاصة منها وهي في يد نيك فرماها سريعاً، التوت فوهتها كلياً و لم تعد صالحة للاستخدام. لم يضيّع نيك وقتاً على الإطلاق فأخرج سكيناً من داخل معطفه. ألقى نظرة سريعة نحو الفتى. كان قد وقع بقوة، وفوهة البندقية إلى جانب وجهه. بدا مذهولاً. بل مصدوماً.

استدار نيك معيراً انتباهه إلى سام، الذي كان يحاول جاهداً فتح عينيه نصف المغمضتين من الضوء. رأى أن نيك يواجه مشكلة أيضاً، كانت عيناه حمراوين والدموع تسيل على وجهه. مسح دموعه ونظر بحدة نحو سام، رافعاً سكينه. كان قديماً ومُستخدماً كثيراً، عريضاً، شفرته مموّجة من كثرة الاستخدام. لوّح بها نحو سام الذي انخفض بدوره. شعر بالسكين يصدر حفيفاً خلف رأسه، ملامساً شعره. ضرب نيك مرة أخرى، وبينما حاول سام تفادي الضربة بالانحناء يميناً، أحس بوخز في جنب رقبته. تراجع إلى الخلف عدة خطوات في اتجاه الطريق. تعثر في بركة مياه. كانت تمطر. أدرك أن الشمس لم تشرق بعد رغم أن الغيوم كانت قد بدأت تتلاشى قليلاً في السماء.

كان يتنفس بسرعة. عرف أنه لا يستطيع مواصلة المناورة لوقت طويل. كان نيك ضخماً وبصحة جيدة. أما سام فمجرد طفل.

«قف مكانك أيها الخنزير الصغير،» همس نيك. «سأقضي عليك بسرعة ومن دون ألم. لكن إن أزعجتني، فسأعلقك رأساً على عقب وأجعلك تنزف ببطء، وأنت تعرف أنني قادر على فعل هذا. ستحس بالألم في كل دقيقة. أعدك بذلك. لذا قف مكانك من دون حراك.»

«اذهب إلى الجحيم،» صرخ سام بصوت أجش.

«أكاد أصل،» قال نيك، وضحك، واثقاً أنه سينفذ ما يريده. «ألا تعرف أنني كنتُ الشيطان بعينه؟ نيك الشهير. هذا أنا. وأنت مجرد آثم آخر، أم يجدر بي قول «عشاء آخر»؟»

بدأ سام يشتمه بكل ما عرف قاموسه من شتائم وحتى إنه ابتكر بعضاً منها. ضحك نيك بصوت أعلى.

اندفع سام أسفل شاحنة صغيرة وشعر بالأمان للحظة، حتى أدرك أنه أصبح عالقاً.

أحمق.

كان يجدر به الهرب.

كانت الأرض تحت الشاحنة مغطاة بالزيت وسرعان ما تلطخ بالأسود والقذارة. رأى رجلي نيك تطاردانه حول الشاحنة، طارقاً بيده على جانبها، منادياً بأعلى صوته.

«تعال إلى هنا أيها الخنزير الصغير، تعال إلى نيك.» ثم توقف وانحنى لينظر تحت الشاحنة. رأى سام وجهه المبتسم من تحت حافة الشاحنة. مد يده ليُمسك بسام لكنه تمكن من الزحف إلى الخلف. لكن كان ذلك من دون جدوى. تحرك نيك سريعاً حول الشاحنة وقبض على سام. حاول سام أن يتحرّك لكنّ قميصه علق في شيء. ثم شعر بيد نيك تُمسك به وتجرّه من أسفل مؤخرة الشاحنة، يركله ويصرخ عليه.

بحث سام عن الفتى فرآه يواجه صعوبة في الوقوف على رجليه بالقرب من التمثال. ثم انحنى إلى الأمام وبدأ يتقيأ. حمل نيك سام تحت إبطه، قابضاً عليه بكل ما أوتي من قوة، وتحرك في اتجاه الفتى. ركله ركلة شديدة في جانبه ورماه نحو عمود التمثال.

كان الفتى عاجزاً عن تقديم أي مساعدة.

أنزل نيك سام ليعود ويرفعه بيد واحدة على كتفه. رفع يده الأخرى فوق رأسه. أشرقت الشمس من خلف غيمة ولمعت على شفرة السكين التي كانت حادة جداً.

«سأقطع رأسك الصغير النتن أيها الخنزير المشاكس،» قال نيك بمتعة.

توقف. لعق شفتيه الجافتين. لم يرد الاستعجال.

لقد سبّب هذا الفتى له الكثير من المشاكل. أراد أن يرى الخوف والألم في عينيه قبل الإجهاز عليه. أراد أن يعرف الفتى تماماً ما الذي على وشك أن يحدث له. سيدعه يرى السكين. يريده أن يحس بذلك الخوف عندما يقرّبه منه. كيف سيغرز ويقطع لحم حنجرته الناعم، وصولاً إلى أوتاره، إلى قصبته الهوائية، حتى إلى عموده الفقري. عبر هذه الرقبة الرفيعة. تماماً مثل رقبة دجاجة.

كانت عينا الفتى مفتوحتين على وسعهما. كانت هناك نظرة خوف تُسعد نيك. كانتا مصوبتين على سكينه، تماماً كما يجدر أن يحدث.

لا. لحظة واحدة. هناك خطب ما. لم يكن الفتى ينظر إلى السكين على الإطلاق. كان يرفع إصبعه باستهجان وبدا أنه ينظر إلى رقبة نيك.

عبس نيك ونظر إلى الأعلى.

بقع من الطفح الجلدي كانت تنتشر عبر جلده، واحدة أو اثنتان منها تورمتا لتصبحا بثرتين مليئتين بالدهون. لم يستطع فعل شيء سوى التحديق، مبهوتاً.

لم يجدر به الخروج إلى ضوء الشمس أبداً.

لم يستطع سام الإشاحة بنظره. كان الأمر أشبه بمراقبة قطعة من الطعام في مايكروويف. بدا أن نيك يُطبخ أمامه. نبتت مجموعة أخرى من البثور والدمامل عند مفاصله، بينما تورّمت أصابعه مثل بزاقات منتفخة، تغيّرت إلى اللون الأسود أظافره التي غرقت في اللحم المنتفخ. فقع أحد الأصابع، فخرج منه قيح.

أنّ نيك. كان السكين يترنّح في قبضته، لم تعد يده المتورّمة قادرة على حمله. أوقعه فارتطم بالرصيف.

«انظرا ماذا فعلتما،» قال بصوت مخنوق، فنظر سام إلى وجهه. بشرته كانت تتشقّ أيضاً استعداداً للانفجار. دمامل ذات رؤوس صفراء كانت

تنتشر على إحدى أذنيه وصولاً إلى خده. كانت شفتاه تتورمان كثيراً، مثل نقانق في مقلاة، جلده يشتد ثم ينفجر فيخرج منه لحم زهري.

كان الأمر وكأن كل الشر داخل نيك ينفجر، يشق طريقه عنوة خارج جسده. صفان من الدمامل شقا طريقهما تحت جفنيه السفليين. بدأت تفقع واحدة تلو الأخرى، تنز قيحاً ويسيل منها دم على وجهه. كانت عيناه تنتفخان أيضاً، بدأ لون الأوعية الدموية فيهما يتغيّر إلى أحمر قان. انتفختا خارج عينيه كلياً. تخيّل سام أن أحدهم أدخل منفاخ دراجة هوائية في أذن نيك وبدأ ينفخ كامل رأسه.

اضطر سام إلى الإشاحة بنظره عندما انفقأت أولى عينيه.

أفلت نيك سام ورفع يديه ليغطي الجراح. فتح فمه واسعاً ليصرخ، لكن سام رأى أنه قد امتلأ بالتورّمات والكتل والتقرحات، وأصبح لسانه مثل لسان ضفدع يندفع خارج فمه من بين أسنانه. كانت حنجرته مسدودة كلياً، لم يعد يستطيع التنفس أو التكلم.

لم يعد يبدو بشراً. كان جسمه بأكمله عبارة عن انتفاخات وكتل. سقط جاثياً على ركبتيه. أعمى. يداه تلوّحان في الهواء على غير هدى. كانتا تبدوان مثل ضرعين ولا تزالان مليئتين بالسائل. خلال ثوانٍ بدأت أصابعه تختفي تدريجاً و لم يبقَ سوى أظافره السوداء معلقة في شرايين مهترئة.

رأى سام السكين ملقى على الأرض فالتقطه سريعاً متجاهلاً الدبق على مقبضه. شعر ببعض الأسف على ذلك الشيء الذي كان يُدعى يوماً نيك. تساءل إن كان عليه أن يضع حداً لمعاناة نيك. لكن قبل أن يُقدم على فعل أي شيء، تفسّخ جلد نيك وبدا أنه يتفتت كلياً. انهار مرتمياً على الرصيف، كتل من العفن، واللحم السائل، أحشاء تنفجر وتتبخر تحت أشعة الشمس.

تقيّأ سام ثم أحس بيد الفتى على ذراعه.

دندن مقولة صغيرة ساخراً.

«عناوين التلفاز لهذا الأسبوع...»

«ماذا حدث له؟» سأل سام.

«ألق اللوم على أشعة الشمس. لهذا السبب لم تخرج السيدة العنكبوت أبداً. ستُصاب بغضب كبير، لكن ماذا عساها تفعل؟ دعنا نغادر هذا المكان.»

«ألا يجدر بنا العودة من أجل ريانون؟» قال سام.

«لا نستطيع،» قال الفتى. «انظر...»

أشار إلى حيث مجموعة من الراشدين كانت تمشي بتثاقل في اتجاههما.

«علينا أن نبتعد عن هذا المكان في غمضة عين. على الأرجح أن الفتاة المسكينة ميتة الآن. فقط اشكرها خلال صلاتك.»

وانطلقا عبر الطريق، يداً بيد، سام مسرور بالتواصل البشري.

51

وصلوا عند مغيب الشمس. كارل، القرصان، أتى برفقة عشرة من أجلف وأقوى العشوائيين إضافة إلى بعض الأولاد الأصغر سناً. بدت ملامح العجرفة على وجوه الصغار النحيلين أكثر من زملائهم الأكبر سناً. رافقهم الحرس إلى قاعة العرش فدخلوها عازمين على عدم إظهار أيّ تأثر أو إعجاب، أن يرسموا على وجوههم ملامح باردة، لكن الآن كانوا يقفون جميعهم هناك بأعين محدقة، ووجوه مذهولة.

«يا للهول،» قال كارل. «هذا غير حقيقي».

كل شيء حيال المشهد كان غير حقيقي. العائلة الملكية المريضة جلست في عروشها واللعاب يسيل من أفواههم. كان جون يقف عند أحد أطراف العرش، يداه مربوطتان خلفه، وقدماه متقاربتان برباط واسع حتى يتمكن من المشي لكن ليس الهرب. لُصقت على أنفه حشوة من القطن والصوف وتلوّن دائر عينيه بإصابات بنفسجية. بدا أبشع من أي وقت آخر.

وقف دايفيد وجستر عند الطرف الآخر، متكتفين. كانت بذلة دايفيد نظيفة ومكويّة، وربطة عنقه معقودة بإتقان. كان حرّاس القصر متأبهين أمام العرش، يرتدون بذلات بلون أحمر وأسود، بنادقهم جاهزة، محاولين كل ما بوسعهم ليبدوا حراساً من الطراز الأول.

اطصف بود ومقاتلوه على طول حائط. بينما اصطفت ماكسي وأولاد هولوواي على طول الحائط الآخر. فكرت ماكسي أن المشهد يشبه مسرحية مدرسية سخيفة، مثل شكسبير وما إلى ذلك. مسرحية أبطالها أولاد يدّعون

أنهم ملوك وملكات وجنود. لكنها كانت مهتمة بمعرفة الخاتمة. كانت ترى ابتسامة باهتة على شفتي دايفيد. في تلك اللحظة، كان هو المسيطر، أما العشوائيون فكانوا في الموقف الحرج.

رفع يده إشارة للصمت وبدأ الكلام.

«هذا الصباح، تحدّث رسولي إليكم.»

عضّت ماكسي على شفتها. منذ متى كانت رسولة دايفيد؟ كان واضحاً أن جون لم يحبّذ فكرة الرسول تماماً مثل ماكسي.

«رسول؟» قال، بصوت متحشرج. «ما الذي تتحدث عنه أيها المخنّث؟»

«الفتاة، ماكسي، كانت تتحدث باسمي. أما الآن، فأنا سأتحدث عن نفسي.»

«اسمع يا فتى،» قال كارل. «لم نأت إلى هنا للتحدث، أتينا لاستعادة جون.»

«لم يكن ذلك الاتفاق، صحيح؟» قال دايفيد. «كان الاتفاق إذا أردتم استعادة جون فعليكم التفاوض معنا.»

«ليس هنا شيء نتفاوض عليه،» قال كارل. «وكما أرى، نحن من ربح القتال.»

«لكن لدينا جون،» قال دايفيد.

«لا داعي لتصعيد الموقف،» قال جستر. «لا داعي لنكون أعداءً.»

«ومن قال هذا؟»

«لدينا طعام هنا،» قال جستر. «لدينا الأمان اللازم. كما أن عدد الأولاد هنا أكثر من عددكم. لدينا أسلحة أيضاً، أسلحة كثيرة، وجيش منظم. كل ما نقوله هو – لَمَ لا تنضمون إلينا؟ معاً يمكننا أن نكون أقوياء. يمكننا التغلب على أيّ مجموعة أولاد أخرى. يمكننا أن نحكم لندن.»

مجدّداً، جفلت ماكسي. لم تكن لديها أيّ رغبة في السيطرة على لندن. أرادت فقط سقفاً فوق رأسها وطعاماً في طبقها وأن تتمكن من النوم خلال الليل من دون الاستيقاظ كل نصف ساعة متعرّقة من الخوف والقلق. لكن

ربما كانت هذه هي اللغة الوحيدة التي يفهمها العشوائيون.

«لا نريدكم أن تتغيّروا،» قال دايفيد.

«يا لكرمك،» قال جون.

«يمكنكم الحفاظ على مخيّمكم،» قال دايفيد، متجاهلاً المقاطعة. «وأنت جون يمكنك أن تبقى مسؤولاً. لكننا سنعقد سلاماً. سنزرع الخضار معاً. سنتشارك في كل شيء. إن تعرّضنا لتهديد خارجي، فسنقف كتفاً إلى كتف ضدّه.»

سخر بعض العشوائيين من لهجة دايفيد المنمّقة. لكن كارل كان ينظر إلى جون نظرة تساؤل.

«تقول إنكم فزتم هذا الصباح،» تدخل بود. «لكن كان بإمكاننا تدمير مخيّمكم عن بكرة أبيه لو أردنا ذلك.»

«لم تقاتلوا بعدل،» قال جون. «لقد غششتم.»

بات الآن دور عدد من أولاد القصر ليسخروا. فمجرد فكرة شخص مثل جون يتذمّر بشأن اللعب العادل أكثر من مهزلة بكل تأكيد.

«كان بإمكاني التغلب عليك معصوب العينين،» قال أخيليوس. «كم أنت مثير للشفقة.»

«أوه، يا لك من فتى قوي، صحيح؟» قال جون، فتجاهله أخيليوس. «كنتُ أحاول التحدث إليك فضربتني على حين غفلة. لو كنتُ مستعداً، لما كنت تقف هنا الآن.»

«لو كنت بارعاً بالفعل، لكنت مستعداً في جميع الأوقات،» قال أخيليوس. «لكنك لا تساوي شيئاً.»

«حسناً، حسناً،» قال دايفيد وهو يرفع يده مجدداً. «هذا يكفي. لا نريد أن نبدأ شجاراً. الأمر لا يتعلق بمقاتلتنا بعضنا لبعض، بل أن نصبح حلفاء.»

«هذا ممثل،» تمتم أخيليوس. «الأمر يشبه كثيراً السياسة.»

«كل ما أطلبه هو هدنة،» قال دايفيد.

«هناك شؤون لم تُنهَ بعد،» قال جون بغموض.

«شؤون لم تنه؟» استوضح جستر.

«أنا وهو.» أشار جون نحو أخيليوس.

«أتريد قتالاً آخر، أنا مستعد،» قال أخيليوس.

بصق جون على السجادة وجرّ نفسه نحو كارل. دارت بينهما محادثة سريعة هادئة، انتهت بتربيتة موافقة من يد كارل على كتف جون.

«نحن مستعدون لعقد اتفاق،» قال.

«حسناً ما دمتم تعرفون أن خيار الرفض في يدنا،» قال دايفيد. «فكما أرى، نحن المسيطرون على الموقف هنا. لدينا جون سجين، و...»

«هل ستستمع إلى ما لدينا أم ستكمل ثرثرتك أيها المخنّث؟» قال جون.

«سأستمع،» قال دايفيد. «لكن من الأفضل أن يكون لديكم شيء جيد.»

«إنه كذلك،» قال جون. «إنه أفضل ما ستحظون به.»

«تكلم إذاً.»

«إليك الاتفاق. سنفعل كل ما تقوله. سنساعدكم في زرع الخضار. سنتحالف معكم إن هاجمكم أحداً. كل ما قلته للتو. سنعقد هدنة. بشرط واحد.»

«ما هو؟»

«هو هناك.» أشار جون نحو أخيليوس. «إذا استطاع التغلب عليّ في قتال عادل.»

«اتفقنا إذاً،» قال أخيليوس من دون تردّد.

«مهلاً،» قالت ماكسي. «هذا غباء.»

«حقاً؟» قال كارل. «حسناً، هذا ما لدينا. اقبلوا به أو ارفضوه.»

«ما قولك دايفيد؟» سأل جون وذقنه مرفوع بتباهٍ.

«ماذا إن خسرنا؟»

«إذا خسرتم، تنسون أيّ نوع من الهدنة، وإذا أردتم أن تبدأوا حرباً معنا، فلا بأس بذلك. سنكون مستعدين.»

«لحظة واحدة.»

مشى دايفيد وجستر نحو أخيليوس. كان دورهم في إجراء محادثة خاصة.

«أيمكنك التغلب عليه؟» سأل دايفيد.

ابتسم أخيليوس. «لا مشكلة. تغلبت عليه سابقاً. يمكنني فعل هذا مجدداً. إنه يتكلم ولا يفعل.»

«هل أنت متأكد؟ الكثير يعتمد عليك.»

«ألا تظن أنني أستطيع التغلب عليه؟»

«يمكنه التغلب عليه،» قال جستر.

«حسناً.» ابتعد دايفيد عن الولدين. «اتفقنا إذاً.»

«لحظة واحدة،» قالت ماكسي التي تحركت لتقف بين دايفيد وجستر. «علينا أن نفكر في هذا الأمر.»

«لقد فكرت وانتهى،» قال دايفيد. «أنا موافق.»

«مهلاً...» قالت ماكسي، فوضع أخيليوس يده على ذراعها.

«ألا تريدين الانتقام؟» قال. «لما فعله بفريك؟ ألا تريدين رؤيته ميتاً؟»

«لو أردت ذلك لقتلته بنفسي هذا الصباح.»

«الانتقام، ماكسي.»

«لا أريد الانتقام، و لم أعد أريد المزيد من القتال.»

«ليس قرارك،» قال دايفيد، ومشى في اتجاه دون.

«ستتقاتلان كلاكما،» قال. «بطلنا مقابل بطلهم.»

«حسناً،» ابتسم جون فبرزت سنّ صغيرة صفراء، وصافح دايفيد. لم يترك يده عن قصد. بدلاً، اقترب إلى الأمام حتى أصبح وجهاهما على بعد سنتمتر واحد. «الفائز يقرّر ما سيحدث بيننا. الخاسر يُدفن في احتفال جميل بسيط وبعض الأزهار.»

ضحك دايفيد وهو يحاول سحب يده. «لا أظن أننا سنصل إلى تلك الدرجة،» قال. «نحن لا نتحدث عن قتال حتى الموت.»

أوه، بلى،» قال جون وابتسم ابتسامة واسعة. «إنها الطريقة الوحيد لحسم الأمور. قتال حتى الموت. لقد اتفقنا على هذا.»

علا الهرج والمرج في الغرفة. تعالت صيحات الاعتراض والاتهامات الغاضبة. وقف جون هناك، يبتسم ابتسامته المعتادة، يُحكم قبضته على قبضة دايفيد. بدا دايفيد غير واثق من نفسه. مجدّداً، استدار نحو أخيليوس سائلاً إياه الطمأنة من جديد.

بدا أخيليوس مقاتلاً شديداً.

«ما المشكلة؟» قال عندما خفتت الضجة. «هذا النوع الذي أحبّه من القتال.»

مشى نحو كارل والعشوائيين الآخرين. «من الأفضل أن تجهزوا مجارفكم أيها الأولاد. سيكون أمامكم حفر كثير تنجزونه.»

«لا،» صرخت ماكسي. «هذا فظيع. لسنا حيوانات.»

«تحدّثي عن نفسك أيتها الساقطة،» قال جون فعلت الصرخات ودبّت الفوضى العارمة في الغرفة.

وقف جون هناك في الوسط مبتسماً ابتسامة أظهرت سنه الصفراء، ورأسه القاسي النحيل يهزّ ببطء فوق رقبته الطويلة.

52

كان سام والفتى يجلسان تحت مبنى جيركين. ناطحة السحاب الغريبة التي كانت تشبه حبة خضار ضخمة. كانا يأكلان آخر ما بقي من طعام في حقيبة الفتى الجلدية. بعض المياه العكرة في زجاجة بلاستيكة قديمة، وعلبة بازيلاء.

كانا يجولان ضالين طريقهما عبر شوارع مدينة لندن خلال الساعات الأربع الأخيرة. لم تكن خريطة الشوارع مفهومة على الإطلاق. لم تكن هناك خطوط مستقيمة، والشوارع تعرّجت والتفت لتصل إلى محطة توقف مفاجئة. كان الولدان يحاولان الوصول إلى النهر حتى يقررا وجهة سيرهما، لكن كان ذلك مستحيلاً. كل اتجاه جرّبا سلوكه كان غير صحيح، أو أوصلهما إلى حيث انطلقا. وهكذا عادا إلى جيركين لكونها الرمز التاريخي للمنطقة.

كان الليل قد بدأ يسدل ستاره على المدينة.

تطايرات الأوراق في الهواء. نظر سام إلى أعلى ليراها تتساقط من نافذة مكسورة في أعلى الجيركين.

لم يرقه هذا المكان. الجدران الزجاجية للأبراج التي اصطفت على الجانبين عكست شكل بعضها. كانت أشبه بمدينة من تصميم رجل مجنون. كانت المباني مختلفة بعضها عن بعض وألوانها غير متناسبة على الإطلاق. كانت هناك كنيسة قديمة بالقرب من مبنى للمكاتب بُني من المعدن وبدا مثل محرّك عملاق. كانت المباني المهجورة في كل مكان، بعضها ما زالت حفر أساس في الأرض، وأخرى موطن لهياكل الفولاذ التي كانت ستُصبح

مكاتب ذات يوم لكن لم يتسنّ إنهاؤها. جثمت الرافعات فوقها، ورأى الولدان ثلاثاً منها تهوي لتحطم مباني أخرى بالقرب منها.

«هل نجرّب مجدداً؟» اقترح الفتى.

«حسناً.»

نهضا بتعب وانطلقا لتجربة طريق أخرى.

«علينا أن نُبقي أعيننا مفتوحة بقدر الإمكان فريدو،» قال الفتى.

«اسمي سام،» قال سام بنكد.

«أوه صحيح، آسف، كنت أمازحك فحسب أيها القصير.»

«إضافة إلى ذلك،» قال سام. «لست مضطراً لتنبيهي كي أتوخى الحذر. أستطيع الاعتناء بنفسي. لقد نجوت في الشوارع وحدي كلياً.»

«ليس في هذه الشوارع،» قال الفتى.

«جميعها متشابهة،» قال سام.

«ليس صحيحاً،» قال الفتى. لا تعرف ما الذي قد تجده في هذا المكان. هذا الجزء من لندن غريب جداً. الأشياء تحدث هنا باختلاف كبير عن أيّ مكان آخر. لهذا السبب لم يُصب صديقاك الجزاران بالمرض. هذا المكان قديم جداً. يوجد هنا نوع من السحر الغريب. قوى قديمة، من الأيام الغابرة، من أيام الكتب التاريخية، ربما قبل قيصر وقدوم الرومان.»

«لا أؤمن بالسحر،» قال سام.

«أنا أؤمن بكل شيء أيها القزم،» قال الفتى.

«لا تنعتني بالقزم. لست أكبر حجماً مني.»

«أعرف ذلك، لكن ما زلت صغير الحجم. أنت سمكة صغيرة.»

«أنا قاتل الراشد الضخم.»

«يمكنني تصديق ذلك. كما كنتُ أقول، أنا أصدّق كل شيء يا برغوث البحر.»

«لا تناديني بهذا الاسم،» قال سام. وإلا فسأناديك الفتى الجرذ.»

«قزم.»

مكتبة
t.me/t_pdf

«ضفدع الأشجار.»

«تافه.»

«علقة.»

«رأس البراز.»

«رأس البراز؟»

«نعم،» قال سام وهو يضحك. «هذا ما أنت عليه. رائحتك كريهة.»

«ليست بقدر رائحتك أيها الحقير.»

«لا. رائحتك أسوأ بكثير أيها الجورب النتن.»

«لا تناديني الجورب النتن أيها المخنث.»

«الفتى الجرذ، الفتى الجرذ!»

«نذل.»

«حقير.»

«مهلاً.» توتّر الفتى وتراجع إلى الخلف. كان ينظر باهتمام نحو طرف الشارع، مثل كلب صيد. نظر سام في الاتجاه نفسه.

كانت مجموعة أخرى من الراشدين. إنها المجموعة الثالثة التي رأوها في هذا المكان.

«يجب أن نكون في مكان آخر أيها الجرثومة،» قال الفتى.

«أنت الجرثومة أيها الأبله،» تمتم سام بضجر بينما استدارا وركضا.

53

كان أخيليوس يجلس وحيداً في مطبخ القصر يأكل طبقاً من المعكرونة مع صلصة الطماطم. كان المكان دافئاً وهادئاً. أراد قضاء بعض الوقت وحده قبل القتال، كي يجمع شتات نفسه. كان يخزن طاقة أكبر. مثل عدّاء قبل سباق الماراثون. تذرّع برباطة الجأش والقوة عندما كان بين الآخرين، لكن في قرارة نفسه عرف أن الأمر لن يكون سهلاً. جون كان فتى فظاً وصلباً.

سمع طرقة على الباب فرفع نظره عن طبقه.

كان جستر. كان يحمل درعاً دائرية جديدة.

«كنت أبحث عنك،» قال وهو يدخل المطبخ.

«ها أنت وجدتني.»

«نعم.» وضع جستر الدرع على الطاولة.

«فكرتُ بأن هذا سيكون مفيداً لك،» قال. «إنها درع احتفالية لكن قد تكون أفضل من لا شيء.»

نهض أخيليوس من وراء الطاولة وحمل الدرع. كانت مصنوعة من الفولاذ الخفيف الوزن مع الخشب والجلد. أدخل ذراعه في حزام الدرع وأحكم قبضته على اليد.

«جميل،» قال وهو يجرّبها، محركاً يده، يرفع الدرع حيناً وينزلها حيناً آخر. «تبدو جيدة. ليتني امتلكت واحدة من قبل.»

جلس جستر.

«أتظن أنك تستطيع الفوز حقاً؟»

«يجب أن أقنع نفسي بهذا أيها الأبله وإلا فلن تكون لديّ فرصة.»

«سأرى إن كنتُ أستطيع العثور لك على بذلة واقية، أو شيء من ذلك،» قال جستر.

«لا،» قال أخيليوس وهو ينزع الدرع ويعود إلى طاولة العشاء. «ستُبطئ من حركتي فحسب. لن تفيدني أبداً. أنا بخير هكذا.»

كان قد ارتدى ملابس القتال. سترة بسحاب وبنطال. حذاء رياضي. نقيض تام لمعطف جستر المرقع.

ما قصة ذلك المعطف على أي حال؟ أراد أن يسأل، وقد تكون هذه فرصته الأخيرة للحصول على جواب.

«أخبرني شيئاً يا سيد السحر،» قال.

«ماذا؟»

«دايفيد يتجوّل ببذلة أنيقة، والجميع هنا منظمون كما لو كانوا في مدرسة أو ما إلى ذلك. لكن أنت، أنت ترتدي هذا المعطف البالي. ما قصة كل هذا؟»

«كنتُ أعيش في نوتينغ هيل،» قال جستر. «غرب لندن.»

«منطقة ثرية.»

«أفترض هذا. على أي حال. عندما حدثت، تلك التي تسمّونها كارثة...»

«أليست كارثة؟ ماذا تسمّيها؟»

«لا أمنحها اسماً،» قال جستر. «إنها ما حدث فحسب. إذاً، كنتُ أقول، انتهى بي الأمر في هذا المنزل الكبير. المكان الهائل مع مجموعة من الأولاد. معظمهم كانوا زملاء لي، ثم انضمّ إلينا المزيد والمزيد. كانت الأحوال سهلة حينها. كل شيء يوحي بالثراء والبذخ. في البداية، تنعّمنا بحياة جيدة ووجدنا كل ما احتجنا إليه. ظننّا أننا بخير. لكن بعدها...»

«راشدون.»

«راشدون. أشرار. والكثير منهم. لم يكن لدينا أحد مثلك، مقاتل. لم يكن لدينا فرصة للنجاة. كانت معنا فتاة اسمها بيرسيفوني.»

«اسم يوناني.»

«أفترض هذا. لكن على أيّ حال، أول من لقي مصرعه كان أختها. وزعنا أغراضها في ما بيننا. لكن بيرسيفوني أخذت واحداً من فساتين أختها الجميلة، المفضّل لديها، وقصّت رقعة منه. خاطت الرقعة على قطعة من الثياب، تخليداً لذكرى أختها. بعدها، في كل مرة مات فيها أحد الأولاد، صنعت بيرسيفوني رقعة من ملابسه. صنعت ما يشبه اللحاف. أرتني كيف تفعل ذلك. فحينها، لم يكن هناك ما نفعله لنجعل الوقت يمر. وعندما ماتت بيرسيفوني، أضفتُ رقعتها. احتفظت بقطعة الثياب. وفي النهاية، كان علينا مغادرة نوتينغ هيل، فقد ساء الوضع كثيراً. اتجهنا نحو الأماكن الأكثر هدوءاً. بعضنا مات خلال المسير، لكن ليس الجميع. كانت روز معنا. شخص أو شخصان ممن هم الآن في القصر. وعندما وصلنا إلى هنا، حوّلت ذلك اللحاف إلى هذا المعطف. لأحمل كل أولئك الأولاد الموتى معي. أتعرف كم عدد الرقع في هذا المعطف؟

«كم؟»

«ثلاث وأربعون. لا، أربع وأربعون. فقد أضفتُ رقعة فريك اليوم.»

أرى أخيليوس رقعة جديدة.

«وهذه هنا لأران.»

«أخذتَ قميصه؟»

«لم يعد بحاجة إليه.»

«أنت غريب يا رجل،» قال أخيليوس. «لكن، هل أنت سعيد بتلقي الأوامر من دايفيد؟»

«ماذا عنك؟» سأل جستر.

«ما دمت أحصل على شيء آكله، ومكان أنام فيه، فأنا بخير. لا أريد أن أكون زعيماً. لا أحب التفكير في أمور كهذه. لكن أنت... هل يروقك دايفيد حتى؟»

«إنه أحمق،» قال جستر. «ويزداد جنوناً كل يوم. لكن ذلك يفي بالغرض. حالياً. هل تعرف أنه في سن الخامسة عشرة؟ أكبر من الجميع سناً.»

«حقاً؟»

«نعم. أتساءل أحياناً إن كان هذا ما يجعله يتصرّف بهذه الطريقة. أراقبه معظم الوقت تحسباً لأي علامات تعرف، دمامل وما إلى ذلك. لا شيء بعد. لا أحد يعرف ما الذي سيحدث عندما نكبر في السن.»

«لا أحب أن أفكر بهذه الأمور يا رجل،» قال أخيليوس. «لا أحب أن أتكلم عنها.»

«لا. أنا آسف.» توقف جستر. أنعم النظر في أخيليوس، ثم تابع. «إذا فزت الليلة، فستكون في مركز مهم جداً كما تعرف. لا أعرف إن كان دايفيد يفهم هذا. يمكنك أن تطيحه إن أردت.»

«أخبرتك أيها الرجل الساحر، لا أريد أن أكون الزعيم.»

«حسناً،» قال جستر. «لكن أنت وأنا سنكوّن فريقاً ممتازاً.»

«لا أتوقع أنني قد أتمكن من الوثوق بك يوماً يا رجل. أخشى أن تطعنني إن أدرتُ لك ظهري.»

«أنا ناج يا صديقي، منتصر مثلك. هناك أربعة وأربعون ولداً لم ينجوا على هذا المَعطف. وأنا الوحيد الذي أرتديه.

«هل ستُضيف رقعة أخرى الليلة؟ بعد مقاتلتي جون؟»

تجاهل جستر التعليق ووقف.

«لنأمل أن لا تكون رقعتك.»

«نعم. حسناً، أظن أنني بأمان بفضل هذه الدرع التي أعطيتني إياها. ستحميني أمام ذلك الفتى جون.»

«أنت تدرك أنني اضطررت إلى إعطائه واحدة أيضاً.»

«ماذا فعلت؟»

«لا يمكننا أن نقاتلهم بغير العدل.»

«يا لك من نذل حقير جستر، أتعرف ذلك؟ أفترض أنك أجريت هذه المحادثة تماماً مع جون، صحيح؟»

ضحك جستر وغادر المطبخ.

54

عجت الباحة المركزية الرباعية الزوايا في قصر باكينغهام بالأولاد. منهم من أطلّ من النوافذ، في الانتظار. آخرون وقفوا عند الأطراف، وأعينهم مصوّبة نحو وسط الباحة حيث ثُبتت المشاعل لتكوّن حلبة.

لم يحضر جميع الأولاد. أُبقي الصغار والشديدو الحساسية بعيداً عن الحدث. البعض لم يُبلغ أصلاً بما كان يحدث. فكثير من الصغار كانوا لا يزالون يعيشون حالة الاستيقاظ ليلاً من الكوابيس، يصرخون. لقد مرّوا بأوقات عصيبة جداً. لم يكونوا بحاجة إلى التعرّض لعنف أكثر. لقتل أكثر.

تمنّت ماكسي لو أنها غائبة أيضاً، لكنها لم تستطع أن تترك أخيليوس وحيداً في القتال. كان عليها أن تعرف من سيفوز. لم تستطع أن تصدق بعد أن هذا كان يحدث فعلاً. كانت مثل مباراة همجية للمجالدين الرومانيين. لم يرقها أخيليوس أبداً. كان من نوع الفتيان المتنمّرين، الذين يزعجون كل من حولهم، الكسولين والفظين والمتعدّين بأنفسهم. لكنها احترمته كمقاتل. قدّرته. لقد أنقذهم في عدة مناسبات. قبل الكارثة، ما كانت لتتسكع مع شخص مثله. لكن في هذه الأوقات العصيبة، كان الشخص المناسب للبقاء إلى جانبه. كانت مجرد فكرة أنه سيلاقي حتفه اليوم فكرة يصعب تقبلها. لكن ماذا كان البديل؟ موت جون.

فتى آخر.

نعم. كان شخصاً سيئاً. أسوأ من أخيليوس بعشر مرات. وقد قتل فريك. في ذلك الصباح، كانت ستُسر لرؤيته ميتاً. كادت تقتله هي نفسها. لكن ليس بعد الآن. وليس بهذه الطريقة.

لم تعد تريد أن ترى أحداً يموت مجدداً.

لقد اكتفت. احتضان فريك بين ذراعيه ومفارقته الحياة حينها كان شعوراً مروّعاً. وما جعله أسوأ هو أنها لم تعد تشعر بشيء لاحقاً. تخدير تام. تبلّد.

ربما لم تبق دموع في عينيها.

نظرت حولها إلى وجوه الأولاد المصطفين. بعضهم كان متحمساً، وبعضهم حدّق بذهول مثلها تماماً، وجلس البعض على الأرض بتوتّر وهدوء. الأولاد الثلاثة عشر من المخيّم العشوائي احتشدوا معاً. الصغار في المقدمة، وكأنهم استعدوا لمشاهدة عرض، تدافعوا، يتحدثون بسرعة محدثين فوضى في ما بينهم.

هناك، كان دايفيد مع جستر وحرّاسه الرسميين مجتمعين حوله. بدا دايفيد ذا شأن رفيع، متباهياً. أمبراطوراً. بطله مستعد لمقاتلة البطل البربري. لاحظت أن أولي كان برفقته. تساءلت بحزن إن كان قد انضم إلى الجانب الآخر.

لم يعد هناك من تتحدث إليه ماكسي. كان أولي مع دايفيد. أران ميت. كانت ويتني موجودة دائماً، لكنها في قاعة الحفلات مع الصغار تحاول أن تشتت انتباههم عما يحدث في الخارج.

اشتاقت إلى وجود بلو، حتى لو كان تنازلياً بعض الشيء في مواقفه. لقد فهم على الأقل ما تمر به. كان يعرف مدى صعوبة أن تكون قائداً.

هل كانت لا تزال قائدة؟ لم تعد تعرف. لقد تغيّر كل شيء منذ المجيء إلى هنا. كانت الأمور تفلت من بين يديها.

شعرت بنقرة على كتفها.

صوفي. تقف هناك مع رماتها.

كانت ماكسي منهارة داخلياً. لكانتا صديقتين في ظروف مختلفة. كانت صوفي فتاة يمكن أن تتحدث إليها ماكسي. كانت ستفهم. لكن ماكسي لم تستطع هدم الجدار الذي ارتفع بينهما.

«ماذا تريدين؟»

«أتيت لأخبرك أننا سنغادر،» قالت صوفي.

«ماذا؟»

«لا يمكننا البقاء هنا. لولا ما حدث لأران لاختلفت الأمور كثيراً. فالواقع الآن، هو أن دايفيد لا يروقنا، ونحن لا نروقك. لم يكن هذا مكاننا أبداً. وهذا القتال الذي سيحدث اليوم، وكل هذا. لقد اتخذنا قرارنا، سنغادر المكان بينما الجميع مشغولون هنا. لكنني لم أرد الرحيل من دون قول أي شيء.»

«إلى أين ستذهبون؟»

«لا أعرف، لكننا نجونا في الشوارع لعام كامل ويبدو أن المنطقة هنا أكثر أمناً، لذا...»

«حظاً موفقاً...»

حضنتها صوفي سريعاً.

«أتمنى لو أن الأحوال كانت مختلفة،» قالت وابتعدت عن ماكسي.

وقفت ماكسي هناك مذهولة. هل هي من حثّ صوفي على الرحيل؟

قبل أن تتمكن من ترتيب الأفكار في رأسها، علت جلجلة بينما مشى أخيليوس إلى وسط الحلبة.

نظرت ماكسي حولها.

كان هناك بود ومقاتلوه، مثل أولاد المدارس في مباراة كرة قدم، يهللون ويهتفون. ألم يروا كم هذا سيئ؟ كم هذا مقزز. هل وصلوا إلى هذه الحال فعلاً؟ هل باتت حياة الإنسان رخيصة إلى هذا الحد؟ افترضت أن ما يحدث هنا تماماً كما كان يحدث في المدرجات. ليس مختلفاً عن نهائي الكأس. يشجّعون المفضّل لهم، واللعنة على الخاسر.

حتى لو كان سيُذبح.

جفلت. كان الألم في جانبها أسوأ من أيّ وقت مضى. تألمت من مجرد التنفس. كانت ستتخلى عن أيّ شيء لتعيد مجرى أحداث اليوم الماضي.

هرول أخيليوس بجولة داخل الحلبة، يخطو بخطوات صغيرة، ثم نزع سترته واتجه نحو ميك الكبير الذي كان يقف مع لويس. أعطى أخيليوس السترة لميك، فتحدث إليه الصديقان، كل من جانب. بدا أنهما ينصحانه.

في تلك الأثناء، دخل جون الحلبة حاملاً درعاً ورمحاً. تبختر إلى الأمام وإلى الخلف أمام أفراد مجموعته، مثل أسد سجين، يثب على أطراف أصابعه، يمرّن ذراعيه، يرمي بنظرات تحدّ نحو أخيليوس.

تجاهله أخيليوس. بدا أنه يحاول التهدئة من روعه. يحشد قواه، يشحذ تركيزه، يسيطر على نفسه.

«هيا إذاً يا سيّد المخنثين!» صرخ به جون، وهو يلوّح برمحه ذي السكاكين الثلاثة حول رأسه. «قبّل صديقيك قبلة الوداع وتعال إلى هنا، أم تُراك ستنسحب؟»

أعطى لويس أخيليوس رمحه. لاحظت ماكسي أنه شُحذ حديثاً، فقد كان طرفه مستدقاً جداً وومض بلونه الفضي. كان عبارة عن مسمار فولاذي طويل ذي يد ملفوفة بأربطة من الجلد ليمنع الانزلاق من يده صاحبه. اهتم أخيليوس دائماً برمحه، وازنه دائماً. كان قاتلاً، لكن سلاح جون بدا أكثر فتكاً مع السكاكين الثلاثة التي ثُبتت عند طرف رمحه الخشبي. طعنة واحدة منه ستُسبب إصابة بالغة، وبدا أنه يتحكم به باحتراف. لا بد أنه كان يتدرّب لساعات كل يوم، يدوره من يد إلى يد.

حك لويس رأسه. بدا نصف نائم كالعادة، لكنه كان متوتراً.

«إنه يحمل رمحاً فتاكاً،» قال.

«إنه هش،» قال أخيليوس. «قد يبدو فتاكاً لكنه ليس ايروديناميا، ليس مع تلك السكاكين المعلقة على طرفه. توازنه ليس صحيحاً.»

«لا يهم،» قال لويس. «إنه قاتل. ويبدو أنه قتل أحدهم.»

«ألم أفعل ذلك أيضاً؟» سأل أخيليوس.

هز لويس كتفيه. «هذا مختلف يا صديقي،» قال. «إنه فتى آخر. إنه بصحة جيدة وقوي. ليس وحش زومبي يمشي بتثاقل مثل أولئك الراشدين.»

«إنه من لحم ودم مثله مثل أي شخص آخر،» قال أخيليوس.

«ألا يُخيفك؟»

«بالطبع يخيفني،» قال أخيليوس. «أتظن أنني مجنون؟ إنه نذل قوي. لذا

سأتوخى الحذر منه جيداً.»

«أنفه هو نقطة ضعفه،» قال ميك الكبير. «صوّب نحو الأنف، وسيتألم فعلاً.» ثم سلم أخيليوس درعه.

«شكراً،» قال أخيليوس وهو يمد ذارعه عبر حزام الدرع. «من المؤسف أن جون يحمل واحدة من هذه. لكن سكاكينه تلك لن تكون بقوة رمحي. إذا جعلت ضرباته تصيب درعي كل الوقت، فستقع السكاكين.»

«لتكن حركتك سريعة،» قال ميك. «إنه أطول منك، ويمكنه الوصول إليك أفضل. وسيكون وصولك إليه صعباً.»

«سيلقى ما يستحقه،» قال أخيليوس.

«أنت!» صرخ جون مجدداً. «أيها المخنث. هل ستأتي للعب؟»

أخذ أخيليوس نفساً هادئاً، ابتعد عن الحشود، لوّح برمحه في حركة تمرينية.

«مستعد،» قال وتحرّك نحو وسط الحلبة. تحرك برشاقة، مثل رياضي لكن بحذر. على عكس جون الذي كان ينبض بالحيوية، رأسه يتمايل، عضلاته متأهبة.

« لم أقاتل مخنثاً من قبل،» قال وبصق عند قدمي أخيليوس.

«ما بال كل هذه الإهانات؟» قال أخيليوس.

«أوه آسف،» قال جون. «هل أنا أزعجكِ يا عزيزتي؟»

«إذا كنت أستهويك، فلمَ لم تقل ذلك بصراحة؟» قال أخيليوس بلطف.

«أهذا أفضل ما لديك؟» قال جون.

«هذا كل ما تستحقه أيها الخاسر. الآن، هل ستتحدث أم ستقاتل؟»

تقدّم دايفيد إلى الأمام بعدما وقف خلف صف حراسه، وقد علت وجهه الشاحب المنمش تعابير الغطرسة.

«سيبدأ القتال عندما أعلن ذلك،» قال. «ودعونا لا ننسى أن هذه المنافسة ستقرر من...»

لكن أخيليوس وجون لم يكونا يستمعان. قبل أن يُنهي دايفيد جملته، اندفعا وهما يزأران، كل منهما يصوّب رمحه نحو الآخر.

55

«مهلاً!» صرخ دايفيد. لكن أنفاسه ذهبت سدى. تصادم جون وأخيليوس، أصاب رمحاهما الدرعين.

نظر أخيليوس إلى رمح جون. لم يتأذ أبداً. لكن طرف سلاحه كان مكسوراً. لقد شحذه كثيراً. لم يكن معتاداً على قتال خصم يحمل درعاً. لكن لا يهم، ما زال بإمكانه أذية خصمه.

نقطة لجون.

لم يكد يقيّم الموقف في رأسه حتى شنّ جون هجوماً شرساً. من الواضح أن فكرة ميك الكبير كانت في باله، الهجوم بشراسة وإنهاء المسألة سريعاً.

ركض نحو أخيليوس، الذي اضطرّ إلى التراجع عدة خطوات إلى الوراء كي لا يتلقى تلك الطعنات القوية. أدرك أنه ليس بالقوة الكافية للتصدي لهذا الهجوم، فقد فقد الكثير من الطاقة. تحلى بالشجاعة، وفي النهاية رأى فراغاً في دفاع جون فشن هجوماً مضاداً. صوّب تحت درع جون، على رجليه. لكنّ جون قفز وابتعد عن طريق الضربة ففقد اتزانه. اقتنص أخيليوس الفرصة ليأخذ نفساً عميقاً، وأخذ يرقص داخل الحلبة، مرخياً عضلاته. كان قد توتّر بسبب هجمات جون واحتاج إلى تليين بعض التشنجات قبل مواصلة القتال. منح الهجوم جون بعض الشجاعة. مشى متهادياً داخل الحلبة راسماً ابتسامة ساخرة على وجهه.

«هل اكتفيت أيها المعتوه؟»

جواباً، شنّ أخيليوس هجوماً على جون، مسدّداً طعنته فوق الذراع.

فوجئ جون لكنه سارع ورفع درعه ليحجبها ويزيحها إلى الجانب. كان أخيليوس مفتوحاً من دون واق، فاندفع جون إليه مباشرة، رمحه مصوّب نحو كبد أخيليوس. حفت السكّاكين الثلاثة بجلد أخيليوس، فمزقت سترته وسال الدم. شتم أخيليوس واستدار بعيداً لكن جون لم يدعه وشأنه حتى لحظة واحدة، فأتبع طعنته تلك بضربة على الساق أوقعت أخيليوس بقوة على الحصى. اندفع جون بجنون وأخذ يسدّد طعنة تلو الأخرى، تماماً كمن يصطاد سمكاً في برميل. تدحرج أخيليوس وتلوّى على الأرض متجنباً الطعنات التي كانت تصيب الأرض من دون أن تؤذيه.

لم يسر القتال جيداً بالنسبة لأخيليوس. كان جون جيداً. كان الأفضل منذ بداية القتال. بدا أخيليوس أحمق وهو يتلوّى على الأرض تحت قدمي جون.

أخيراً، اقترب جون كثيراً فصوّب أخيليوس طرف درعه نحو ساقي جون فوقع. ارتطم بقوة على وجهه. جاهد كلاهما للنهوض. كانت لاصقة وجه جون قد انفكت وقطر الدم من أنفه، لكن بدا أنه لم يلاحظ ذلك. للحظة، كأن شيئاً لم يكن. أصبحا في نفس المستوى، مصابين، يدور كل منهما حول الآخر، يلهثان ويتصبّبان عرقاً. لكن كانت هناك ومضة شر في عيني جون المتورّمتين. كان يستمتع بأدائه، استطاع قهر أخيليوس قليلاً وكلاهما عرفا ذلك.

صمتت الجماهير كلياً. حدقت أعينها نحو الحلبة. كل يريد أن يرى بطله منتصراً. ابتلت سترة أخيليوس بالدم، ورغم أن فم جون كان ينزف قليلاً، لم يهتم لذلك أبداً. كان أخيليوس يقظاً. لن يسمح لجون مجدّداً بأن يغدره.

بدأت جولة حذرة من القتال العنيف، يهاجمان مداورة. يندفع واحد منهما برمحه فيصدّه الآخر بدرعه. تمايل ظلاهما بحركات غريبة على جدران القصر مثل عرض عنيف للدمى المتحركة. كانا يناوران، يستعرضان أساليبهما القتالية كل أمام الآخر، نقاط قوتهما وضعفهما. وإن ظنا أن القتال سينتهي سريعاً، فهما يرتكبان خطأً كبيراً.

لم يكن هناك شك في أن جون له الأفضلية في الوصول إلى الخصم.

فرمحه وذراعاه كانت أطول من رمح أخيليوس وذراعيه، وطوله أكثر بثلاثة سنتمترات أو أربعة. كانت طعناته تصل إلى أخيليوس بسهولة، لكن معظمها لم تسبّب أيّ أذى لإصابتها درع أخيليوس، باستثناء طعنة أو طعنتين، واحدة على فروة رأسه وأخرى على ذراعه. بات واضحاً أكثر فأكثر أن حجم جون الأكبر سيكون هو الفائز.

عرف ذلك. كل ما عليه أن يثبط من عزيمة أخيليوس، أن يجعله يستنفد كل طاقته، ثم يتقدّم لقتله.

أخذ هجومه إلى المستوى الثاني، اندفع بقوة هوجاء نحو درع أخيليوس التي تردّد على معدنها صدى طعنات جون.

شتم جون عندما انكسر أحد سكاكين رمحه إلى نصفين.

ابتسم أخيليوس. رأى أن جون قد تشتت انتباهه فاقتنص الفرصة ليشنّ هجوماً مضاداً رافعاً درعه إلى أعلى وضارباً بها رأس جون.

كان جون قوياً. بالكاد تأثر، دفع أخيليوس بعيداً عنه برمحه الذي كاد يصيبه بشفراته. لكن كان مصاباً. كانت عينه اليمنى تنزف وتورمت.

لويس لكز ميك.

«هذا جيد،» قال. «جون لا يرى جيداً الآن، لا يستطيع تحديد المسافة جيداً بعين واحدة. إنه أعمى في عينه اليمنى. يحتاج أخيليوس إلى التركيز على يساره، أن يكثف من هجماته من ذلك الاتجاه.»

لكن القول أسهل من الفعل. الإصابة زادت من شراسة جون، فشنّ هجوماً عنيفاً على أخيليوس جعله يتراجع إلى الخلف عدة خطوات بسبب طعنات برمحه وضربات بدرعه. حاول أخيليوس الثبات، لكنه كان متعباً. أصابه جون أخيراً في فكه ثم ضربه برمحه ليترنح أخيليوس ويسقط على الأرض مذهولاً.

«إنه يمثل،» قال لويس.

«أتظن ذلك؟» قال ميك، غير مقتنع.

«نعم،» قال لويس. «أعرف آخي جيداً. إنه يمنح الأمان لجون حتى يشعر

بالغرور ويرتكب خطأً ما.»

لو كان أخيليوس يمثّل فعلاً، لكان يبلي جيداً. بدا مصاباً بالدوار، عيناه مغشيتان، غير ثابت على رجليه. ارتجف رمحه في يده في الهواء ثم انخفض.

«ها أنا قادم أيها المخنث،» قال جون ورفع رمحه فوق مستوى كتفه وسدّد فوق درع أخيليوس.

تمكن أخيليوس من إمالة رأسه جانباً في الوقت المناسب. شق أحد السكاكين خده وقطع نصف أذنه. لكن حاسة ما جعلته يرفع درعه ومجدداً انكسر أحد سكاكين جون.

بات لديه سكين واحد فقط.

لكنْ واحد ما زال كافياً ليقتل.

هز أخيليوس رأسه ورمش. كانت عيناه حمراوين وتحرقانه. كان محموماً، ويخسر الكثير من الدم. أذنه كانت متدلية.

كان في حالة يرثى لها.

ابتسم جون، وظهرت أسنانه الصفراء.

«هل اكتفيت؟» سأل. «أتريد أن تستسلم؟ أتريد أن تنسحب من القتال؟»

ابتسم أخيليوس بدروه. لم يدرك جون ذلك، لكنه أظهر أول نقطة ضعف. أن يعرض الاستسلام على أخيليوس يعني أنه في قرارة نفسه لا يريد الاستمرار في القتال. هناك شيء يجعله يتراجع ولو بجزء بسيط.

لم يرد أن يقتل أخيليوس.

مشحوناً بطاقة جديدة، ثبت أخيليوس نصف رمحه تحت إبطه ليحافظ على توازنه ثم سدّده نحو جون. رفعه من اتجاه رجليه نحو قلبه. صدّ جون الضربة، لكن النشاط الذي اعترى أخيليوس جعله يرفع رمحه مجدداً بسرعة كبيرة ويسدّده نحو جون. أرجح أخيليوس رمحه بسرعة بحركة شبه دائرية واندفع نحو جون من ناحية اليمين. لم يكن ذلك الجانب محمياً بالدرع، أصاب مقبض الرمح كتف جون فشتم. لم تكن تلك الضربة كافية لتجعله يوقع رمحه، لكنه ترنّح.

شنّ أخيليوس هجوماً متواتراً. ضربة أعلى بطرف الرمح، ثم لكمة بدرعه على الجانب. بثبات وصلابة مثل آلة. في البداية كان جون يصد الهجمات، أو ينخفض أو يتمايل، أو يتراجع إلى الخلف. لكن أدرك تدريجاً أن أخيليوس يشنّ هجوماً بوتيرة واحدة. لقد سدّد على المسافة نفسها، ووصول رمحه إلى نصف المسافة من جون يعني أنه لم يكن موفقاً أبداً. كان على جون أن يتراجع إلى الخلف في كل مرة وبالتالي مر الرمح بسلامة من جانبه. يستطيع أخيليوس أن يواصل هذا الهجوم بقدر ما يريد. سيتعب قبل جون. سيتركه جون يتأرجح، فلن يتمكن من الوصول إليه جيداً. عرف دائماً أن ذراعيه أطول من ذراعي أخيليوس.

لم يتبسم الآن. لم يرد أخيليوس أن يعرف أنه ليس بمتناوله إطلاقاً، أن ضربات أخيليوس عاجزة كلياً.

«ماذا يفعل؟» قال ميك. «إنه لا يقترب من جون. إنه يبتعد كل البعد عن الهجوم الصحيح.»

«لا بد أن تلك الضربة على رأسه قد أثرت على دماغه يا رجل،» قال لويس. «لا أستطيع المشاهدة. هذا محرج.»

حافظ أخيليوس على طريقة هجومه وخطواته المتثاقلة. يطعن ثم يضرب. مثل أحمق في ملعب يُجرّ إلى القتال عنوة، ملوّحاً بيديه بضربات غبية من دون فائدة. أصبح جون أكثر راحة بعد كل ضربة، بثقة أكبر.

متأكداً من النصر.

حتى ماكسي رأت أن خطة أخيليوس لم تكن تنجح. كان جون حذقاً. ترك أخيليوس يُتعب نفسه من دون أن يشنّ هجوماً مضاداً، بل ناقراً إياه برمحه بين حين وآخر. أغمضت عينيها. لم تعد تستطيع المشاهدة. لقد عرفت النتيجة. أخيليوس سيُقتل.

لم يكف أخيليوس عن أرجحة رمحه، إلى الأعلى وإلى الأسفل. تعثر، والدماء تسيل من وجهه وأذنه متدلية.

ابتسم جون أخيراً بعدما رأى أن التعب قد نال من أخيليوس. أنزل درعه

ورمحه، ساخراً من أخيليوس، متخلياً عن دفاعه، كما لو كان يقول، «انظر إليّ، لا يمكنك الاقتراب مني. هزئ من أخيليوس ماداً له بلسانه.

كان أخيليوس مستعداً. حان وقت إنهاء القتال. سدّد طرف رمحه فوق مستوى كتف جون، خفف من قبضته، متحسساً المقبض بين أصابعه. مرّر طول المقبض بين يديه إلى الخلف ثم إلى الأمام ليعود ويُحكم قبضته مجدداً. أصبح الرمح مصوّباً في الاتجاه الصحيح وعلى المسافة المناسبة، وبكل سهولة أصاب الرمح رأس جون.

حدث ذلك سريعاً، فلم يتسنّ لجون الدفاع. لم تكن لديه أيّ فكرة عما فعله أخيليوس. وقف هنا، منتظراً أن يمرّ الرمح من جانبه كما حدث سابقاً. لكن فجأة، أصاب الرمح جانب رأسه. ترنح مثل شخص ثمل، مذهولاً ومصدوماً، ليس لديه أيّ فكرة من أين أتت الضربة. أمسك أخيليوس سريعاً برمحه وتحرّك للحسم. سدّد رمحه فوقع رمح جون ودرعه جانباً، ثم سدّد نحو الركبتين. صرخ جون ثم سقط أرضاً منحنياً. رفع أخيليوس رمحه وهبط به على رأس جون. انهار جون سريعاً، فارتطم وجهه بالأرض.

«هذه من أجل فريك،» قال أخيليوس.

تمدّد جون هناك من دون حراك.

ارتفعت صيحات التهليل من أولاد القصر وأنات الخيبة من زمرة العشوائيين الصغيرة. كانت النهاية سريعة وحاسمة.

وقف أخيليوس فوق جون، يأخذ نفساً عميقاً، صدره يؤلمه. قلب الجثة بقدمه.

كان جون فاقداً للوعي، وعينيه السوداوان مغمضتين. وقعت اللاصقة كلياً من على أنفه الذي كان في حالة مزرية.

غرز أخيليوس طرف رمحه في بطن جون.

جفل جون.

«افعلها إذاً،» قال. «اقتلني.»

«لا،» قال أخيليوس. «أنت ميت. لا أحد يتذكر فاشلاً.»

«اقتلني!» صرخ جون.

ضغط أخيليوس أكثر على رمحه فشهق جون.

«أتريدني حقاً أن أقتلك؟ هل تعرف كم ستموت ببطء إن غرزتُ هذا في بطنك؟ أتريد حقاً أن أغرز رمحي وتخرج أمعاؤك على الأرض؟ هممم؟ أتريد ذلك؟ أتريدني أن أفعل ذلك حقاً أيها الكبير؟»

«لا،» قال جون بهدوء. «لا، لا تفعل. أرجوك لا تفعل. لا أريد أن أموت.»

«ومن يريد؟» ركع أخيليوس بالقرب منه. قرّب وجهه من وجه جون، فسالت قطرات الدم عليه.

«وهذه من أجلي،» قال وطبع قبلة على شفتيه.

ضحك أولاد القصر بينما وقف أخيليوس. ركض كارل القرصان إلى جون وساعده في الوقوف على قدميه. كانت رجلاه مثل المطاط.

نظر أخيليوس نحو دايفيد.

«حصلت على ما أردت دايفيد. لن يتراجعوا عن كلمتهم.»

صرخ دايفيد بالعشوائيين.

«هل الاتفاق سارٍ إذاً؟»

«أظن ذلك،» قال كارل.

«نعم،» قال جون. «لقد حصلت على الاتفاق الذي تريد.»

تعثر أخيليوس وكاد يقع. هرعت مايف وماكسي نحوه وأمسكتا به من الجانبين. كانت مايف تحمل ضمادات في يدها وبدأت تلفها حول رأس أخيليوس. حاول أخيليوس أن يدفعها بعيداً لكنه كان ضعيفاً جداً.

«أنا بخير،» قال. ثم نظر مجدداً نحو دايفيد وأولاد القصر.

«تذكروا ما فعلته من أجلكم هنا اليوم،» صرخ وغاب عن الوعي.

56

«هل أنت راض؟ فريك ميت، كاد أخيليوس يُقتل أيضاً. هل أنت متحمّس جداً لتصبح أمبراطور لندن لدرجة أنك لا تهتم ولا ذرة واحدة بأولادنا؟»

«أولادكم؟»

«نعم، أولادنا.»

كانت ماكسي ودايفيد يقفان على الشرفة في مقدمة القصر. كان القمر ساطعاً من بين بعض الغيوم. الشوارع والأسطح والأشجار مبللة من المطر الذي هطل سابقاً.

«نحن جميعاً في هذا معاً، ماكسي،» قال دايفيد، بطريقته المزعجة الهادئة والمتعالية. «لا يجدر بك أن تفرّقي بيننا طوال الوقت وتقولي، نحن وأنتم. نحن في الفريق نفسه.»

«لست متأكدة من أنني أريد أن أكون في فريقك، دايفيد.»

«ما الذي تفعلينه هنا إذاً، ماكسي؟ تعيشين تحت سقفي؟ تأكلين طعامي؟»

«معذرة؟ سقفك؟ طعامك؟ ظننت أننا جميعاً في الفريق نفسه.»

«هذا صحيح. لكن إن كنت لا تفضلين ذلك، فلمَ لا تغادرين بكل بساطة؟»

نظرت ماكسي نحو لندن. من هنا، من الأعلى، استطاعت أن ترى سان جايمس بارك بأكمله وصولاً إلى قوس الأميرالية وساحة ترافلغار. كان هناك عالم بأكمله.

تساءلت أين تكون صوفي ورماتها الآن. تحلت بالشجاعة لتترك مكاناً آمناً مثل هذا وتعود إلى الشوارع.

هل كانت ماكسي تتحلى بالشجاعة الكافية لتفعل ذلك أيضاً؟

«ما الذي ستجدينه هناك برأيك؟» قال دايفيد.

«مجموعات أخرى مشتتة من الأولاد، تعيش مثل البرابرة، تبحث عن الطعام. أهذا ما تريدينه؟ لأن هذه هي الحال هناك.»

«أعرف، دايفيد، لست غبية. لقد رأيت كل ذلك أكثر منك.»

«لا أظن ذلك،» قال دايفيد بصوت بارد. «لا تعرفين نصف ما رأيته خلال طريقي إلى القصر. رأيت أشياء لم تكوني لتحلمي برؤيتها أبداً. لقد قتلت ما يكفي. الوضع مختلف هنا، لكنني مررت بكوابيس كثيرة مروّعة للوصول إلى ما وصلت إليه الآن. ولا أريد العودة إلى كل ذلك. أريد أن أطوّر ما أنجزته حتى الآن.»

«قتل الراشدين هو الصحيح،» قالت ماكسي. «إنهم مرضى. إنهم مجانين. لم يعودوا بشراً. علينا أن ندافع عن أنفسنا أمامهم. لكن قتل أولاد آخرين، هذا فعل خطأ تماماً.»

«أوافقك الرأي،» قال دايفيد. «لكنها اللغة الوحيدة التي يفهمها بعض الأولاد.»

«ربما أنت واحد من أولئك الأولاد، دايفيد.»

«كما كنت أقول، إن كان المكان هنا لا يعجبك، فلمَ لا تغادرين؟» عادت تلك اللهجة المتعالية إلى صوت دايفيد.

«ربما سأفعل،» قال ماكسي بهدوء. «وربما سآخذ مجموعتي معي.»

«ربما لا يريدون الذهاب،» قال دايفيد، بصوت منخفض ورقيق لكن مزعج. «لا أعرف إن كنت قد لاحظتِ أمراً ماكسي، لكن مجموعتك تحب المكان هنا.»

«إذا قلت إننا سنغادر، فسيرافقني الجميع،» قالت ماكسي.

«هل أنت متأكدة من ذلك؟»

«كف عن محاولة الانتقاص من مكانتي دايفيد،» غضبت ماكسي. «أعرف مجموعتي.»

«وماذا عن مجموعة بلو؟ الأولاد من موريسون؟»

«ماذا عنهم؟»

«أيمكنك التحدث إليهم أيضاً؟ ربما من الأفضل أن تذهبي لرؤية بلو، لتعرفي ما رأيه بكل هذا.»

«إنه مريض. ممرضتك روز لا تسمح لأحد برؤيته.»

«هراء. تستطيعين الذهاب والتحدث إليه ساعة تريدين. إنه بحال أفضل الآن. أنت ترين مخططات ومؤمرات في كل مكان. لست شخصاً شريراً.»

هزت ماكسي رأسها ببطء. شعرت فجأة بأن التعب قد أنهكها. حمل اليوم لها توتراً كبيراً.

«أعرف أنك لست شريراً دايفيد. لكننا صغار. لا يمكننا أن نعرف دائماً الأفضل لنا.»

وضع دايفيد يداً على كتفها وضغط عليه. بدا تصرفاً أخرق لكن مقصود.

«افعلي ما تظنينه صواباً، ماكسي،» قال. «سأحترم قرارك. هلا ندخل الآن؟ أظن أنها ستمطر مجدداً.»

57

«لو قبلت مرافقتي إلى العيادة لكان هذا أسهل بكثير. كنتُ سأستخدم المعدات المناسبة هناك.»

«مستحيل، فهي تشبه المستشفى.»

كان أخيليوس يجلس مسترخياً على أحد الكراسي في قاعة العرش وقد خلع سترته. كانت روز تتفحص أذنه المصابة. أعطته بعض المسكنات وحاولت تنظيف الجروح بالمطهرات. جفل أخيليوس حيناً وتذمّر حيناً آخر فزاد من صعوبة عمل روز.

كان ذلك مؤلماً جداً.

«ألا تحب المستشفيات؟» سألت روز وهي تلمس الإصابة.

«لا،» قال أخيليوس. «أمضيت فيها وقتاً طويلاً عندما كنت طفلاً.»

«هل كنت مريضاً؟»

«ليس أنا، بل أمي. كانت تعاني من التصلب في الأنسجة. هكذا أتذكرها، شخص مريض. كرهتُ المستشفيات من ذلك الحين. الأمر الوحيد الذي كان جيداً في مرض أمي، هو أنها ماتت قبل وقوع الكارثة. لم أضطرّ إلى رؤيتها مجنونة. أووه! ما الذي تفعلينه؟»

«آسفة، إنها أذنك.»

«ماذا عنها؟»

«سأضطر إلى خياطتها.» قالت روز.

«هل خطت جروحاً في السابق؟»

«لا، على الإطلاق.»
«هل تعرفين ما عليك فعله؟»
«لا، ليس فعلياً.»
«ما هي فرصتك في القيام بعمل جيد؟»
«ليس لديّ فرصة على الاطلاق،» قالت روز. «لكنها لن تقع على الأقل. أوه، تبدو في حالة مزرية. ستكون بشعة مهما فعلت.»

كان سكين جون قد قطع أذن أخيليوس من الأعلى وتركها معلقة بالجلد حوالى سنتيمتر واحد.

«كان يجدر بي قتل جون.»
«أنا مسرورة لأنك لم تفعل.»
«أما أنا فلا. أصبح لديّ عدو الآن.»
«لقد كان لك عدواً في السابق.»
«أنت محقة في هذا.»

سمعا طرقة على الباب، فنظرا ليريا اثنين من حراس دايفيد يرافقان فتى إلى داخل الغرفة. فتى صغير نحيل، أسود الشعر. بدا خجلاً ومتوتراً لكن كان يحاول أن يظهر قوياً.

«نعتذر على إزعاجكما،» قال أحد الحارسين. «لكن كان هذا الفتى العشوائي يتسكع خارجاً، و لم نستطع التخلص منه، يقول إنه يريد التحدث إليك.»

«سأعود خلال دقيقة إن أردت،» قالت روز، وهي تضع أدواتها.
«لا. ابقي،» قال أخيليوس. «ابدئي الخياطة.»
نظر أخيليوس إلى الفتى العشوائي.
«ماذا تريد؟» سأل.
«أيمكنني مصافحتك؟» قال الفتى بلهجة ايرلندية.
ضحك أخيليوس.
«لماذا تريد مصافحتي؟»

«أظن أنك رائع.»

«حقاً؟» ضحك أخيليوس مجدداً ومد يده.

«هل هذه خدعة؟»

«لا.»

تقدّم الفتى نحو أخيليوس وصافح يده بحرارة.

«كنت رائعاً هناك،» قال وهو ينظر بعينين مذهولتين نحو روز التي شرعت في غرز إبرة عبر أذن أخيليوس.

«ألم يجدر بك الذهاب إلى المخيّم مع الآخرين؟» قال أخيليوس. كان عازماً على ألا يظهر أي ألم أمام الفتى، رغم أن الألم كان مبرّحاً.

«لا،» قال الفتى. «كنتَ على حق في ما قلت. جون فاشل. أتيت للانضمام إليك. يا إلهي، لا بد أن هذا مؤلم...»

«لا.» أجاب أخيليوس نافياً.

«لا تتحرك،» حذرته روز.

«واصلي عملك،» أمر أخيليوس.

«أظن أنه سيُغمى عليّ،» قال الفتى.

«ما اسمك؟» سأل أخيليوس.

«بات. باتريك. لا مانع لديّ في ما تناديني. أريدك أن تعلمني كل شيء تعرفه. كيف أقاتل هكذا. سأساعدك. سأكون خادمك. سأهتم بأسلحتك. سأشحذها. سأحملها إلى المعركة. تعرف، تماماً مثل الاهتمام بفارس، مثل... ماذا يُسمّى؟ الغلام.»

«الغلام بادي؟» قال أخيليوس. «حسناً. لقد حصلت على عمل أيها الجندي.»

58

ضغط كالوم على زر تشغيل صندوق الموسيقى وصدح صوت آبا. The Winner Takes it All (الفائز يحظى بكل شيء). أغنية أمه المفضّلة عندما كانت تشعر بالحزن.

Dancing Queen (الملكة الراقصة) عندما كانت سعيدة. The Winner Takes it All (الفائز يحظى بكل شيء) عندما كانت تشعر بالحزن.

قالت دائماً إن كل شخص منا يحتاج إلى الموسيقى الحزينة عندما يشعر بالإحباط. «آخر ما تحتاج إليه هو أحد يحاول إبهاجك. تريد أن تعرف أن هناك أحداً يشعر بالبؤس بقدرك ويعرف حقيقة شعورك. لتعرف أنك لست وحيداً.»

لم يكن كالوم يشعر بالحزن تماماً. شعر بالهدوء والسكينة في داخله. لكنه لم يرد الاستماع إلى الموسيقى المبهجة. تذكر كيف كانت أمه تجلس على الأريكة وتلف ذراعها حوله من دون أن تتفوّه بكلمة. يجلسان هناك وحدهما.

غالباً ما كانت أمه حزينة. أحياناً، كانت تبقى في المنزل لأسابيع والستائر مسدلة على النوافذ. لا تريد أن ترى أحداً. لا تجيب حتى على الهاتف. كان على كالوم أن يكون رجل المنزل. اضطر إلى الاهتمام بها. لذا كانا يجلسان ويستمعان إلى آبا معاً. افترض أنه ورث خوفه من الخارج من أمه.

أخبرته صديقتها، ماريون، أن أمه تعاني من الاكتئاب.

لم يكن متأكداً من أن تسمية الأشياء أمر مفيد. أمه كانت ببساطة أمه. وهو كان نفسه. كالوم.

صدح صوت البيانو ثم بدأت الشقراء تغني. لم يستطع أن يتذكر أبداً إن كانت أغنيسا أم فريدا. كانت أمه تملك الشرائط المسجلة. استطاع كالوم تصوّرهما جيداً. التفكير بهما الآن جعله يبتسم. رفع صوت الموسيقى على آخره وجلس مسترخياً في كرسيّه بينما غنت المطربتان عن حصول الفائز لكل شيء وعن شعور الخاسر بالفشل.

تذكّر ذلك الجزء من فيلم ماما ميا عندما قامت الوالدة ما كان اسمها؟ الممثلة؟ اسم غريب. غنّت الأغنية بالقرب من البحر.

بدت اليونان جميلة.

لم يسافر كالوم أبداً. ليس في تلك الحالة التي كانت تعاني منها والدته.

ميريل ستريب. هذا كان اسمها. اسم غريب بكل تأكيد.

التقط علبة الكولا عن الأرض وفتح الغطاء. العلبة الأخيرة. كان يحتفظ بها ليوم مميّز. حسناً، لن تعود هناك أيام مميزة بعد الآن.

كانت الكولا غير باردة لكن لا يهم. لو كان الطقس شتاءً لوضعها في الخارج، ما عدا ذلك لم تكن هناك طريقة أخرى لتبريد الأشياء. رشف رشفة. أحس بقوة السكر في الحال. لعق شفتيه بلسانه وردد آحححح، تماماً كما يحصل في الإعلانات.

أزال غلاف قطعة الشوكولاتة. كادبوري دايري ميلك. كان لونها أبيض بعض الشيء وقاسية، لكن لا بأس بذلك. قضم قضمة. أوه، طعم رائع. أغمض عينيه ليستمتع بالطعم أكثر. كان ذلك كما في الجنة.

غنت آبا عن الآلهة. غير مبالية. كل شيء تحكمه الفرصة، الحظ، مثل رمية نرد.

دوى صوت تحطم آخر من الخارج. صوت شيء كبير ينكسر. نافذة ربما؟

ذلك الوالد الذي يرتدي صديرية سان جايمس، لم يكن قد ترك المكان. بقي هو وعصابته الصغيرة. كانوا مشغولين في الخارج طوال الوقت. يشقون طريقهم بثبات إلى الداخل. أصبحوا قريبين جداً. إن لم يصلوا الليلة، فغداً بالتأكيد. عرف دائماً، في قرارة نفسه، أنه عاجلاً أو آجلاً سيقتحم الراشدون

المبنى بحثاً عنه. لكنه لم يفكر أن ذلك قد يحدث بهذه السرعة.

كان الوالد السمين ورفاقه مختلفين. كانوا أذكياء. كان كالوم يقذفهم بمختلف الأشياء، يرميهم بمتفجرات الألعاب النارية، لكنه كان يُخطئ القائد في كل مرة. قضى على بعض الراشدين العاديين، الأغبياء منهم. فقط لا غير. أما الآخرون، فلم يستسلموا أبداً. كانوا يعملون عند الحواجز الدفاعية.

تذكر مشاهدته وثائقياً عن الحياة البرية. وثائقي لدايفيد أتنبورو على الأرجح، عن مجموعة من الكلاب البرية. حاصرت حيواناً من نوع ما في جحره. غرير أو عظاءة أو حيوان من هذا القبيل. واصلت الحفر والحفر حتى عثرت عليه.

بعدها التهمته.

ضربة كبيرة أتبعت الضجة السابقة. شيء ما وقع.

بات يسمعهم يدخلون الآن. لقد دخلوا السوق التجاري. لم يعد يفصله عنهم سوى الأبواب. افترض أن عليه أن يهرب، لكن إلى أين؟ لقد مرّ وقت طويل منذ خروجه إلى العالم الخارجي. ذلك أخافه أكثر من الراشدين أنفسهم.

صدحت أغنية أخرى. واحدة من الأغاني المفضّلة لدى أمه عندما كانت تشعر بالحزن، كما كانت تُسمي تلك الحالة. «لديّ حلم». لقد غنيا هذه الأغنية معاً ملايين المرات. كانا يشغلان إصدار «غنّ معنا» حيث كانت تظهر الكلمات على الشاشة. لكن الآن فقط، فهم كالوم ما عنته الكلمات. لا عجب أن والدته أحبّتها. كانت كلها عن الإيمان بخيالك كي تنسى الواقع.

على الأقل سينتهي الأمر سريعاً عندما يدخل الراشدون. أما الآن، فسيستمتع بالشوكولاته والكولا والموسيقى. تمنى لو أنه لم يكن وحيداً. تمنى لو أن هناك أحداً يشاركه لحظاته الأخيرة. كان يموت ببطء من الوحدة منذ رحيل أصدقائه.

حصل على ما تمنّاه، لكن، مثل القصص الخيالية، اكتشف أن ما تمناه لم يكن فعلاً ما أراده.

انحنى إلى الأمام وأوصل سماعات الأذنين بالصندوق، رفع الصوت إلى آخره حتى لا يسمع حفيف الراشدين على الأبواب. وضع السماعتين على أذنيه. كانت آبا لا تزال تغني. كانت كلماتها، إن كان لديك أغنية تغنيها، تستطيع أن تتعامل مع أي شيء.

وكأن هذا صحيح...

وضع نصف قطعة الشوكولاته في حلقه. كان مذاقها ألذ من أن يوصف. شعر بأن جمسه كله يتفاعل. تنهد من المتعة. عندما لعق كل الشوكولاته الباقية على أسنانه، أخذ رشفة كبيرة من الكولا.

قتل أمّه في النهاية. خنقها بمخدة بينما كانت نائمة. حينها، لم تكن أمه التي عرفها.

دوّى صوت قوي ودخلت لفحة هواء من الخارج. استطاع أن يشعر بحركة ما.

لقد كسروا نافذة.

حاول أن يبقي عينيه مغمضتين، أن يترك نفسه للموسيقى. كان عليه أن ينظر. كان عليه ذلك.

فتح عينيه لنصف ثانية. رأى عدداً من الراشدين يقتربون منه. الرجل الأصلع ذو الرأس المتدلي كان في المقدمة. كان يبتسم، يداه مرفوعتان، يُمسك بمضربه.

أغمض كالوم عينيه.

أرسل تحية صامتة لأمه، وهاجموه.

59

عُولج أخيليوس وضُمدت جراحه، لكنه كان لا يزال يشعر بالألم. كانت عضلاته متصلبة وكلها كدمات، شعر بالوخز في الجزء الأيسر من رأسه، وتلك الجروح التي أصابته بها سكاكين جون لسعته كثيراً. كان مغطى باللاصقات والضمادات المختلفة وغطت جراحه المطهرات الملوّنة. دعا أن تكون الجراح نظيفة. لقد رأى ما حدث لأران عندما تعرّض للعض. فما الفرصة في أن حيواناً قذراً مثل جون سيُبقي أسلحته نظيفة؟

كان الشيء الوحيد الذي منح أخيليوس الأمل بعد موت والدته، هو تمكن والده من الاهتمام به جيداً. تعلم الطبخ، ساعد أخيليوس في دروسه، تأكد من أن ملابسه نظيفة دائمة، وأخذه بانتظام إلى الطبيب لإجراء اللقاحات. كان مهووساً بذلك. انتقل والده من قبرص إلى إنكلترا عندما كان في الثانية عشرة من العمر. كان لا يزال يذكر قصصاً عن تلك القرية الصغيرة التي وُلد فيها. كان أخيليوس متأكداً من أن أباه كان يبالغ في وصف طبيعة المكان. لكن والده أحب النظام الصحي البريطاني. وكان يخبر قصصاً مروّعة عن الأوبئة التي كانت اللقاحات تقي منها.

كان أخيليوس متأكداً من انه لم يتلق إبرة كزاز. كان الأولاد هنا منظمين جداً، لديهم مركز مجهّز للعناية الطبيعة، لكن لم يكونوا مهيّئين لمنح لقاحات مثل إبرة الكزاز.

أعطته روز بعض المضادات الحيوية، وبذلت ما بوسعها مع أذنه. تساءل كيف ستكون النتيجة. لم يهتم كثيراً في السابق بشأن مظهره. كان يعرف أنه

ليس وسيماً. لكن ما زال لا يريد أن يبدو وحشاً. لكن في الواقع، القليل من الشكل المخيف سيرفع من مكانته. الشكل المخيف هو نصف الطريق للفوز بقتال. أما الآن، فكان في حالة مزرية جداً. كان رأسه ملفوفاً مثل مومياء.

لكان الأمر أسوأ. أسوأ بكثير.

كان محظوظاً مع جون. كان الفتى غليظ الذهن، لم يعرف أنه يتعرّض للخداع، ولو أن خدعة أخيليوس لم تفلح لكانت تلك نهايته. فقد كان متاحاً تماماً لهجوم مضاد من جون.

لا مشكلة. لقد انتصر. وهذا كل ما يهم.

انتقل إلى غرفة الموسيقى في الجهة الخلفية من القصر وكان يجلس يراقب المطر الذي سال على النوافذ. كان في انتظار العشاء. ها هو جائع مجدداً، والسبب على الأرجح الدم الكثير الذي فقده.

كان يجلس على كرسي بذراعين فخمة، مرتدياً بنطال بذلة رياضية وروباً. كان ارتداء سترة فوق الضمادات مؤلماً جداً. بين الحين والآخر، كان أحد أولاد القصر يدخل ويثني عليه. أراد الجميع مصافحته، أملوا أن يصبح هذا النجم صديقهم.

قد يعتاد ذلك.

دخل الغلام بادي مع كوب من الشاي وطبق من الطعام على صينية.

«لقد تأخرت كثيراً.»

«لم تكن غلطتي،» قال بادي بلهجته الإيرلندية. «كانوا مشغولين في المطبخ.»

«لا أريد أعذاراً يا فتى، أريد نتائج. مفهوم؟»

«نعم، آسف. كما كان عليّ البحث عن الأشياء الأخرى من أجلك.»

«هل عثرت عليها؟»

«نعم.»

وضع بادي الصينية جانباً وفتح حقيبة علقها على كتفه.

«افتحها.»

فتح بادي السحاب. كانت هناك بعض الثياب، فرشاة أسنان، مصباح، وثلاث علب رذاذ الألوان.

جلس أخيليوس يحدّق بها في صمت لوقت طويل. ثم التقط واحدة من العلب.

«هل كان صديقاً لك؟» سأل بادي.

«فريك؟ لا، ليس حقاً.» دفع بالعلبة نحو بادي. «اهتم من أجلي بهذه والعلبتين الأخريين أيضاً. يمكنك رمي الأغراض الأخرى.»

«حسناً. لكن ليس من المفترض أنني عبد لك.» قال بادي. «بل أقرب إلى خادم، ظننت. أفعل الأشياء من أجلك وتفعل أشياء من أجلي. مثل تعليمي القتال.»

«سنرى.»

«قلت...»

«لا تزعجني أيها الصغير.»

«آسف.»

أخذ أخيليوس رشفة من الشاي. كان ساخناً جداً. أعاده إلى الصينية.

«انفخ عليه ليبرد من أجلي، هلا تفعل؟»

«لن أفعل.»

«إذا كنت تريد أن أعلمك القتال، فانفخ على الشاي.»

«إذا علمتني، فسأنفخ عليه ليبرد.»

وقف أخيليوس ومدّد جسمه. نظر إلى بادي.

«أنت تريد فعلاً أن تتعلم القتال، صحيح؟»

«بالتأكيد. إذاً، أيمكننا أن نبدأ؟»

«ماذا؟ الآن؟»

لم ينبس بادي ببنت شفة. انتظر أخيليوس لحظة ثم دفعه ليقع على السجادة. ضحك أخيليوس. بدا بادي غاضباً ومتأذياً.

«لَم فعلت هذا؟»

«الدرس الأول،» قال أخيليوس وهو يمدّ يده ليرفع بادي. «كن مستعداً لأي شيء في أي وقت. قد يُهزم أيّ مقاتل في العالم إن لم يكن مستعداً. انظر إلى ما حدث لجون. لقد تغلبت عليه مرتين. مرة في المخيّم وأخرى هنا. كان مقاتلاً أفضل مني، لكن يفتقر للذكاء، وفي المرتين تغلبت عليه وهو ساهٍ.»

ابتسم بادي.

«سأكون مستعداً في المرة المقبلة.»

شده أخيليوس ليرفعه على قدميه، وفي نصف المسافة، تركه يفلت مجدداً ليقع على ظهره. ضحك أخيليوس عليه، فبدا الفتى غاضباً أكثر من السابق.

«ظننتك قلت إنك كنت مستعداً،» قال أخيليوس.

«كان ذلك تصرفاً أخرق،» قال بادي.

«آه، لكنك تتعلم أيها الفطن. لا تثق بأحد.»

«إذاً كيف تعرف أنك تستطيع الوثوق بي؟» سأل بادي. نهض بنفسه هذه المرة. «قد أكون جاسوساً من المخيّم.»

«أتظن أنني لم آخذ هذا في الاعتبار؟» قال أخيليوس.

«لست جاسوساً،» قال بادي سريعاً وهو يرمي أخيليوس بنظرة تشبه نظرة الجرو الظريف. «لا تُبعدني أرجوك. لا أريد أن أعود إلى المخيّم. المكان هناك رطب وبارد. لم أكفّ عن سؤال جون لِمَ لا نستطيع العيش هنا مثل الجميع، لكنه قال إننا مختلفون. مميزون. لم أفهم نصف ما كان يقوله. قال إننا مثل الغجر، لكننا لم نذهب إلى أيّ مكان أبداً. لم نفعل شيئاً أيضاً. المكان هناك ممل.»

«هل تظن أن الحال ستكون أفضل هنا؟» قال أخيليوس.

«آمل ذلك،» قال بادي. «متى ستبدأ بإعطائي دروساً في القتال؟ المناسبة منها، وليس مثل هذه. ألاعيب أطفال.»

«ماذا؟ أتريد أن أهاجمك برمح مسنن؟»

«لا. هناك الكثير من الدروس التي لا تتضمّن مهاجمة أحدهم.»

«لا أعرف،» قال أخيليوس. «لم أعط درساً من قبل. لستُ متأكداً من

أنني سأكون مفيداً كمدرّب. عليك فقط أن تراقب وتتعلم على ما أظن. تعلم ما تستطيع أن تتعلمه. فأنا عادة لا أفكر بالقتال، بل لديّ بالفطرة.»

«أنا سريع التعلم،» قال بادي.

ابتسم أخيليوس له ثم دفعه نحو الأرض مجدداً. بدا بادي أنه سينفجر من البكاء، لكن أخيليوس ضحك عليه مجدداً. كان لا يزال يضحك عندما دخلت ماكسي.

«أنا ذاهبة لرؤية بلو،» قالت.

«بلغيه حبّي،» سخر أخيليوس.

«ألن ترافقني؟»

«لِمَ أفعل؟»

«أريد أن أتكلم معه بشأن إن كنا سنبقى هنا.»

«لِمَ عساك تريدين الرحيل؟»

«كان من الممكن أن تموت اليوم آخي.»

«كان ذلك اختياري.»

«وفريك مات بالفعل.»

«كان من الممكن أن يحدث ذلك في أي وقت.»

«نحن نقوم بعمل دايفيد القذر من أجله.»

«وإن يكن؟ أحب العمل القذر.»

«كن جاداً.»

«أنا جاد ماكسي. أقصد، انظري إلي، أنا مقاتل. ماذا تتوقعين مني أن أفعل؟ أجلس طوال اليوم أحصي رؤوس البطاطا؟ أنا لستُ مثلك ماكسي. أنا لست مهتماً بالسياسة. ما دام لديّ إثارة في حياتي، ووجبة طعام في نهاية اليوم، فأنا بخير.»

«مثل حيوان.»

«بربّك، اهدئي ماكسي. انظري من حولك! نحن نعيش في قصر باكينغهام، حباً بالله، ليس في حديقة الحيوانات. الطريقة التي كنا نعيش بها

سابقاً – تلك كانت كالعيش مثل الحيوانات. أما هنا، فالعيش مثل الملكات.»

«ظننت أنك تفضّل العيش مثل الملوك،» قالت ماكسي.

«لا فرق،» قال أخيليوس. «النتيجة: أحب المكان هنا. لا أعرف لَمَ قد تريدين الرحيل.»

«لأننا إن بقينا هنا فسنصبح مثل دايفيد. كل ما يريده هو السلطة.»

«لا بأس بهذا بالنسبة لي،» قال أخيليوس. «ما دمت مع الجانب المنتصر. لا أريد البقاء مع أيّ فاشلين.»

«هل سترافقني في مطلق الأحوال؟» سألت ماكسي. «لرؤية بلو؟»

«لست أبله. أشعر بالملل من الثرثرة.»

«حسناً. لا تأتِ إذاً.»

«لن أفعل.»

غمز أخيليوس لبادي الذي ضحك بدوره. احمرّت وجنتا ماكسي واتجهت نحو الباب قبل أن تفقد صوابها وتجعل من نفسها أضحوكة. كان جنبها يؤلمها كفاية ليجعلها ترغب في البكاء. كان جستر ينتظر في الرواق حاملاً شمعداناً أُضيت فيه خمس شموع. تساءلت إن كان قد سمع الكثير من المحادثة.

لا يهم، لم يعد ما تشعر به تجاه دايفيد سراً.

تباً لأخيليوس. تباً له! على الأقل أولي سيلتقي بها هناك، لذا ستحظى ببعض الدعم.

حالما غادرت الغرفة، ناداها أخيليوس.

«إلى أين ستذهبين؟»

«لا أعرف،» أجابت بغضب. «أيّ مكان بعيداً عن هنا.»

قادها جستر في اتجاه السلالم الضخمة حيث تسلقا درجين طويلين. في الأعلى، كان تمثال لفرساوس يحمل رأس غورغون المقطوع. ذُهلت ماكسي كم كان فرساوس صغيراً ويافعاً، وكيف بدت ميدوزا. ربما هذه هي القصة. فتى يقتل راشداً. عالم القتل الجديد المتجذر من الماضي.

قادها جستر عبر الطبقات العليا للمبنى، وضوء شموعه يتأرجح على الجدران. كان المكان هنا أقل هيبة، يشبه أكثر البيت العادي، عادي لكن كبير.

كانت العيادة في زاوية من الطبقة العلوية، في نهاية رواق قصير بالقرب من درج. جلس اثنان من حرّاس دايفيد في الخارج، يحملان بندقيتيهما.

استدارت ماكسي نحو جستر بنظرات متسائلة.

«ظننت أن هذه عيادة لا سجن.»

«اهدئي،» قال جستر. «إنهما لا يحرسان المكان. إنهما هناك إذا ما احتاجِ أحد إلى شيء.»

«لم البندقيتان إذاً؟»

مال جستر وهمس في أذن ماكسي.

«لا يذهبان إلى أيّ مكان من دونهما. إنهما يحبّان لعبتيهما.»

ضحك بينما دخلا الغرفة.

كانت هناك ستة أسرّة. وُضعت شمعة مضاءة إلى جانب كل سرير. أربعة أسرة كانت فارغة. أما السريران الآخران، فكان بهما بلو والفتاة التي أنقذوها سابقاً. كانت ممددة هناك، تحدّق في السقف، وجهها مغطى بالضمادات. كان بلو جالساً، عاري الصدر فوق الشراشف، يقرأ كتاباً وضعه حالما رأى ماكسي تدخل.

جلست روز بالقرب من النافذة مع شمعتها، تتصفح مجلة. فتاة أخرى ترتدي زيّ ممرضة كانت تملأ كوباً من الماء من الإبريق. عمّ الهدوء والسكينة المكان. تساءلت ماكسي ما الذي كانت قلقة بشأنه.

ابتسم لها بلو ابتسامة واسعة، مسروراً لرؤيتها كثيراً. بدا بخير. بصحة جيدة ومرتاحاً. فوجئت ماكسي للمرة الأولى عندما رأت بنيته القوية. منذ الكارثة، كانوا جميعهم يأكلون أقل، وأجسامهم أنحل خلت من الدهون. حياتهم المشحونة ساعدتهم على بناء عضلاتهم.

«كيف حالك؟» سألت.

«أفضل،» قال بلو. «لم أستطع التخلص من الدوار. أنام طوال الوقت.

لكن عندما استيقظت هذا المساء شعرت أنني بحالة عادية تقريباً. لكن الصداع لا يبارحني. كيف حالك؟»

«سأتركك معه،» قال جستر وغادر بهدوء.

جلست ماكسي على جانب السرير وأخبرت بلو كل ما حدث منذ المعركة في المخيّم. تحركت روز والممرضة في الغرفة ذهاباً وإياباً، محاولتين إشغال نفسيهما بأي شيء حتى يمنحاهما المساحة المناسبة للتحدث.

عندما أنهت حديثها، صمت بلو طويلاً.

«آسف بشأن فريك،» قال أخيراً.

«نعم،» قالت ماكسي. «قطع كل تلك المسافة من هولوواي ثم وصل إلى هنا ليُقتل في شجار غبي على يد فتى آخر.»

أمسك بلو بيدها وضغط عليها. عبست ماكسي من المفاجأة. لكنها لم تسحب يدها. أشعرها ذلك بالارتياح.

«هل فاتني شيء؟» سأل أولي وهو يجلس على الجانب الآخر من السرير.

«أخبرتني ماكسي كل شيء،» قال بلو.

«كان يجدر بك رؤيتها،» قال أولي. «قائدة حرب بكل ما للكلمة من معنى.»

«أفضّل أن أكون قائدة سلام،» قالت ماكسي.

«لقد انتهى كل شيء على خير،» قال أولي. «لقد انتصرنا.»

هزت ماكسي رأسها. «يجب أن تعترف بأن ما حدث هناك كان سيئاً جداً. قتال حتى الموت.»

«لم يمت أحد،» قال أولي. «والعشوائيون حلفاؤنا الآن. لا أعرف كيف كان لنا أن نحقق ذلك من دون قتال.»

«لم يكن قتالنا،» قالت ماكسي.

«إذا أردنا البقاء هنا، فنعم، إنه قتالنا.»

«إذاأردنا البقاء.»

«ما الذي تقولينه؟»

«أقول أظن أن علينا الرحيل.»

«لحظة واحدة، ماكس،» قال أولي. «دايفيد...»

«أوه، كفاك كلاماً عن دايفيد!» قاطعته ماكسي. «أعرف أنكما صديقان الآن، لكن لا أريد أن يكون لي أي علاقة به.»

«اسمعا، قبل أن تبدآ الشجار. قال بلو. «بينما كنتُ مستلقياً هنا، كنت أفكر بي وبدايفيد. في طريقنا إلى القصر تحدثت إلى جستر، سألته عمّن سيكون المسؤول عندما نصل إلى هنا. قال إننا سنناقش هذا الأمر لاحقاً. لم يحدث ذلك النقاش، ما عدا ذلك الهراء عن كوني جنرالاً وما إلى ذلك.»

«الأمر لا يتعلق بمن يكون المسؤول،» قالت ماكسي. «بل بما يمثله دايفيد.»

«هذا كثير عليّ يا فتاة. ما يهمّني في الأمر هو أن لدينا زعماء كثراً في هذا المكان.»

«لن يسمح لك أبداً بتولي المسؤولية، بلو.»

«إذاً ما الذي نتحدث عنه؟ إما نقاتل دايفيد للوصول إلى القيادة أو نرحل.»

«هذه طريقة للنظر في الأمور...»

«إنها الطريقة الوحيدة التي أعرفها يا فتاة.»

«حسناً، لن نقاتل،» قالت ماكسي. «مهما فكرتُ بدايفيد، لا أريد أن أقاتله أو أيّ أولاد هنا.»

«هل نرحل إذاً؟» سأل بلو.

«لحظة واحدة،» قال أولي. «علينا مناقشة هذا الأمر بعقلانية.»

«إلى جانب من أنت يا رجل؟»

«لست إلى جانب أحد.»

«إذاً أنت لست إلى جانبنا.»

«لا داعي ليكون هناك جانبان أصلاً.»

«حسناً، هناك بالفعل،» قال بلو. «عليك الاختيار.»

«لا، لا، لا،» قال أولي الذي وقف وأخذ يذرع الغرفة جيئة وذهاباً.

«لقد أنجز دايفيد شيئاً هاماً هنا. لا أحبه كثيراً، لكنني أحترمه. إنه رهاننا الأفضل في كل تلك الفوضى التي تعم لندن.»

«هذا رأيك،» قالت ماكسي. «أما رأيي فهو أننا سنكون جميعاً في حال أفضل إذا خرجنا من هذا القصر.»

راقبوا روز تحمل شمعتها في اتجاه النافذة، تقف هناك تنظر إلى الخارج المظلم. أطفأت الشمعة، ثم اتجهت لترتب شراشف سرير الفتاة التي غطت الضمادات وجهها والتي كانت ممدّدة من دون حراك رغم أنها بدت مستيقظة.

جلس أولي مجدّداً ومال إلى الأمام نحو ماكسي وبلو، متحدثاً بصوت منخفض الآن.

«اسمعي ماكسي،» قال. «لن يوافق الصغار على الرحيل. إنهم أكثر سعادة وراحة مما كانوا عليه منذ أشهر. هذا جنون.»

«لا يمكننا خسارة كل ما نؤمن به. إدراكنا للصواب والخطأ،» قالت ماكسي. «فقط للنجاة.»

«فقط للنجاة؟ ليس هناك فقط في الأمر. النجاة هي كل شيء.»

«أنا وبلو نريد الرحيل،» قالت ماكسي. «لذا لم يعد هناك شيء نناقشه. سأنزل وأخبر الآخرين. سيفعلون ما أقوله. أنا وبلو المسؤولان. وهذا ما نريده.»

تنهّد أولي ووضع رأسه بين يديه. لم يعد لديه ما يقوله.

اتجهت ماكسي نحو الباب وفتحته.

توقفت.

كان دايفيد يقف خارجاً، حارساه على كلا الجانبين.

«ما هذا؟» سألت ماكسي.

«أخشى أنني لا أستطيع السماح لكم بالرحيل،» قال دايفيد. «أحتاج إلى مقاتليكم. كنتُ آمل أن يقنعك بلو بالصواب، لكن يبدو أنه هو مشكلة أيضاً.»

«كيف تعرف ما الذي كنا نتحدث عنه؟ ألديك جواسيس هنا؟»

رمشت عينا دايفيد نحو روز التي خفضت رأسها.

الشمعة. عند النافذة. كانت إشارة.

ضحكت ماكسي من دون مرح.

«ماذا إذاً؟ هل ستأخذنا أنا وبلو سجينين؟»

«إذا كان هذا ما يجب فعله. برأيي، إذا أبعدنا القائدين، فسينصت الآخرون لما نمليه عليهم.»

«لا تكن سخيفاً، دايفيد. لا يمكنك سجننا هنا. سنغادر.»

«لن يغادر أحد،» قال دايفيد وصوّب الحارسان بندقيتيهما نحوها.

قفز بلو من السرير صارخاً بغضب، متقدماً نحو دايفيد، لكنه كان لا يزال ضعيفاً. تعثر، أمسك برأسه وتألم. اضطرت ماكسي للإمساك به حتى لا يقع.

نظر دايفيد نحو أولي، متحدّياً إياه.

«أنا معك يا صديقي،» قال أولي. «لم أرد الرحيل من الأساس.»

نظر دايفيد نحو روز فأومأت له مؤكدة صحة كلام أولي.

«ماكسي حمقاء،» قال أولي. «وبلو غاضب لأنه ليس القائد هنا.»

مشى أولي نحو الباب، ماراً بالقرب من ماكسي وبلو، وخرج.

«يبدو أنكما وحيدان هنا،» قال دايفيد.

«لن يروق الآخرين ما يحدث هنا،» قالت ماكسي.

«من سيساعدكما؟ أخيليوس؟ لا أظن ذلك؟ إنه إلى جانبي الآن. يعرف الشيء الجيد عندما يراه.»

غادرت روز والممرضة الغرفة وهما تبدوان خجلتين. لم ترفعا أعينهما عن الأرض.

كانت ماكسي وبلو وحيدين في الغرفة مع الفتاة المضمّدة الصامتة.

«»يمكنك البقاء بقدر ما تريدين،» قال دايفيد. «عندما تعودين إلى رشدك، يمكنك الانضمام إلى الآخرين. أما في الوقت الراهن، فأنا مسؤول عن أولاد مجموعتكما. تصبحان على خير.»

60

لم يظن سام أنه يستطيع أن يخطو خطوة أخرى. كان يميل مستنداً إلى كتف الفتى، غير متأكد من منهما كان يستند إلى الآخر. لم يتكلما منذ وقت طويل، كانا متعبين جداً وجائعين وخائفين. كانت قطرات المياه الخفيفة تُشعرهما بالبرد، تجعلهما أكثر ضعفاً. كانا يتجولان على غير هدى، محاولين العثور على طعام وتجنب عصابات الراشدين الذين بدوا كثراً في تلك المنطقة. كان الغاز قد نفد من ولاعة الفتى، وشعرا بارتباك أكبر في الظلام. عبرا أبراج المدينة وتاها في الشوارع وهما يجرّان أرجلهما المتعبة، يركضان أحياناً، يختبئان ويدوران في حلقة مفرغة أحياناً أخرى. حاولا الالتجاء إلى مبان مختلفة لكن لم يكن أي مكان آمناً، كما لم يكن هناك شيء يأكلانه بينما أصبح الظلام دامساً.

لا بد أن النهر قريب، حالما يصلان إليه سيعرفان طريقهما ويبتعدان، لكنهما كانا يفقدان الأمل في الوصول إليه. كان هذا مكاناً غريباً. لم يكن هناك منازل عادية، فقط مكاتب وملاه ومتاجر. أرادا الابتعاد عن أبنية الزجاج العملاقة التي خبّأت أسراراً لا نهاية لها.

كانا يجرّبان طريقاً جديدة. وصلا إلى منطقة بدت مخيفة جداً. مشيا نحو جسر للسكك الحديدية.

بينما أصبح سام يشعر بتعب أكبر، بالبلل، بالجوع والعطش، واضطر إلى عصر مياه المطر من على قميصه وكان رأسه يؤلمه، بدأ يرى أشياء غريبة. أشكال تتحرك في زوايا عينيه، نقاط ضوء تتراقص، ظلال تتحرك. في كل

مرة أدار فيها رأسه لينظر، لم يرَ شيئاً. أراد بقوة أن يتمدّد في الشارع، أن يتكوّر كالطابة ويغط في نوم عميق. لم يعد يهمّه إن استيقظ مجدداً أم لا. من الرائع أن يخلد إلى النوم إلى الأبد.

كالعادة، ذلك الصوت في رأسه حثّه على التقدم. لقد كان مديناً لريانون. لقد ضحّت بحياتها لمساعدته على الهرب. كان عليه الاستمرار. موتها يستحق مقابلاً جيداً.

ماذا عن إيلا؟ أخته الصغيرة في حاجة إليه. يجب أن يعثر عليها. يساعدها. يعتني بها.

شعر بأن الفتاتين إلى جانبه، تحثانه على التقدم خطوة تلو الأخرى. ريانون على اليمين، وإيلا على اليسار.

من دون سابق إنذار، توقف الفتى. توتر سام.

«ما الأمر؟ ماذا رأى؟ المزيد من الراشدين؟ هل عليهما القتال هذه المرة؟»

أحكم سام قبضته على مشبك الفراشة. ربما هذه الليلة لن تنتهي أبداً.

«انظر،» قال الفتى بصوت أجش. أشار بيده.

«ماذا؟» سال سام. «ما الذي أنظر إليه؟»

«هناك،» قال الفتى، «أمامنا مباشرة. نيران.»

«رآها سام، صف لما بدا مشاعل نار أُضيئت أعلى الجدار. أدرك، بينما ساوره بصيص من الأمل، إنه يميّز المبنى. ابتسم. لقد أتى إليه في رحلة مدرسية عندما كان في سن الرابعة.

كان برج لندن. القصر بالقرب من التايمز، بناه أصلاً النورمان بعد معركة هاستينغ. كان متأكداً من أنه يرى شيئاً مألوفاً.

لا بد أن أحدهم أشعل تلك المشاعل على طول الجدار.

«هناك أناس،» همس.

«راشدون؟»

«لا أعرف،» قال سام. «الراشدون لا يشعلون النار عادة، صحيح؟ لكن لا شيء عادياً هنا.»

«علينا التقدّم بحذر،» قال الفتى، لكن لم يكد ينهي كلامه حتى دوّى صوت من الظلام خلفهما.

«قفا مكانكما. لا تتحركا.»

صوت فتى. ليس راشداً.

«نحن ولدان صغيران،» بكى سام. «صغيران فحسب.»

«أستطيع رؤية هذا،» قال الصوت. «من أين أتيتما؟»

«ويتروز،» قال سام.

«ويتروز؟» شعر سام بضحكة مكتومة في ذلك الصوت.

استدار سام ببطء إلى الخلف.

«في هولوواي.»

«أين ذلك المكان؟»

«شمال لندن. بعد كامدن تاون.»

«هل قطعتما كل تلك المسافة إلى هنا؟»

«نعم، أحاول الوصول إلى قصر باكينغهام.»

«حسناً، أنت بعيد عن وجهتك كل البعد.»

«أعرف. أرجوك، نحن متعبان وجائعان. نحن نهرب من الراشدين طوال اليوم.»

«هل أنتما وحدكما؟»

«نعم.»

ظهر أربعة أشخاص من الظلام، فشعر سام بأنه عاد فجأة مئات السنين إلى الوراء.

أولئك الأشخاص، جميعهم فتيان، ارتدوا ملابس من القرون الوسطى. سترات وأحذية مع أدرع وسيوف وخوذات. أحدهم حمل قوساً ونشاباً.

«هل ستساعدوننا؟» سأل الفتى. «لا يمكننا الاستمرار. لن تحملنا أرجلنا أكثر.»

تحدث الولدان الأطول معاً بهدوء ثم اتجه أحدهما نحو سام والفتى.

خلع خوذته. كان وجهه وسيماً لولا ندبة على خده جعلت وجهه غريب الشكل. ابتسم فتلوّت الندبة مع قسمات وجهه. كانت عيناه لطيفتين، هادئتين بلونهما البني.

ركع بالقرب من سام والفتى.

«كم عمركما؟» سأل.

«تسع سنوات،» أجابا بصوت واحد.

«وقطعتما كل تلك المسافة من شرق لندن إلى هنا؟»

«فتى القريدس فعل،» قال الفتى. «أنا كنتُ أعيش بالقرب من سبيتالفيلدز لكنني دخلت الأنفاق وضللت الطريق...»

«مهلاً، مهلاً، لا تتكلم سريعاً،» قال الفتى الأكبر سناً. «إذاً كنت في سبيتالفيلدز؟ من كان يعتني بك؟»

جفل الفتى. «لا أحد. كان هناك عدد من الأولاد في الماضي، لكنهم ماتوا جميعاً، هذا أكيد. بقيت أنا وحيداً. لكنني عثرت على القزم. كنا نساعد بعضنا بعضاً. نحن صديقان.»

هز الفتى ذو الندبة رأسه وأطلق ضحكة أشعرتهما بالارتياح.

«ها نحن نظن أننا أذكياء وأقوياء لنجاتنا هنا في البرج. جعلتمانا أيها الصغيران نبدو كمجموعة من المخنثين.»

«هل المكان آمن هناك؟» سال سام.

«في البرج؟» هز الفتى رأسه إيجاباً. «آمن بما يكفي.»

«متأكد؟» سأل سام.

«لقد مررت بالكثير،» أليس كذلك؟»

هز سام رأسه بنعم.

«حسناً، إنه آمن مثل أي مكان آخر، على ما أظن. أكثر أمناً من الشوارع هنا. أكثر أمناً من الأنفاق، هذا مؤكد.»

«هل ستأخذنا إلى هناك؟»

«بالتأكيد. لمَ لا؟»

«هل سنكون بأمان فعلاً؟ أنت فقط؟ أولاد فقط؟»

«يعيش هناك سبعة وستون ولداً،» قال الفتى الأكبر سناً. «جميعنا من الأولاد، من جميع الأعمار. ليست أفضل حياة في العالم، لكنها حياة. أنتما بأمان الآن يا صديقيّ.»

انفجر سام باكياً وكذلك الفتى. فتح الفتى الأكبر سناً ذراعيه وضمّهما إلى صدره حتى يتوقفا عن البكاء. ثم حملهما وأجلسهما على جانبي خاصرته وانطلق بهما نحو البرج.

مكتبة
t.me/t_pdf

61

كان بن وبيرني يتناولان عشاءً متأخراً في غرفة الطعام. تناول معظم الأولاد عشاءهم باكراً، لذا كان طعامهما بارداً. تواريا عن الأنظار طوال الأمسية، شغلا نفسيهما برتق مولد بنزين عثرا عليه في المخزن في قسم الصيانة في القصر. لم يريدا مشاهدة القتال، وبقيا بعيدين بقدر الإمكان.

منذ وصولهما إلى القصر، قضيا معظم وقتهما في اكتشاف المكان. حاولا جذب اهتمام دايفيد في خطط هندسية. نظام ضخ وترشيح للحصول على المياه النظيفة من البحيرة، خطة لتشغيل سخان مياه لفصل الشتاء باستخدام زجاجات الغاز التي عثرا عليها في الكوخ، وحتى خطة لتوليد الكهرباء، لكن دايفيد لم يكن مهتماً. كان نظره مصوّباً خارج القصر. قال إن غياب وسائل الترف يجعل الأولاد أقوى. أدرك بن وبيرني أن الترحيب العظيم خلال مأدبة الليلة الأولى، كان مجرد عرض كاذب للوفرة والرخاء، مجرد عرض لإبهار القادمين الجدد. منذ تلك الليلة، كان الطعام يسوء أكثر فأكثر. الليلة، كان العشاء بطاطا مسلوقة مع ملفوف، وخوخاً معلباً للتحلية. لم يتذمّر بن وبيرني، لم يزعجهما الطعام هذا على الأقل، فقد أشبعهما. لكنهما لاحظا التغيّر في النوعية وأيضاً الكمية. لم يتناولا لحماً أبداً.

كانت آمالهما كبيرة عندما وصلا. حياة جديدة بفرص جديدة. لكن دايفيد هيّأ المكان ليكون أكثر من عملي. يمكنهما أن ينجوا هنا، وهذا كل ما يهم. غالباً ما تحدثا عن كم كانا مقدّرين في ويتروز، وكم استمتعا في اختراع الأشياء. لقد اشتاقا لكل تلك الأشياء التي تركاها خلفهما. شعرا

بأنهما جزء منها، جزء مهم. لكن ما هما الآن؟ لا يستطيعان القتال ولا يتطلعان قدماً لقضاء باقي حياتهما مزارعين. لكن الطعام والقتال هو كل ما كان يهم دايفيد.

رفعا نظريهما عن الطبقين مع دخول أخيليوس يرتدي روباً. كان في حالة يُرثى لها. يعرج، وجهه وصدره غطتهما الكدمات والضمادات. كان برفقته فتى لا يعرفانه، فتى قصير ممتلئ الجسم قليلاً يحمل درعاً ومجموعة من الأسلحة في حقيبة غولف علقت على ظهره.

«ها أنتما،» قال أخيليوس. «كنتُ أبحث عنكما في كل مكان.»

«ما الأمر؟» سأل بن.

«لا شيء. أريد فقط أن أعرف أين الجميع. هلا تلتزمان بأن تكونا في المهجع مع الباقين عند الساعة الحادية عشرة في الحد الأقصى؟»

«لماذا؟» سألت بيرني. لم تحب أخيليوس أبداً، واستاءت من أسلوبه المتسلط.

«لماذا؟ لأنني أقول هذا. أريد أن يبقى الجميع معاً.»

«ما القصة، أهو حظر تجول؟»

«لا يهم.»

«نحن مشغولان الآن،» قالت بيرني. «قد لا نتمكن من الانتهاء قبل الحادية عشرة.»

«بل ستتمكنان من ذلك،» قال أخيليوس. «أنا لا أطلب منكما، أنا آمركما. إن لم تكونا هنا، فلن تكونا في موقف جيد.»

«ماذا عن ماكسي؟» سألت بيرني. «هل ستكون هناك؟»

«إنها في العيادة،» قال أخيليوس.

«هل هي بخير؟»

«نعم. إنها تعتني بـ بلو.»

«أحسنت في القتال على أي حال،» قال بن، في محاولة للتخفيف من شحن الأجواء أكثر. بالكاد اهتم أخيليوس للمجاملة.

«كان يجدر بك أنت أن تكون في العيادة،» تابع بن. «سمعت أن أذنك تأذت كثيراً.»

«كاد يقطعها كلها.»

«متى سيعود بلو إذاً؟»

«هل أبدو لك طبيباً؟» قال أخيليوس.

«لا،» قالت بيرني. «تبدو مريضاً.»

«لست كليهما يا عزيزتي. أنا مقاتل، والآن المقاتل هو أهم الأشخاص في هذا المكان. فهمتما؟»

«لك ما تريد أيها الكبير،» قالت بيرني بابتسامة ساخرة. نظر إليها بن نظرة تحذير. كانت بيرني واحدة من أولئك الفتيات اللواتي يتكلمن بصراحة، أي إن الفتيان الذين كانوا برفقتها تعرّضوا دائماً للضرب.

لحسن الحظ، ابتسم أخيليوس فحسب.

«لو لم تجعلا الحياة في ويتروز أسهل أيها الفاشلان، لكنت لقنتكما درساً منذ وقت طويل.»

«حسناً، أظن أنك ستعرف أنك بحاجة إلى الفاشلين لتجعل العالم يستمر،» قالت بيرني.

«أنت محقة.»

«إذاً أنت تعترف بأننا قد نكون ذوي فائدة بسيطة بقدر مقاتل قوي مثلك؟»

«بسيطة جداً،» قال أخيليوس. «حسناً، تأكدا من أن تكونا في غرفة الحفلات عند الحادية عشرة. سنتفقد الجميع، مفهوم؟»

«حاضر سيدي!» قالت بيرني وهي تقف وتؤدّي التحية، فضحك أخيليوس قبل مغادرته مع خادمه، تاركاً إياهما مع طبقيهما من البطاطا الباردة.

62

استلقت ماكسي في سريرها وحدّقت في أشكال الضوء التي كانت تعكسها الشموع على سقف العيادة. شعرت أنها مسطحة، جسدياً مسطحة، مثل ورقة، من دون أي مساحة داخلها لأي عواطف. لقد أرهقت نفسها بالقلق بشأن دايفيد وكيف خانها أخيليوس وأولي. لقد شعرت بالغضب، والأسف، والخوف... شعرت بالغباء والإساءة والسخرية. لم يعد هناك ما تشعر به ما عدا ألم جانبها الذي جعلها للغرابة تشعر بالارتياح. لقد تخطت التعب. تركت نفسها لما قد يخبّئ لها المستقبل.

ورقة بيضاء من دون أيّ كتابات.

«لقد سئمت وتعبت من الشعور بالمرض والتعب،» قالت.

«أعرف هذا الشعور،» قال بلو الذي كان أيضاً مستلقياً في سريره يحدّق بالسقف.

«أظن أن أحد الفراعنة هو من طلب حفر ذلك على تابوته،» أضافت ماكسي.

«حقاً؟ الوقت لا يغيّر الكثير، صحيح؟»

«لا أعرف بهذا الشأن،» قال ماكسي. «لا أستطيع أن أفكر بأي وقت في التاريخ أبيدت البشرية بسبب وباء مجهول.»

«ماذا عن الموت الأسود؟» قال بلو. «الطاعون. أظن أن نصف سكان أوروبا أُبيدوا بسببه. لكن رغم ذلك تخطيناه. لقد فعلنا ذلك من قبل. يمكننا أن نفعلها مجدداً.»

«أنت متفائل، ألست كذلك؟»

«لَمِ لا؟»

«إننا نعيش حياة تعيسة أخيراً، إن لم تلاحظ.»

نظرت ماكسي إلى بلو الذي بادلها النظرات. ابتسم.

«لا تقلقي،» قال. «سنتخطى هذه المحنة. سنكون على خير ما يرام.»

«أتعرف؟» قالت ماكسي التي كانت لا تزال تنظر إلى بلو. «أنت ألطف بكثير عندما تكون بعيداً عن الآخرين. أنت لا تحاول أن تظهر في شكل القائد.»

«عليك أن تكوني قوية للبقاء على قيد الحياة يا فتاة. لا تُظهري أيّ ضعف لأحد.»

«حسناً، هذا سهل بالنسبة لك. أنت قويّ طوال حياتك. أنا كنتُ فتاة عادية من قبل. لا شيء مميّزاً. لم أكن حتى رياضية.»

«أنت لا تعرفينني إطلاقاً يا فتاة.»

«أوه، بلى. عرفت الكثير من الفتيان أمثالك قبل الكارثة،» قالت ماكسي. كانوا يختالون في كل مكان، يرهبون الآخرين.»

«هل تعرفين ما كان لقبي قبل حصول كل هذا؟» سأل بلو.

«لا أعرف،» قالت ماكسي. «القاتل؟ الملك؟ الزعيم؟»

«وجه الكتاب.»

«وجه الكتاب؟»

«نعم.»

«هذا لقب بشع.»

«ألا أعرف ذلك؟»

«ما معناه على أي حال؟»

«الكثير. لا، ليس الكثير.»

«هيا، بربّك، ما معناه؟ أيعني أنك كنت تقرأ كثيراً، أو أن شكل وجهك مثل الكتاب؟»

تنهد بلو. «كل ما حدث غيّر الناس. غيّرني أنا. كان لديّ لقب آخر أيضاً.»

«فاجئني.»

«الفتى السمين.»

ضحكت ماكسي. «لستَ سميناً.»

«كنت كذلك. كنت طالباً مجتهداً سميناً.»

«أنت تمزح!» جلست ماكسي واتكأت على كوعها ثم مالت في اتجاه بلو وابتسامة تعلو وجهها.

«صدقي هذا.» ضحك بلو. «كان لديّ أخوان وأختان. تعرفين كيف هي العائلات، كل شخص لديه حياته. أخي الأكبر، حكيم، كان المشكلة بحد ذاته. أخي الآخر، فيليكس، كان رياضياً. أختي الكبرى، لولو، كانت مهووسة بالموضة، وأن تبدو جميلة وما إلى ذلك. وأختي الأخرى، سيسي، كانت تحب التعارف إلى الفتيان. أما أنا، فقد كنت الذكي في العائلة. كنت ممتازاً في المدرسة. لم أجتهد كثيراً، كنتُ ممتازاً بالفطرة. كنت أحب الدرس والقراءة، لم أخبر أحداً بذلك في البداية، لكن لاحقاً لاحظوا أنني أقرأ الكثير من الكتب. تسببوا لي بوقت عصيب، لم أهتم كثيراً. لم أخرج كثيراً. أمضيت ساعات وراء حاسوبي، أجري أبحاثاً وألعب. كانت أمي في تلك الفترة تتأفّف من قلة ممارستي للتمارين الرياضية، لكنها في قرارة نفسها أحبت أنني أتعلم أشياء. أرادت أن أذهب إلى الجامعة. لم أكن أعرف الكثير عن كل ذلك. حكيم، كان مع العصابات. لم ترد أمي أن أتعلم شيئاً من حياة العصابات تلك. طُعن أحد الأولاد في مدرستي. انتشرت الأخبار فخافت أمي كثيراً. لكنني لم أكن أبداً جزءاً من ذلك العالم. لم أشارك أبداً في قتال. عندما وقعت الكارثة، كان عليّ أن أتعلم بسرعة. أتعرفين شيئاً؟ أول من مات كان الأولاد الأقوياء. خرجوا إلى الشوارع، يستعرضون رجولتهم. لم يعد هناك راشدون يملون عليهم أفعالهم. لا مزيد من القوانين. جنّ جنون كل العصابات وتقاتلوا. قتل بعضهم بعضاً. أنذال أغبياء. لبعض الوقت،

بدت المنطقة كأنها منطقة حرب. لكن سرعان ما أدرك أولئك الذين لم يقتل بعضهم بعضاً من هو العدو. وهكذا توحّدت العصابات ضد الراشدين. معظمهم ماتوا باكراً. لكن ليس الجميع. أنا، اتخذت حذري كل الوقت. راقبت، تعلمت، فقد كنتُ أتقن ذلك كثيراً. من مات ومن عاش كانت مسألة تشبه لعبة اليانصيب. حظ كامل. مثل أوقات الحرب، أول من يقف في المواجهة هو الجيش، الجنود المدربون. بعد ذلك، يضم الجيش كل من يتطوّع. وأنا كنت من أولئك. جعلتني الكارثة قوياً، ماكسي، ولهذا السبب يجب أن أبدو قوياً عندما يكون هناك أناس حولي. لأنني لم أصل إلى هذا بسهولة.»

«ألستُ شخصاً مثلهم؟» سألت ماكسي.

«أنت مختلفة. أنت تفهمين كل هذه الأمور.»

«أظن هذا أحياناً، وأحياناً لا.»

«هذا غريب،» قال بلو. «ها أنا مستلقٍ هنا، وأشعر أنني أستطيع التحدث إليك عن أي شيء. لم يعد هناك ما يهم.»

«أنا سعيدة لأنك أخبرتني بكل ذلك،» قالت ماكسي.

استلقى بلو على ظهره وحدّق بعيداً. «ربما أريدك أن تعجبي بي،» قال.

«أوه، حقاً؟»

«أعرف أننا لم نتفق كثيراً، ماكس. لكن أنت تعرفين كيف تكون الأحوال، عندما لا يكون هناك راشدون يملون عليك تصرفاتك، تفكرين أن كل ما أريد فعله هو البقاء خارجاً لوقت متأخر. وأنا أعرف الكثير من الأولاد الذين فعلوا هذا في البداية. لكن عندما تكونين خائفة، تقاومين للبقاء على قيد الحياة، تزول كل تلك الأفكار. لكن أحياناً، تتحرك داخلك المشاعر.»

«ما الذي تحاول قوله بلو؟»

«تعجبينني ماكسي. لطالما أعجبتني. لهذا أتصرف بالطريقة التي أتصرّف بها. أعرف أنك كنت معجبة بأران. لم أظنّ أنّ لديّ فرصة في البداية. أنا

فتى سمين، أتذكرين؟ وجه الكتاب، وعبقري الحاسوب. لم تُعجب الفتيات بي أبداً. حسناً، معظم الأحيان.»

نظرت ماكسي إلى بلو. كان يحدّق في السقف. ربما كان محمرّاً من الخجل أيضاً.

«هل تقول إنك مولع بي، بلو؟»

بدا بلو خجلاً.

«لا. نعم. لا. ليس بهذه الطريقة.»

«مثل ماذا إذاً؟»

«لا أعرف. لم يجدر بي قول شيء.»

«لا بأس. أنا مرتبكة حالياً، بلو، لا أعرف بما أفكر. بأران، بك، بنفسي. حتى نتمكن من الخروج من هذه المحنة وأجمع شتات نفسي وأؤدّي واجباتي، لا أستطيع أن أفكر بشيء. هل يبدو هذا لك غبياً؟»

«ليس أغبى من أيّ شيء قلته أنا.» جلس بلو. ابتسم. «لم تصرخي عليّ. هل هذا يعني أننا إذا خرجنا من هنا، فقد أحظى بفرصة؟»

ضحكت ماكسي. «لنخرج من هنا وسنرى.»

«لكن، افترضي أننا فعلنا، إلى أين سنذهب؟»

«لدينا لندن بأكملها حتى نختار.»

«لكن لا نعرف المنطقة هنا، لا نعرف الأماكن الآمنة.»

«لا بد من وجود أولاد آخرين،» قالت ماكسي. «لا يُعقل أن ينحصروا بأولاد القصر فقط.»

«لن يكون هناك مكان منظم مثل هذا المكان،» قال بلو. «لن يكون هناك مكان آمن. دايفيد هو الوحيد المنظم في هذه الأنحاء.»

انتفضا كلاهما عند سماعهما صوتاً عبر الغرفة.

«دايفيد كاذب.»

لقد نسيا كلياً تلك الفتاة ذات الوجه المضمّد في السرير الآخر. تلك التي أنقذوها في غرين بارك.

جلسا ونظرا إليها. كانت عيناها تومضان بضوء خفيف.

ماذا تقولين؟» سأل بلو، رغم أنه سمعها جيداً.

«دايفيد كاذب،» كررت. «إنه يكذب عليكما طوال الوقت. لِمَ برأيكما يحتفظ بي هنا في الأعلى؟»

«بسبب جراحك؟» سأل بلو. ألم يكن ذلك واضحاً؟

«جراحي ليست بالسوء الذي تبدو عليه،» قالت الفتاة. بعد إصابتي في وجهي تلك، اعتنت بي روز جيداً. سأبدو مشوّهة تماماً، لكنه مجرد جلد. لم يرد دايفيد أن أختلط بمجموعتكم. لم يردني أن أتكلم. عندما بات واضحاً أنهم يحتفظون بي سجينة، التزمتُ الصمت، بالكاد تحركت حتى. استمعت فقط.»

«لا أفهم،» قال بلو. «من أين أنت؟»

«المتحف.»

«المتحف؟» سأل بلو. «أيّ متحف؟»

«متحف التاريخ الطبيعي،» قالت الفتاة. «الكثير من الأولاد يعيشون هناك. المكان أفضل من هنا، هناك المزيد من المنازل بالقرب، مكان أكثر للعثور على طعام. إلى جانب ذلك، كنا نزرع أيضاً.»

«تماماً مثل دايفيد؟» سأل بلو.

«تماماً مثل دايفيد،» قالت الفتاة. «لكن لم يرد أن تعرفوا هذا.»

«هذا مؤكد،» قال بلو.

«لسنا وحدنا فقط،» قالت الفتاة. «هناك أولاد في جميع أرجاء لندن، متمركزون في أماكن آمنة. ناجون. حاولنا التحدث إلى دايفيد من قبل، بشأن التواصل والمشاركة، لكنه لم يهتم. يريد كل شيء لنفسه.»

«الملك دايفيد،» قالت ماكسي.

«أنا وأصدقائي من المتحف،» تابعت الفتاة. «كنا نبحث عن بعض أصدقاء لي انفصلنا عنهم العام الماضي. سمعنا أنهم قد يكونون في الجانب الآخر من المدينة. ظننا أن الأمر سيكون سهلاً. تصرّفنا بطيش، فغالباً ما تكون

هذه الأنحاء آمنة. هناك القليل من الراشدين، لكن ليس كما كان عددهم في السابق. أو هكذا ظننا على الأقل. لم يمض على وجودنا في الخارج ساعة واحدة... حتى... التقينا بأولئك... الصيادين...»

توقفت الفتاة. حدّقت بشيء على بعد آلاف الأميال.

«لا بأس،» قالت ماكسي.

«أريد أن أعود إلى المنزل فحسب.»

«إلى المتحف؟» سأل بلو.

«نعم. إذا أخرجتماني من هنا فسآخذكما معي.»

«إذا كان هناك أولاد في كل مكان،» قال بلو. «وجميعهم مستقرون، فلمَ نذهب معك أنت؟»

«لأن.. حسناً، فقط لأن... ليس لديّ سبب آخر سوى سبب أناني، سوى أنني أريد العودة إلى المنزل.»

«هذا سبب كاف بالنسبة لي،» قالت ماكسي. «لو أعطيتنا أسباباً سخيفة لا تُعد ولا تُحصى لمَا وثقت بك.»

«سنفعل ذلك بشرط واحد،» قال بلو.

«ما هو؟»

«أنك لن تخبري أحداً أبداً بأي شيء تحدثنا عنه أنا وماكسي للتو.»

«لك كلمتي.»

«حسناً،» قال بلو. «سنرحل من هنا إذاً.»

«المشكلة الوحيدة هي،» قالت ماكسي. «كيف نخرج من هنا أولاً.»

63

عند الجانب الآخر من لندن، كان سام يقف على أحد أسوار برج لندن، يحدّق في نهر التايمز، شريط فضّي طويل من ضوء القمر. كانت قد ارتفعت مياهه متراً واحداً أو أكثر منذ الكارثة، وتكوّن خندق مائي حول البرج، تماماً مثلما كان منذ مئات السنين. شعر سام بأنه يعيش في قصة من العصور الوسطى. عندما وصلا، تناول هو والفتى طعاماً ساخناً وشربا مياهاً نظيفاً واستراحا على سريرين وثيرين. ما زال سام لا يصدّق أنهما هنا حقاً. يعيشان في قصر، آمنين على الأقل من مخاطر لندن.

كان الفتى واقفاً بالقرب منه. ذقنه يستريح على ذارعيه المتكتفتين فوق الجدار.

«بمَ تفكر؟» سأل سام.

«الجبنة.»

«الجبنة؟»

«الفتى يحب الجبنة. لم يتناولها منذ وقت طويل. جبنة لذيذة. جبنة، جبنة، جبنة، جبنة، جبنة... هل رأيتَها؟ هناك؟»

«ماذا؟»

«لديهم بقرة بصحة جيدة هناك. آكلة عشب على قيد الحياة.»

«نعم، رأيتها،» قال سام. «ودجاج وخنازير ومعزاة.»

«حسناً، إذا كانت هناك بقرة، فهناك حليب، أليس كذلك؟» قال الفتى.

«وإن كان هناك حليب، فهناك احتمال وجود جبنة.»

«ممكن،» قال سام. لم يرد أن يخيّب أمل الفتى، لكنه كان متأكداً أنهم بحاجة إلى ثور حتى تُعطي البقرة الحليب، رغم أنه لم يكن متأكداً كيف كانت تسير العملية.

من يعرف؟ ربما كان لديهم ثور أيضاً.

«ما الذي تفكر به مستغرقاً أيها الصغير؟» سأل الفتى. «إن لم يكن الجبن.»

«أختي إيلا.»

«هل تظن أنها على ما يرام؟»

«آمل أن تكون على قيد الحياة في مكان ما،» قال سام. «آمل أن تكون قد وصلت إلى القصر وهم يعتنون بها مثلما يعتنون بنا هنا. أقصد، إن كنتُ أستطيع أنا، سام الصغير، أن أنجو وحدي عبر لندن...»

«مهلاً، ألا أحسب؟»

«تعرف ما أقصد،» قال سام. «إن استطاع صغيران مثلنا أن ينجوَا، فبالتأكيد إيلا نجت مع كل أولئك الأولاد الآخرين، آخي وفريك وجوش وأران والجميع. بالتأكيد تستطيع أن تنجو أيضاً.»

«أنا متأكد من أنها بخير،» قال الفتى.

«صحيح؟»

«بالتأكيد.»

«أنت غريب الأطوار نوعاً ما، أتعرف ذلك؟» قال سام.

«أنا مختلف،» قال الفتى. «كانت جدتي تقول دائماً إنني نصف ذكي ونصف غبي ونصف مجنون.»

«ثلاثة أنصاف!» قال سام.

«نعم. قلتُ لك إنني مختلف.»

«عندما نصبح قويين كفاية،» قال سام. «هل سترافقني؟»

«إلى أين؟ إلى قصر باكو؟»

«نعم. للعثور على إيلا.»

«بالطبع سأرافقك،» قال الفتى، ولف ذراعه حول سام. ستكون مغامرة عظيمة جديدة لصديقين. سيكتبون قصصاً عنا. كتباً طويلة. لن يفرّقنا شيء أيها الصغير. نحن فريق. مثل الرجل الوطواط وروبن هود.» وغنّى. «تاتاتاتااااا تاتااا الرجل الوطواط!»

64

كان بيل مقولب المعجون يجلس على سريره يلعب بكتلة المعجون، يقولبها إلى أشكال مختلفة. في لحظة كانت حصاناً، ثم منزلاً، ثم أصبحت شجرة، وبعدها رجلاً صغير، فمتفجرة. كان يلعب لعبة وأصبح بيل أيّ شيء يريده، أيّ لعبة يتخيّلها. أحياناً كان يقطعها ويحوّلها إلى شكلين، أو أكثر. لم يكن وحيداً أبداً ما دامت كتلة معجونه بحوزته. كان يتكلم إليها بأصوات وشخصيات في قصته. كان يستطيع الجلوس على هذه الحال لساعات، ضائعاً في عالمه الصغير.

كان الوقت متأخراً وخلد جميع الأولاد إلى أسرّتهم لتلك الليلة. رغم أنهم كانوا يستخدمون قاعة الحفلات الواسعة كمهجع، فاحت رائحة الملابس النتنة والأقدام المتعرقة والنفس الكريه الرائحة. حاول بيل عدم التفكير بالراحة بالتركيز على لعبته. لكنّ نباحاً قصيراً شتت انتباهه، فنظر إلى السرير التالي حيث كانت تجلس أليس وإيلا تلعبان مع غودزيلا. كان الجرو متعباً، عرف بيل أنه يريد النوم. كان غاضباً فنبح عليهما، لكن لم تعرفا أن عليهما السماح له بالخلود إلى النوم. عندما يكبر غودزيلا، عليهما توخي الحذر معه وإلا فسيعض أيديهما.

رأى بيل أولي يمر. كان يُحصي الأولاد، يتمتم أرقاماً لنفسه بصوت عال. راقبه بيل وهو يتحرك على طول صف الأسرّة وعندما وصل إلى ويتني، التي كانت تحصي أيضاً، تبادلا حديثاً هادئاً. أومأت ويتني برأسها. بدوَا جادّين كثيراً. كان بيل ليوفر التعب على أولي، كان يمكن أن يخبره بعدد الأولاد

في الغرفة من دون العد، فقط من مجرد النظر إليهم. فقد كان ذكياً جداً في التعامل مع الأرقام وذاكرته كانت ممتازة. لم يعمل دماغه مثل أدمغة الأولاد الآخرين. عرف هذا دائماً. كان يستطيع أن يعرف من مجرد النظر السريع إلى الأولاد في الغرفة أن الجميع موجودون. ثمانية وأربعون ولداً. كلهم باستثناء ماكسي، بلو، لويس، وأخيليوس.

نظر بيل إلى يديه، لقد شكل العدد ثمانية وأربعين من دون التفكير بذلك. جعد الشكلين سريعاً على شكل كرة قبل أن يلاحظ أحد وعجنها بين أصابعه

لم يتفوّه بيل المقولب بشيء، لكنه لم يفوّت شيئاً أبداً. كان هناك ما يحدث. مجموعة من الأولاد الأكبر سناً، الأهم من بينهم، كانوا يجرون أحاديث هامسة طوال الأمسية. أولي وأخيليوس، ويتني ولويس.

كان هناك ما سيحدث الليلة. حاول بيل أن يكفّ عن الشعور بالقلق. ببطء، تغيّرت كتلة المعجون بين يديه إلى شكل وأصبحت وجهاً ضاحكاً.

نظر بيل إلى الوجه.

«لا تخف،» قال.

صدرت صرخات من الخارج، أصوات أقدام تجري.

توتّر بيل، عجنت يديه المعجونة إلى شكل مسطح. كانت تلك الإشارة الوحيدة التي لاحظها. لكنه لم يعبّر بشيء. إنه يعيش منذ وقت طويل على حافة الهاوية، ينتظر حدوث شيء مروّع، أن يتجاوب كأنه حيوان برّي صغير. متيقظ دائماً، جميع حواسه متأهبة.

مرت الخطوات من جانب القاعة. تبادل أولي وويتني النظرات. ساد الصمت مجدداً.

عاد الوجه وظهر في معجون بيل.

«لا بأس،» قال. «أنت بأمان الآن.»

65

جلس أفراد العائلة الملكية في غرفة نومهم في الظلام، يحدّقون بلا شيء. كانت الرائحة كريهة هنا. لقد نسوا كيف يستخدمون المرحاض منذ وقت طويل. بين فترة وأخرى، كانوا يُساقون كقطيع من الأغنام إلى الأسفل للجلوس على عروشهم. لم يحدث شيء عدا ذلك في عالمهم.

زحف صرصور على رجل شاب كان يجلس على الأرض. كان وجه الشاب متورّماً حتى أصبحت عيناه حفرتين صغيرتين، واختفى أنفه. التقط الحشرة ووضعها في فمه.

كانوا جائعين طوال الوقت.

علت الضجة في الرواق خارجاً. حفر شيء ما على الباب. استدارت جميع الرؤوس في الغرفة ونظرت باتجاه الضجة.

دوّت ضربة، تكسير خشب. ضربة أخرى...

فُتح الباب.

وهو لا يزال يمضغ الصرصور، نهض الفتى ومشى متثاقلاً نحو الباب. تبعه الآخرون.

66

كان حارسا دايفيد يجلسان خارج العيادة لخمس ساعات متواصلة، يشعران بالملل الشديد. كان دايفيد قد وعدهما بإرسال أحد لينوب عنهما بعد ثلاث ساعات. لكن لم يأت أحد.

لم يكن ذلك عدلاً، فبالتأكيد لن يحدث شيء والباب الخشبي الثقيل موصد. هناك في الداخل ثلاثة أولاد فقط. فتاتان إحداهما جريحة وفتى يعاني من الارتجاج. ماذا عساهم أن يفعلوا؟ يهشمون الباب ويتغلبون على كليهما؟

أمر مستحيل. كانا يحملان بندقيتين.

«لقد نسوا أمرنا،» قال الفتى الأطول. كان شعره بنياً قصيراً مجعداً ويعاني من حبّ الشباب المستشري.

«يفعلون ذلك دائماً،» قال الآخر ذو الأنف الطويل. «الجميع يظنون فقط لأننا في حرس دايفيد يعني أن حياتنا عظيمة. لكنّ هذا هراء.»

«لكننا نحصل على طعام أكثر من الآخرين،» قال الفتى ذو حب الشباب.

«يا لهذا الحظ،» قال ذو الأنف الكبير. «لو أستطيع، لبادلت هذا العالم بالزراعة أو شيء آخر. هذا عمل ممل.»

«نحن النخبة.»

«وإن يكن.»

«عندما نسيطر على لندن،» قال الفتى ذو حب الشباب، «سنكون في موقع قوي للغاية. سيشبه الأمر العصور الأوسطى. عندما غزا الملك بلدا

آخر، قسّم كل الأراضي والممتلكات على رجاله المقرّبين، أولئك الذين ساعدوه.»

«عندما نسيطر على لندن؟» قال ذو الأنف الكبير بسخرية. «قصدك إذا سيطرنا على لندن، أليس كذلك؟ كل ما نفعله هو التسكّع حول القصر مع هذه البنادق التافهة، نحاول أن نبدو مهمين. لم يُسمح لنا حتى بالمشاركة في الهجوم على مخيّم العشوائيين.»

حدثت جلجلة على السلالم، فحاولا أن يبدوَا متأهبين عندما ظهر بود، بوجه محمرّ مرتبك.

«هل كل شيء على ما يرام هنا؟» سأل.

«نعم.» أجاب الحارسان باستغراب.

«ألم تريا شيئاً؟ تسمعا شيئاً؟»

«مثل ماذا؟» سأل ذو حب الشباب.

«لقد هربت العائلة الملكية،» قال بود بصوت منزعج جداً.

«ماذا تقول؟»

«لقد هربوا بطريقة ما. جنّ جنون دايفيد. المكان تعمّه الفوضى في الأسفل، الجميع يركضون ويحاولون الإمساك بهم.»

«يجب أن نذهب للمساعدة،» قال ذو حب الشباب وهو يقف.

«لا، يجب أن تبقيا هنا لحراسة السجناء.»

«لن يذهبوا إلى أيّ مكان.»

«ولو. إذا هرب سجناؤكما أيضاً، فلن يبقى لدايفيد عقل.»

«يستطيع أحدنا البقاء هنا، ويمكن أن يرافقك الآخر،» قال ذو حب الشباب.

فكر بود بالأمر للحظات.

«حسناً.» نظر إلى ذي حب الشباب. «تعال معي.»

«ماذا عني؟» سأل ذو الأنف الكبير.

«ابق هنا حتى تتلقى أوامر أخرى،» قال بود.

راقب ذو الأنف الكبير بحزن الولدين الآخرين يهرعان على السلالم الضيقة.

الآن، مع غياب أيّ شخص يمكن أن يتحدث معه، أصبح الموقف أكثر صعوبة هنا. بصق ذو الأنف الكبير. شعر بمتعة وهو يرى لعابه يستقر على السجادة الفخمة. شتم بصوت عال، وللحظات، أبعده ذلك عن الملل.

67

كان غودزيلا يجلس في حضن إيلا التي ربتت رأسه بحنان وتحدثت إليه عن سام.

«أتمنى لو كان هنا، غودزيلا. أنا مشتاقة إليه كثيراً. لا أحب أن أفكر أنني قد لا أراه مجدداً، لكنني أنسى القليل عنه كل يوم. شكله، طريقة كلامه. وكأنه يختفي شيئاً فشيئاً. أكثر ما أتذكره هو أنه كان صغير الحجم. سأفعل أي شيء حتى يعود.»

نبح غودزيلا وأفلت من بين يديها. قفز عن السرير فطاردته إيلا إلى حيث كانت ويتني تقف عند باب غرفة الحفلات المفتوح، تنظر في الاتجاه الشرقي.

رأت ويتني غودزيلا فأمسكت به. التفتت بغضب.

«مَن من المفترض أن يعتني بهذا الكلب؟» سألت.

بدت إيلا كأنها على وشك أن تبكي. «أنا آسفة،» قالت.

لان تعبير وجه ويتني. سلمت الجرو لإيلا.

«أبقيه معك عزيزتي،» قالت بلطف. «اتفقنا؟»

«اتفقنا.»

بينما عادت إيلا إلى سريرها، انضمت مايف إلى ويتني.

«أترين شيئاً؟» سألت.

«ليس الكثير. لا، لحظة واحدة، ها هو بود قادم.»

خلال لحظات، دخل بود منفعلاً إلى المهجع مع اثنين من حراس دايفيد.

«ماذا يجري؟» سألت مايف. «هناك أشخاص يركضون في كل مكان.»

«لا شيء يدعو للقلق،» قال بود. «لقد هرب بعض أفراد العائلة الملكية. مشكلة بسيطة وستُحل. لكن نحتاج إلى عدد من مجموعتكم لمساعدتنا في جمعهم.»

«لا شيء يدعو للخوف؟» انفجرت ويتني. «وهناك راشدون طلقاء؟»

«إنهم غير مؤذين،» قال بود.

«ليس هناك راشدون غير مؤذين،» قالت ويتني.

«إذاً، لِمَ لا ترافقيننا للبحث عنهم؟»

«مستحيل. سأنقل الأولاد إلى مكان آمن يا رجل.»

«اسمعي.» قال بود وهو يبتسم لويتني ابتسامة واسعة. «الأمر غير مهم. لا داعي للمبالغة.»

«سآخذ الجميع إلى خارج المبنى. الآن. إلى الفناء الخارجي.»

«لن تكونوا بأمان هناك،» قال بود. «لقد أمرنا جميع الحراس بالبحث عن الأفراد الملكيين.»

«يمكننا الاعتناء بأنفسنا، شكراً جزيلاً لك،» قالت ويتني.

«لا، يجب أن تبقوا هنا،» قال بود بصوت وكأنه هو المسؤول. «إذا أبقيتم الأبواب مغلقة، فستكونون بخير.»

«أنت لا تملي علينا ما نفعل أيها الفتى الثري،» قالت ويتني. «سننتقل إلى ساحة المواكب حتى ينتهي كل هذا. نقطة على السطر.»

«في الواقع، أظن فعلاً أنكم ستكونون في حال أفضل إن بقيتم هنا.» كانت ابتسامة بود تتلاشى.

«وكأنني أهتم لما تفكر،» قالت ويتني. «في غياب بلو وويتني، أنا المسؤولة. وإذا قلت إننا سنخرج، يعني أننا سنخرج. عندما تجدون أفراد عائلتكم الملكية الغالية، سنعود.»

غيّر بود من وقفته مباعداً بين رجله ومكتفاً ذراعيه. أصبحت الابتسامة متعالية.

«في الواقع لست المسؤولة هنا أيتها الفاتنة،» قال. «بل أنا.»

«من تنادي بالفاتنة؟» قالت ويتني ولكمت بود قوياً في بطنه. لهث وتراجع عدة خطوات إلى الخلف من الألم. انتبه الحارسان إلى ما يحصل فرفعا بندقيتيهما، لكن كان ميك الكبير وعدد من مقاتلي موريسون يقفون على استعداد. سارعوا إلى الاستيلاء على بندقيتي الحارسين.

«سنذهب إلى الخارج،» قالت ويتني ببرود للحارسين. «ابقيا هنا واهتما ببود.»

كان بود قد وقع على الأرض وجلس وظهره إلى الحائط، يضغط على بطنه.

«لا بأس،» قال بألم. «دعاهم يذهبوا.»

مكتبة
t.me/t_pdf

68

جرّ الراشدون الملكيون أرجلهم عبر رواق طويل اصطفت فيه اللوحات عن ملوك وملكات بريطانيا السابقين. بدوا مرتبكين. كان دايفيد في انتظارهم، وأحد حراسه يقف إلى جانبه. وبصرف النظر عن النمش واللون الأحمر الذي غطى وجنتيه، كان لونه أبيض، شاحباً جداً.

رفع يده.

«توقفوا!» صرخ بصوت حازم وواضح.

أنّ أحد الراشدين الملكيين. كان الشاب صاحب الوجه المتورّم. كان ابن دوق. في الماضي، كان مدمناً على ارتياد الحفلات. الآن، أصبح شخصاً مريضاً ينخر الوباء دماغه لدرجة أنه لم يعد دماغاً. كان عبارة عن شبكة أعصاب تالفة، وكأن أحدهم يصبّ ماءً على صمام كهربائي.

تابع سيره.

«أنا آمركم،» قال دايفيد، بصوت أعلى هذه المرة، «أن تتوقفوا.»

لكنهم تابعوا سيرهم عبر الرواق. يئنون، يمشون بتثاقل، أعينهم حمراء.

استدار الحارس نحو دايفيد. خائفاً. لن يتوقفوا،» قال.

«سيتوقفون،» صرخ دايفيد، وتقدّم عدة خطوات إلى الأمام. سرّع الراشد الشاب من خطواته، ماداً ذراعيه إلى الأمام. كان لعابه يسيل من فمه المفتوح وقد بلل قميصه القذر.

أطلقت رصاصة فعب الدخان في المكان. سقط الراشد الملكي أرضاً، برصاصة في جمجمته.

«غبي،» صرخ دايفيد، وهو ينزع البندقية من يد الحارس. «كان هذا ماركيز تافيستوك!»

لكم الحارس بكعب البندقية فأوقعه أرضاً.

«لا يمكنك إطلاق النار عليهم أيها الأحمق،» قال. «نحتاج إليهم على قيد الحياة. إنهم لا يشكلون خطراً على الإطلاق.»

راشد ملكي آخر، دوقة في أواسط العمر، أمسكت بكم قميص دايفيد فدفعها بغضب. ارتطمت بالحائط، فانتشر قيحها على إحدى اللوحات.

أوقف دايفيد حارسه المرتجف.

«أمسك بهم وجرّهم إلى غرفتهم، حباً بالله،» أمر. «فقط لا تدعهم يعضونك.»

ظهر جستر، يركض عبر الرواق مع روز.

«هل هناك أيّ أثر للباقين منهم؟» نادى سائلاً.

«ليس بعد،» قال دايفيد. «إنها مسالة وقت. لم يبتعدوا كثيراً. إنهم أغبياء جداً. لكن كيف خرجوا بحق السماء؟»

«لقد كُسر الباب،» قال جستر.

«هل كان هناك أحد يحرسهم؟»

«ليس إلى حد معرفتي. نحن لا نضع عليهم حراسة طوال الوقت. وبوجود اثنين من حراسك أمام باب العيادة في الأعلى...»

«إذاً أحدهم أطلق سراحهم؟»

«هذا على ما يبدو.»

«أيمكن أن يكونوا العشوائيين؟»

لم يكن لدى جستر جواب. «ربما هم أولاد هولوواي من فعلها. ربما هم ينوون عملاً ما.»

«أريدك أن تعرف من فعل هذا جستر، وأريد معاقبتهم. أشدّ العقوبات.»

«حسناً.»

«أين بود بحق السماء؟»

«آخر مرة رأيته فيها كان يتجه إلى قاعة الحفلات.»

«حسناً. تعال معي.» قال دايفيد وهو يمشي عبر الرواق.

«إلى أين نذهب؟» قال جستر وهو يركض خلفه.

«إلى قاعة الحفلات.»

69

كان ذو الأنف الكبير يغط في النوم. لم يكفّ رأسه عن الانحناء إلى الأمام، فيعود ويستيقظ. استطاع سماع وقع أقدام أشخاص يتحركون في القصر وتمنى لو يستطيع الانضمام إليهم. كان المكان هنا هادئاً جداً. لم يصدر أيّ صوت من خلف الباب. سكنت همهمات الحديث داخل العيادة. لم يعد يحتمل أكثر من هذا.

أغمض عينيه للحظة. لم يعد هناك صوت وقع أقدام. غلبه النعاس مجدداً. أحس أن رأسه يدور في مكانه وكأن هناك ما يطفو في داخله. تراءت له ذكرى سريعة. عطلة في فلوريدا. ميكي ماوس عملاق.

نادى ميكي اسمه. هز برأسه وفتح عينيه فجأة.

كان يقف أمامه ولدان.

اثنان من الوافدين الجدد.

عرف أحدهما. كان أخيليوس، الفتى الذي نازل العشوائي. لقد فوّت ذلك القتال أيضاً. كان الفتى الآخر طويلاً ونحيلاً ذا بشرة بنية وشعر كبير خشن.

«ماذا تفعلان هنا؟» قال، باذلاً الجهد ليبدو أنه مسيطر على الأجواء.

«لقد هرب أفراد العائلة الملكية،» قال أخيليوس.

«أعرف.»

«يحتاجون إلى مساعدتك. الوضع جنوني في الأسفل يا رجل.»

«لا يُسمح لي بمغادرة مكاني هنا.»

«سنتولى الحراسة،» قال أخيليوس. في الواقع، كان هو وصديقه يقتربان بخطوات بطيئة خلال المحادثة. لكن كانت الخطوات صغيرة و لم ينتبه ذو الأنف الكبير.

«لا يمكنكما ذلك،» قال وهو يقف ويصوّب بندقيته نحوهما. «أنتما من الوافدين الجدد، قد تحاولان أن...»

كان تركيز الفتى على أخيليوس، فقد كان يعرف سمعته. بدا الفتى الآخر ناعساً جداً ليشكل أيّ خطر. فجأة، تحرّك. وتحرك بسرعة. بقوة وسرعة رهيبتين. قبل أن ينتبه الحارس، ثبّته الوافد الجديد على الحائط. علقت بندقيته بين أرجلهما.

«لا تصدر أيّ صوت يا راعي البقر،» قال لويس وابتسم له. «وإلا فسأسحق وجهك.»

أومأ ذو الأنف الكبير بالانصياع.

«لسنا بارعين في خطط التسلل هذه،» قال أخيليوس. «كان يُفترض بنا ضربه وتقييده وننتهي.»

«خذ بندقيته،» قال لويس، «قبل أن يصيبني في قدمي.»

داخل الغرفة، فتحت ماكسي وبلو النافذة بعد جهد، وتفقدا إن كان هناك من وسيلة لإزالة القضبان التي أقفلتها.

استدارا معاً عندما فُتح الباب.

أحد الحراس من الخارج، ذو الأنف الكبير، دخل الغرفة متعثراً. خلفه دخل لويس وأخيليوس الذي كان يحمل بندقية الحارس.

انقلب وجه ماكسي إلى وجه خالٍ من التعابير.

«ماذا تريدون؟»

«يشبه هذا مشهداً من فيلم Star Wars (حرب الكواكب)،» قال لويس. «لقد أتينا لإنقاذكما.»

ضحكت ماكسي من دون مرح.

«هيا،» قال أخيليوس. «من الأفضل أن نُسرع، ليس لدينا وقت طويل

قبل أن يدرك دايفيد ما يجري.»

لا أفهم،» قالت ماكسي. «ظننت أنك إلى جانبه.»

«ذلك الأحمق؟» تعجّب أخيليوس. «لا بد أنك تمزحين. الجانب الوحيد الذي أقف معه هو جانبي. وكما أراه، هو جانبك أيضاً ماكسي. وأنت أيضاً، بلو.»

«يمكنكم أن تضمّوني أيضاً،» قالت الفتاة من المتحف.

«من تكون؟» سأل أخيليوس.

«سأشرح لك لاحقاً،» قالت ماكسي. «وعليكم جميعاً أن تعرفوا من الآن أنها سترافقنا.»

«لا بأس بهذا.»

«أين الجميع؟» سألت ماكسي.

«إذا كانت الخطة تسير على ما يرام، يجب أن تكون ويتني في انتظارنا خارجاً في ساحة المواكب مع الأولاد الآخرين. يفترض أن يتصرف الجميع بهدوء شديد حتى لا يعرف دايفيد ما يحصل. وحتى الآن، كل شيء يسير جيداً.»

«لكن دايفيد سيعرف بالتأكيد ما يحدث،» قالت ماكسي. «سيحاول منعنا.»

«لقد أحدثنا بلبلة،» قال لويس. «لقد أخرجنا حيواناته الأليفة. وإن بقي الحظ حليفنا، فسيبقى أولاد القصر مشغولين جداً بالبحث لدرجة أنهم لن يلاحظوا غيابنا حتى وقت متأخر.»

«رجلي القوي،» قال بلو وحضن لويس.

نظر أخيليوس إلى ماكسي. «أتريدين عناقاً؟»

«لا.»

«ظننت ذلك.»

اتجهوا نحو الباب وتأكدوا أن الطريق سالك.

«مهلاً!» صرخ ذو الأنف الكبير، فاستداروا نحوه، مستعدّين لأي شيء.

«خذوني معكم.»

«ماذا؟»

«لقد سئمت من ترّهات دايفيد. أرجوكم. خذوني معكم. لن يفعل شيئاً سوى معاقبتي إن بقيت.»

«لا مانع عندي،» قال أخيليوس. «لكن إن حاولت أيّ خدعة أيها الأنف الكبير، فسأحوّلك إلى نقانق.»

بعد خمس دقائق، خرج الستة عبر المدخل المقوّس نحو ساحة المواكب، حيث وجدوا جميع أولاد هولوواي يقفون في تشكيلة قتالية، مستعدون للمغادرة. ضحكت ماكسي ورفعت وجهها نحو المطر وصرخت «رائع!» بأعلى صوتها.

هرول الخادم بادي إلى أخيليوس، باذلاً الجهد في حمل حقيبة الغول الثقيلة والدرع الخاصتين بأخيليوس.

«أتحتاج إلى رمحك، آكي؟»

«ليس بعد أيها الخادم. أعطني إحدى العلب.»

أعطت ويتني الأمر ومشت المجموعة في اتجاه البوابات المفتوحة. بالكاد صدقت ماكسي ما يحدث. منذ عشر دقائق، لم يكن هناك أي أمل، والآن ها هم يتجهون نحو الحرية.

بينما كانوا يتحركون نحو الشارع، صدرت صرخة من الشرفة.

«إلى أين تظنون أنفسكم ذاهبين؟»

كان دايفيد. كان برفقته جستر وخمسة حراس. كان الحراس يصوّبون بنادقهم نحو الأولاد.

«نحن راحلون،» قالت ماكسي. «لقد أفسدتَ الأمر. هذا كل ما تحتاج إلى معرفته.»

«لا أظن ذلك،» صرخ دايفيد. إن تحركتم خطوة أخرى، فسآمر حرّاسي بإطلاق النار عليكم. ولا تظنوا أنني لن أفعل، لأني...»

دوّى صوت ضربة قوية ووقع أحد حراس دايفيد وهو يُطلق صرخة قوية.

لقد أصابته كرة حديدية. من تلك المسافة، لن تقتله، لكنها تؤذي بكل تأكيد. نظرت ماكسي حولها. كان أولي يجهز كرة حديدة أخرى في مقلاعه ويشد شريط المطاط الى الخلف. مضت لحظة وأخذت الكرات الحديدة تنهال على الشرفة. انخفض حراس دايفيد ثم تراجعوا بجبن خلف حاجز الشرفة، هرب جستر إلى الداخل وبقي دايفيد جاثماً خلف العمود.

ضحك أولاد هولوواي وهللوا، ومع الحماية التي أمّنتها فرقة أولي، غادر الجميع بأمان أرض القصر.

بينما أعادوا التشكيل في الشارع، صوّب أحد الصغار إصبعه نحو نصب فيكتوريا التذكاري وصرخ. «انظروا إلى هذا!»

كان أخيليوس يقف هناك. لقد أضاف رسالته الخاصة إلى فريك. حروف حمراء كبيرة من كلمتين.

يعيش أران.

وتحت الشعار «آكي ديكي».

ابتسمت ماكسي وهرعت إلى أخيليوس. حضنته هذه المرة.

«أخيراً فهمت ما كانت تعنيه رسالة فريك الأصلية.» قال أخيليوس. «كنت مخطئاً بشأنه. لمته على ما حدث مع ديكي وأران. لم تكن غلطته بقدر ما لم تكن غلطتي. كان يجدر بي الاستماع إليه أكثر. آمن بما آمن به أران. أن نبقى معاً وأقوياء وأن نفعل الصواب. في النهاية، علينا أن نتشارك كل تلك الأشياء السيئة وحتى الجيدة.»

«ظننت أنك انحزت إلى جانب دايفيد،» قالت ماكسي. «ظننت أنك أحببت المكان هنا.»

«عندما عرفت أن دايفيد سجنك، لم أعد أتحمل. أنت واحدة منا، ماكسي. أنت قائدتنا. وكما قلت، لم أكن لأجلس هنا أعدّ رؤوس البطاطا. أريد أن أذهب إلى حيث المغامرة.»

«ماذا عن أولي؟»

«من الأفضل أن تسأليه بنفسك. هذا الفتى معقد أكثر من اللازم كي أفهمه.»

بينما انطلق الأولاد على الطريق، أنشدوا مجموعة من الأغاني، بينما ذهبت ماكسي للعثور على أولي.

«ظننت أنك تخليت عني،» قالت.

«لقد خطر ذلك ببالي،» قال مع ابتسامة. «بصراحة، ظننت أن دايفيد أنجز شيئاً عظيماً هنا. لم أرد الرحيل. لكن في الوقت نفسه، لم أثق به أبداً وكنت أحتاج إلى أن أعرف إلى أيّ حد سيأخذ الأمور.»

«وكل تلك الأشياء التي قلتَها له في العيادة...»

«عرفت حينها. لقد زيّفت مؤازرتي له. آخر شيء أردته هو أن أُسجن معك ومع بلو. كان على أحد أن يخبر الآخرين بما يجري.»

«أنت جرذ أحمر صغير شرير،» قالت ماكسي. «لكنني أحبّك.»

«اعتدلي أيتها الفتاة،» قال أولي.

تحرّكت ماكسي لتأخذ مكانها في المقدّمة وبقي أولي مع أفكاره.

نظر إلى ساعته. الحادية عشرة والربع. لم يبق وقت طويل على منتصف الليل.

لم يخبر أحداً عن يوم غد. ربما نسي الآخرون ذلك التاريخ، وذلك اليوم، لكن ليس أولي. لقد تذكره جيداً.

عرف أولي كثيراً من الأشياء، لكن لم تكن لديه أيّ فكرة عمّا سيحدث له عندما يكبر في السن. لا أحد منهم يعرف. إن بقيت على قيد الحياة حتى نهاية اليوم، فسيكون يوماً جيداً. لم يفكر أبعد من ذلك. كان المستقبل غامضاً.

كيف لأولي أن يعرف إن كان سيمرض أم لا؟ كان مجرد فتى رغم كل شيء.

عليه أنت ينتظر ويرى.

مشوا متراصين في وسط الشارع. ماكسي، بلو، أخيليوس، الخادم بادي، والفتاة من المتحف في المقدمة مع طاقم المقاتلين. ويتني في الوسط مع مايف، بن، وبيرني، وغير المقاتلين والصغار. بيل المقولب، والفتى القرد،

وإيلا يلعبون مع غودزيلا. مشى ذو الأنف الكبير معهم، غير متأكد إن كان قد اتخذ القرار الصحيح. مشى لويس ومقاتلوه على الجناح الأيمن، وميك الكبير على الجناح الأيسر حاملاً البندقية التي أخذها من الحارس. أولي في المؤخرة مع رماة الكرات.

لم يكن الصغار خائفين. لقد مروا بمصاعب كثيرة معاً. عرفوا أن الأولاد الأكبر سناً سيعتنون بهم. وثقوا بأنهم سيعثرون على مكان آمن ينامون ويأكلون ويشربون فيه.

اتجوا جنوباً من القصر. بينما دخلوا ساحة بلغريف، صادفوا مجموعة من عشرة راشدين كانوا يأكلون كلباً ميتاً. عندما رفعوا رؤوسهم فوق الوجبة القذرة ورأوا جيشاً من الأولاد يقتربون، بدوا مثل أرانب ذُهلت من الضوء الساطع.

رُفعت الأسلحة في الصف الأول من الأولاد.

«أتريدون أن تجرّبوا مقاتلتنا؟» صاحت ماكسي. «هيا، تعالوا أيها الفاشلون البائسون.»

نظر الراشدون بعضهم إلى بعض، ثم استداروا وتركوا عشاءهم خلفهم.

ضحكت ماكسي، انضم أخيليوس إليها. لف بلو ذراعه حول خصرها.

انضمّ الأولاد الآخرون إليهم وسرعان ما علت الضحكات في الساحة، ليتردّد صداها عبر المنازل الخالية، تملأ الليل، تطارد الشياطين.

كان كل شيء سيكون على ما يرام.

70

كان الضباب داخل رأسه قوياً الليلة. كان هناك غشاء أحمر كبير أمام عينه. وكان الألم أسوأ من أي وقت مضى. كان هناك شيء حيّ بين شرايينه، مثل أسيد بطارية يتدفق في داخله، يجعله يحسّ بالحكاك. أحس بالضربات في رأسه. مع الغشاوة الحمراء والألم والأصوات الصارخة في جمجمته، كان التفكير جيداً أمراً صعباً. كان عليه أن يتسلل ويخدع أفكاره، أن يفاجئها قبل أن تهرب منه. مثل جرذان.

أو أولاد.

كان الأولاد سريعين. عليك أن تكون ذكياً للقبض عليهم. لكنه كان ذكياً. عرف ذلك في مكان ما داخل عقله المشتعل. إذا حاول أن يسيطر على واحدة من أفكاره، فعليه أن يتصرف بسرعة وإلا فستنزلق من رأسه مجدداً وسيضيع في غمامة الارتباك والألم.

نظر إلى الأبنية ورأى أحدهم ينظر إليه. خطأ. لا. غلى الغضب في داخله، أقوى من الألم.

إلى من تنظر؟

رجل يرتدي صديرية بيضاء عليها صليب أحمر.

أغمض عينيه وشدّ يديه فوق فمه واهتز إلى الخلف على قدميه المؤلمتين بينما اجتاحته نوبة ألم مبرّحة. كانت تنبت من دماغه إبر، تنخزه لتشق طريقها إلى الخارج، لتتشقق بشرة وجهه. أحس بحشرجة في حلقه لكنه ارتاح لذلك الشعور في صوته، في الذبذبات في رقبته. دمدم مجدداً. استمتع

بذلك. أبعده عن كل شيء آخر.

فتح عينيه.

كان محاطاً بالناس. لمَ كانوا ينظرون إليه؟ أعينهم مصوّبة نحوه. زجر عليهم فتراجع أحدهم إلى الخلف. يا إلهي، كان ذلك رائعاً. لقد كانت له سلطة عليهم.

رائع.

لقد فهم الآن. إنه زعيمهم. كانوا جيشه.

كان يفعل شيئاً.

ما هو؟

هز رأسه. دمدم مجدداً. بصق على الأرض ونظر إلى بصاقه. ربما شكل البصاق سيدله على شيء. كان اللعاب سميكاً وأصفر مائلاً إلى الأحمر. شعر كأنه منوّم مغناطيسياً.

مرّت فكرة في رأسه. دارت. اهتزاز.

السيارة.

نعم. استدار وتسلق على الغطاء. ثم إلى السقف. يستطيع رؤية الجميع الآن. منتشرون حوله، يملأون الشارع.

أيّ شارع هذا؟ عرف اسمه ذات مرة. عرف أسماء جميع الأماكن هنا. كان قصره. لقد زالت كلها... كل الكلمات. الصعبة منها. بقي القليل منها.

سيارة. شارع. متجر. ولد. دماء. طعام.

انظروا إليهم. لقد اتخذوه قائداً.

حثالة. زعيم. قتل...

أولئك الأولاد المتسللون. حاولوا الهرب. حاولوا الاختباء. مثل الكلمات. مثل الأفكار. كانوا أذكياء. لكنه كان قوياً. والقوة تغلب الذكاء. سيقتلهم. كل واحد منهم. سيأكلهم. تماماً كما حدث في المتجر.

تذكّر ذلك. كان يجلس هناك. الفتى.

كانوا يحملون رأسه على عصا. كانت معركتهم.

زأر. كان أسداً. الأسد الأقوى. كان يستطيع اختيار أفضل الأجزاء في الفريسة. نظر إلى ما كان في الماضي متجراً.

نيران.

تلك كلمة أخرى جيدة. حسناً، ها هو مشتعل بالنيران. سيكمل طريقه الآن، سيصطحب جيشه معه. سيعثر على كل فتى. سيحرقهم جميعاً، يأكلهم، يسحقهم. كل الأذكياء منهم.

عادت إليه ذكرى. أولاد أذكياء في ذلك المكان. مع جميع الأولاد الآخرين. يضحكون عليه.

ماذا كانت تلك الكلمة؟ كلمة قوية. كلمة لم يحبّها أبداً.

مدرسة.

جميع الأولاد الآخرين يضحكون.

حسناً، انظروا إليّ الآن. زعيم. ملك. أسد. قاتل...

فتح ذراعيه واسعاً، فتح فمه ليطلق صرخة نصر، لكن كالعادة لم يخرج شيء، فقط زمجرة خافتة.

فهموا. جيشه. رفعوا أيديهم، هزوا قبضاتهم. الأذكياء منهم، هللوا بأسلحتهم.

نظر من حوله ورأى الرجل نفسه، ينظر إليه. لم يتحرك.

رجل سمين. أصلع. صديرية بيضاء مع صليب أحمر عليها. عرف الكلمات.

سان جورج.

ثم ابتسم. كان الرجل هو. كانت.. ماذا كانت؟ مرآة؟ نافذة؟ نعم. كان سان جورج. الصليبي. أن يتذكر كلمات صعبة هكذا أمر جعله سعيداً.

لو كان يستطيع التسلل... لو التفّ من الجانب. كانت الكلمات هناك، تختبئ.

كانت لديه خطة. حملة صليبية. سيذهب إلى أرض الأعداء وسيحرق، ويقتل ويكسر. وهؤلاء الناس سيتبعونه.

بدأ يقفز على سطح السيارة، ضارباً بكل ما أوتي من قوة برجليه. خبط، خبط، خبط، خبط، خبط خبط، واحد اثنان، واحد اثنان... نغمات راقصة.

خبط، خبط، خبط، خبط، خبط، خبط، واحد اثنان، واحد اثنان...

انضم أتباعه إليه. قفزوا إلى أعلى وأسفل في الشارع. ترتطم أقدامهم على الاسفلت.

صوت جيش جرّار. هكذا كانوا. سيسيرون جيشاً، يقتلون ويهشمون كل شيء في طريقهم.

نزل عن السيارة وكسر جميع نوافذها بمضربه. كل ذلك وهو يقفز، واحد اثنان، واحد اثنان... كلما قفز أكثر، هشم أكثر ووجد المزيد من الكلمات، المزيد من الأفكار.

كل شيء كسره جعله أقوى.

انتابه جنون، مهاجماً كل سيارة في الشارع. ما زال يقفز. كان الصوت مريحاً.

ثم قادهم، أعادهم إلى أرض المعركة. المعركة التي خسروها أمام الأولاد. لن يخسروا المزيد من المعارك. أصبح عددهم كبيراً الآن. كانوا أقوياء جداً.

كان سان جورج.

هذه المدينة ملك له.

مكتبة
t.me/t_pdf